بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

التضمين في القرآن الكريم

دراسة تطبيقية

غلبه ٨ ٢
مجلد ١
عدد ٤

إعداد الطالبة

أحلام محمد عبد الكريم الصمادي

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.....التاريخ.....

إشراف

الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية.

٦ شوال ١٤٢٠هـ

١٢ كانون الثاني ٢٠٠٠م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ٦ شوال ١٤٢٠هـ

الموافق١٢ كانون الثاني ٢٠٠٠م

أعضاء لجنة المناقشة: التوقيع

الدكتور فضل حسن عباس، رئيساً

أستاذ في قسم التفسير.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل

الدكتور سعيد الزبيدي، عضواً

أستاذ النحو في قسم اللغة العربية.

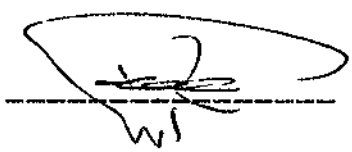

الدكتور مصطفى إبراهيم المشني، عضواً

أستاذ مشارك في قسم التفسير.

الدكتور فريد مصطفى السلمان، عضواً

أستاذ مشارك في قسم التفسير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل من جعل القرآن ربيعا لقلبه ومنارا لعقله ..

إلى أبي الذي زرع في نفسي روح المثابرة والأمل كي أتخطى الصعاب

إلى أمي الحبيبة التي شملتني بعطفها وحنانها

إلى زوجي الذي تحمل الكثير وصبر في سبيل إتمام هذا العمل

إلى الدكتور وليد العاني رحمه الله الذي كان له بصمة خير على

جبين كل من سعد بالتلمذة على يديه

إلى كل من علمني حرفا

أهدي هذا الجهد المتواضع.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

يسرني في هذا البحث المتواضع أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ الفاضل الدكتور فضل حسن عباس لما أولاه لي من عناية واهتمام، فكان لتوجيهاته القيمة الفضل بعد الله تعالى في خروج هذا البحث إلى النور.

كما أتوجه بالشكر إلى لجنة المناقشة التي وافقت على قبول مناقشة هذا البحث لإزالة ما تضمنه من هنات وتحملهم عناء البحث والاستقصاء، ولي شرف عظيم أن أحظى بتوصياتهم التي أعدها ومضات مشرقة مشرقة أزين بها هذا العمل المتواضع.

ولا أنسى أن أتوجه بخالص الشكر والدعاء إلى كل من قدم لي العون والمساعدة من أساتذة نبلاء وأصدقاء علم أوفياء، وأهل بيت كرماء، فلهم مني خالص الدعاء وعظيم الامتنان.

مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

الموضوع	الصفحة
لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
الشكر	د
المحتويات	هـ
الملخص	ز

الفصل الأول

التضمين دراسة نظرية

المبحث الأول: تعريف التضمين لغة واصطلاحا	٩
أولا: التضمين لغة	٩
ثانيا: التضمين اصطلاحا	١١
– *التضمين البياني*	١١
– *التضمين النحوي*	١٢
– *التضمين البديعي*	١٩
– *التضمين العروضي*	٢٢
المبحث الثاني: شروط التضمين وضوابطه	٢٤
أولا: المناسبة بين اللفظين	٢٥
ثانيا: القرينة التي تدل على اللفظ المضمن	٢٩
ثالثا: ملاءمة التضمين للذوق العربي	٣٢
المبحث الثالث: التوجيهات النحوية البديلة لمفهوم التضمين	٤٠
أولا: الزيادة	٤٠
ثانيا: التناوب	٤٧
المبحث الرابع: موقف المفسرين من التضمين	٥٨
أولا: موقف الزمخشري من التضمين	٥٩
ثانيا: موقف أبي حيان من التضمين	٦٢
ثالثا: موقف الشيخ زاده من التضمين	٦٦
رابعا: موقف الشهاب الخفاجي من التضمين	٦٨
خامسا: موقف ابن عاشور من التضمين	٧١

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الخامس: آراء بعض المحدثين في إسلوب التضمين ٧٥
أولا: رأي الدكتور العلايلي في التضمين ٧٥
ثانيا: رأي الدكتور إبراهيم السامرائي في التضمين ٧٧
ثالثا: رأي الدكتور محمد حسن عواد في التضمين ٨١
رابعا: رأي الدكتور الخضري في التضمين ٨٤

الفصل الثاني

التضمين دراسة تطبيقية

المبحث الأول: آيات يرجح القول بالتضمين فيها ٨٨
المبحث الثاني: آيات حملت التضمين وحملها على غيره أظهر ١٢٠
الخاتمة ١٩٦
المراجع ١٩٨
الملخص باللغة الإنجليزية ٢٠٧

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص

التضمين في القرآن الكريم دراسة تطبيقية

في هذا البحث دراسة لمفهوم التضمين في القرآن الكريم، وذلك بالوقوف على أقوال المفسرين في هذا الموضوع والتمييز بين مقبولها ومردودها، وفق معايير وضوابط تم استخلاصها من أقوال العلماء والمهتمين بالدراسات البيانية، وقد تقدمت الدراسة التطبيقية دراسة نظرية كانت بمثابة تمهيد للدخول إلى هذا الموضوع، فجاء هذا البحث في فصلين:

الفصل الأول: التضمين دراسة نظرية.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التضمين لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: شروط التضمين وضوابطه.

المبحث الثالث: التوجيهات النحوية البديلة لمفهوم التضمين.

المبحث الرابع: موقف المفسرين من التضمين.

المبحث الخامس: آراء بعض المحدثين في أسلوب التضمين.

الفصل الثاني: التضمين دراسة تطبيقية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: آيات يرجح القول بالتضمين فيها.

وفيه توجيه للآيات وفق أسلوب التضمين وبيان المعنى الإعجازي المترتب على ذلك وما يؤيده من قرائن ملفوظة أو ملحوظه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: آيات حملت التضمين وحملها على غيره أظهر:

وفي هذا المبحث دراسة للآيات التي حملت التضمين ولكن بعد البحث وجد عدم انطباق شـروط ومعايير التضمين عليها فترتب على ذلك حملها وفق أسلوب آخر لا تكلف فيه.

ثم كانت الخاتمة والتي ذكر فيها ما أسفرت عنه هذه الدراسة من نتائج وتوصيات.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، هدى للمتقين وشفاء للمؤمنين،والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأفصح البلغاء، وسيد العلماء أما بعد:

فإن من نعم الله علينا أن حبانا تفيؤ ظلال القرآن الكريم الذي ما ازددنا منه قرباً إلا زادنا الله به رفعة وسموا فهو لأليء نفيسة، وها هي تنتظر من يكشف عن دررها، ويخرج كنوزها، فيأسر القلوب إلى جمال سبكها ودقة نظمها، فتخضع جباه جبابرة الأرض اعترافاً بأنه كلام معجز ألجم الألسنة عن محاكاته تنفد مداد أقلام ولا تنفد أسراره.

كل كلمة قد أخذت موضعها اللائق بل كل حرف قد تربع على عرشه المحكم الذي لا يجوز لغيره أن يحل محله ولو كان ذلك لاختل النظم، ولاضطرب القلب، ولاعترض العيّي قبل البليغ على هذا التغير.

فالقرآن الكريم كان قديماً وحديثاً منهلاً عذباً لأهل العربية يستخرجون كنوزه ويبحثون في ذخائره المدفونة، موظفين الأساليب العربية رفيعة الشأن في خدمة القرآن فكان من هذه الأساليب أسلوب التضمين الذي هو أحد الأساليب البلاغية للتعبير عن مكنونات النفس بعبارة موجزة ذات معانٍ عميقة.

وعلى الرغم من أهمية التضمين إلا أن العلماء وقفوا منه مواقف متباينة بين مثير للشكوك فيه ورافع من قدره بقي التضمين من الموضوعات رفيعة الشأن عميقة الغور، والتي كان لعلماء العربية فيه آثار طيبة وبصمات مشرفة مشرقة ، جعلت المفسرين يوظفون هذا الأسلوب في تفسير القرآن الكريم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من هنا بدت أهمية هذا البحث وهي تدور على النقاط التالية:

أولاً: وجه الباحثون في مجال الدراسات القرآنية عنايتهم إلى الدراسات النظرية، إلا أنها لم تف بالمطلوب مما جعل هذا الأمر ينعكس سلباً على الدراسات التطبيقية التي قل الاعتناء بها مما جعلها تتسم بالندرة، لذا أرجو أن يكون هذا البحث محاولة للإسهام باغناء المكتبة الإسلامية بجهد متواضع في مجال الدراسات التطبيقية التي هي الأصل في الدراسات القرآنية.

ثانياً: يلحظ على بعض الدراسات القرآنية وبخاصة الحديثة منها أنها حاولت استقصاء جزئيات وكليات الموضوع مدار البحث تحت عنوان من غير أخذ بالاعتبار لضوابط ومقاييس محددة في البحث لذا كانت عناية ذويها بحشد الاقوال دون تمحيص فجاءت دراستهم على الرغم من أنها تبدو موسوعية إلا أنه يعوزها كثير من الضبط والتحقيق.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

لذا حاولت هذه الدراسة اعتماد مقاييس وضوابط محددة في موضوع التضمين بعيدة بقدر الإمكان عن الاضطراب والتكلف في حمل الآيات وفق هذا المفهوم.

ثالثاً: كثرة الإشارات المتناثرة في كتب التفسير والتي تدل على وجود هذا الأسلوب البديع اجمالاً من غير تفصيل لذا كان من الأهمية بمكان تناول هذا الموضوع وجمع هذه الإشارات ونظمها في سلك واحد مع توضيح مدى صحتها وقدرتها على خدمة قضية الإعجاز القرآني.

رابعاً: للتضمين رسالة في الدفاع عن كتاب الله برد بعض الشبهات التي تثار من مثل الإطالة والإطناب، والوقوف في وجه الأساليب الواهية التي لا تتناسب وقدسية النص القرآني كالقول بالزيادة والتناوب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامساً: أهمية الموضوع في التفسير البياني والذي يسهم في موضوع الإعجاز القرآني بعامة.

أما بالنسبة للدراسات السابقة في هذا الموضوع فقد وجدت دراستين غلب عليهما الجانب النظري:

الدراسة الأولى: هي رسالة ماجستير نوقشت في جامعة حلب بعنوان " الفعل في القرآن بحث في الزمن والتعدية والتضمين دراسة تحليلية تطبيقية على الآيات المكية لعبد الجبار توامه".

في القسم الذي خصصه الباحث لدراسة التضمين في الأفعال في العربية كانت دراسة نظرية حول مفهوم التضمين في العربية، أما الناحية التطبيقية فظاهر عنوان الرسالة يوهم أن صاحبها تناول الدراسة على جميع السور المكية ولكن بعد الاطلاع يتضح ما يلي:

أولاً: أنه لم يلتزم بالعنوان الذي وضعه لنفسه من حيث الدراسة التطبيقية، وإنما كان يأخذ بعض الآيات ويقتصر على الاشارة إلى موضع التضمين، معتمداً أراء العلماء دون مناقشة أو تعليل.

ثانياً: الدراسة جزئية إذ اشتملت على بعض الآيات المكية دون استقصاء ومما يؤكد هذا قوله: وليس لهذا البحث أن يستحدث دراسة جديدة متكاملة لجميع الآيات التي يعرض لها، لأنه لا يزال في أوله يلتمس الطريق ويثبت الخطى ولأن الوقت والمقام لا يتسع لذلك الآن"[1].

أما الدراسة الثانية: فهي رسالة ماجستير بعنوان التضمين النحوي بين القدماء والمحدثين، لمحمد خالد بي، قدمت في جامعة تشرين، وهي دراسة نظرية تناول الباحث فيها نظرة النحاة

---

[1] عبد لجبار توامه، الفعل في القرآن، ص ٣٦٢، رسالة ماجستير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القدامى لمفهوم التضمين وما قدمه المحدثون من دراسات ومقالات أغنت بعض جوانبه ثم إنها تناولت الموضوع من وجهة نظر أدبية والأمثلة القرآنية جاءت عرضاً دون تمحيص أو تخصيص.

في ضوء ما تقدم تبرز أهمية هذه الدراسة، فهي دراسة شاملة للجانب المكي والمدني في القرآن الكريم مع التركيز على الجانب التطبيقي بقدر الاستطاعة، هذا فضل على ما عنيت به هذه الدراسة من إبراز بعض الجوانب التي تشكل أصلاً في هذا الموضوع من مثل موقف المفسرين من التضمين، والتوجهات النحوية البديلة لهذا المفهوم، كالزيادة والتناوب، ولعل ما يميز الجانب النظري في هذه الدراسة هو التركيز على بعض الجوانب النظرية بما يخدم موضوعات قرآنية، وهذا ما سيظهر في ثنايا البحث بإذن الله.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

لذا كان في طليعة مصادره المعجمات اللغوية، وكتب التفسير التي كان لها عناية بالجانب البياني كما أفدت من بعض الرسائل الجامعية والدوريات والكتب التي درست هذا الموضوع، كالرسالة التي أشرت إليها من قبل والتي هي بعنوان التضمين النحوي بين القدماء والمحدثين، وبحث بعنوان التضمين للشيخ أحمد الإسكندري كما أفدت من كثير من كتب النحو البيان كخصائص لابن جني ومغني اللبيب لابن هشام وغيرها مما ورد ذكره في ثنايا البحث.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي القائم على جمع الآيات القرآنية التي قيل بالتضمين فيها معتمدة على كتب التفسير التي عنيت بهذا الموضوع.

ومن ثم المنهج التحليلي القائم على توضيح تفسير اللفظة القرآنية موضع الشاهد والمعنى الذي يرسمه في ضوء مفهوم التضمين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في فصلين:

الفصل الأول: التضمين دراسة نظرية.

تحدثت عن بعض الجوانب النظرية التي من شأنها خدمة الجانب التطبيقي وإزالة الغموض الذي قد يلابسه إذا ما اقتحم دون تمهيد أو تقديم، فجاء هذا الفصل في خمسة مباحث

المبحث الأول: تعريف التضمين لغة واصطلاحاً.

وعرفت في هذا المبحث بالتضمين لغةً واصطلاحاً ثم حاولت توضيح حقيقة الخلاف بين البيانيين والنحويين في تعريف التضمين.

المبحث الثاني: شروط التضمين وضوابطه.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتناولت فيه بعض الشروط المتفق عليها في هذا الموضوع، كالمناسبة بين اللفظين، والذوق البلاغي، واتبعته بضوابط أخرى يمكن الوقوف عليها في أثناء التطبيق على الآيات الكريمة ومن إشارات المفسرين والباحثين في هذا الفن. وهذه الضوابط هي: أولاً: إجراء اللفظ على حقيقته إن أمكن ذلك أولى من القول بالتضمين. ثانياً: عدم العدول عن المعنى المشهور إلى معنى آخر محتمل. ثالثاً: أن لا يكون اللفظ مما يجوز فيه التعدي بنفسه تارةً وبالحرف تارةً أخرى أو يكون مما يتعدى بأكثر من حرف. رابعاً أن لا يلجأ إلى التضمين إذا كان في ذلك إذهاب لرونق الحرف وسر انتقائه دون غيره. خامساً اعتماد القرآن أصلاً في بيان أصول تعدية الألفاظ ولزومها. سادساً: إرادة اللفظين في التضمين اللفظ المذكور والمضمن.

المبحث الثالث: التوجيهات النحوية البديلة لمفهوم التضمين.

وتناولت الحديث عن الزيادة والتناوب وبينت مدى قدرة هذه المفاهيم في أن تعد مخارج معتبرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الرابع: موقف المفسرين من التضمين.

وبينت فيه موقف بعض المفسرين ممن كان لهم عناية ظاهرة بهذا الموضوع، كالزمخشري وأبي حيان، والشيخ زاده في حاشيته، وابن عاشور.

المبحث الخامس: آراء بعض المحدثين في التضمين.

فكان في هذا المبحث ذكرٌ لبعض سهام النقد التي وجهت إلى أسلوب التضمين ومحاولة للرد عليها ومناقشتها.

الفصل الثاني من الدراسة: التضمين دراسة تطبيقية.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

رتبت الآيات فيه وفق ترتيبها في المصحف الشريف وقسمته إلى مبحثين:

المبحث الأول: آيات يرجح القول بالتضمين فيها.

وفي هذا المبحث محاولة لجمع الآيات التي ينطق معناها بالتضمين وتجلية ذلك في ضوء شروط وضوابط التضمين، مستنيرة بأقوال المفسرين واللغويين في الحمل والتوجيه.

المبحث الثاني: آيات حملت التضمين وحملها على غيره أظهر.

وتناولت في هذا المبحث الآيات التي وجهت وفق أسلوب التضمين ولكن بعد البحث في حقيقة الأمر وجدت أنها غير مستوفية لشروط التضمين وضوابطه، مما جعلني أميل إلى حملها على حقيقتها أو وفق أسلوب آخر لا تكلف فيه.

وحاولت في هذا المبحث الترجيح والتوجيه في ضوء القرائن وأقوال أهل الاختصاص في هذا المجال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم جاءت الخاتمة والتي أثبت فيها ما توصلت إليه من نتائج وما انقدح عن هذه الدراسة من توصيات.

فأرجو الله أن أكون قد وفقت في عملي هذا فإن كان كذلك فهذا بحمد الله ومنته وان كانت الأخرى فهذا هو القصور البشري الذي يلازم الإنسان من مهده إلى لحده فنستغفر الله ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن الخطأ والزلل، والله أسأل السداد إنه نعم المولى والمجيب.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

التضمين دراسة نظرية

تعد الدراسة النظرية البنية التحتية للدراسة التطبيقية، فإذا ما أحكم الأساس، وأرسيت القواعد، انتقل الباحث إلى التطبيق عاملا على تحويل النظرية إلى واقع ملموس، منزلا معايير وضوابط النظرية على الجانب التطبيقي.

لذا عنى هذا الجانب من الدراسة بمعالجة قضايا التضمين بما يخدم الدراسة القرآنية بشكل خاص، وهذا يظهر في أثناء الحديث عن الزيادة والتناوب، وفي مبحث التوجيهات النحوية البديلة لمفهوم التضمين، وفي موقف المفسرين من التضمين وقد أعرضت عن التوسع في قضايا نحوية شأنها إخراج هذا البحث عن غايته من التركيز على الجانب التطبيقي.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد جاء هذا الفصل في خمسة مباحث.

المبحث الأول: تعريف التضمين لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: شروط التضمين وضوابطه.

المبحث الثالث: التوجيهات النحوية البديلة لمفهوم التضمين.

المبحث الرابع: موقف المفسرين من التضمين.

المبحث الخامس: آراء بعض المحدثين في أسلوب التضمين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاء في الحديث الشريف "ومن اكتتب ضمنا بعثه الله ضمنا يوم القيامة"[١]

وأطلق على العشق من قولك رجل ضامن أي عاشق قال الشاعر:

مـــا خلتنـــي زلـــت بعدكـــم ضمنـــــا أشـــكو إليكـــــم حمـــــوة الألـــــم[٢]

وعلى الكل من الرجال من قولك رجل ضامن على أهله وأصحابه أي كل يثقل على غيره.

قال لبيد:[٣].

يعطي حقوقا علـــى الأحســـاب ضامنـــة حتـــى ينـــور فـــي قريانـــه الزهـــــر[٤]

والمضمن من الكلام ما لا تستطيع الوقوف عليه حتى يوصل بآخر [٥].

فالملاحظ على معاني ضمن المختلفة الحسية والمعنوية منها وجود معنى مشترك يدل على دخول شيء في شيء وإيداعه فيه.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

[١] ينظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٣، ص١٠٣.

- الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج٢، ص٢٩٠؛ ونسب الزمخشري هذا القول لعمر بن الخطاب.

[٢] ابن منظور، لسان العرب، مادة ضمن.

[٣] لبيد هو ابن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة رضـــي الله عنـــه قدم على النبي ﷺ سنة وفد قومه بنو جعفر بن كلاب، فأسلم وحسن إسلامه. ينظر:ابن عبد البر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص ١٣٣٥، البغدادي، خزانة الأدب، ج٢، ص ٢٤٦.

[٤] ابن منظور، لسان العرب، مادة ضمن، ينظر لبيد، ديوان لبيد، ص ٦٦، وهو برواية نعطي ومعنـــى البيـــت يقول أحسابنا ضامنة على أن نعطي الحقوق والقريان: مجاري الماء إلى الرياض والواحـــد قـــري. يقـــول يطعمون أيام القحط حتى يغصب الناس.

[٥] ابن منظور، لسان العرب، مادة ضمن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: التضمين اصطلاحا:

من الملحوظ وجود تباين في تعريف التضمين بين فن وآخر، فهو ينقسم إلى تضمين بياني ونحوي وبديعي وعروضي. وسنتعرف في هذا الموضع على هذه المصطلحات مدعمة بالأمثلة التطبيقية عليها:

أولا- التضمين البياني:

اعتنى أهل البيان بالأساليب العربية التي تدور حول إيصال المعاني بأساليب عريقة بعيدة عن التكلف والإطناب، فالتضمين "وثيق الصلة بعلم البيان من جهة التصريف في معنى الفعل وعدم الوقوف به عند حد ما وضع له"[١].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فعرف السيد الشريف[٢] التضمين البياني "بأن يقصد بلفظ فعل معناه الحقيقي ويلاحظ معه معنى آخر يناسبه ويدل عليه بذكر شيء من متعلقاته كقولك أحمد إليك فلانا لاحظت فيه مع الحمد معنى الإنهاء ودللت عليه بذكر صلته أعني إلى أي أنهى حمده إليه"[٣].

وحاول الصبان أن يكون أكثر تحديدا فحدد نوع اللفظ المضمن بكونه حالا فعرف التضمين البياني بقوله: "هو تقدير حال يناسبها المعمول بعدها لكونها تتعدى إليه على الوجه الذي وقع عليه ذلك المعمول ولا تناسب العامل قبلها لكونه لا يتعدى إلى ذلك المعمول على الوجه المذكور"[٤].

---

(١) محمد خضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها ص ٢٠٧.

(٢) علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي، عالم الشرق ويعرف بالسيد الشريف، له تصانيف منها، تفسير الزهراوين، ومن الشروح، شرح فرائض الحنفية، توفي سنة ستة عشرة بشيراز، ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص ٣٢٨.

(٣) السيد الشريف، حاشيته على تفسير الكشاف، ج١، ص١٢٦.

(٤) الصبان، حاشيته على شرح الأشموني ٢،٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: التضمين النحوي:

التضمين عند النحاة وسيلة من وسائل الإيجاز في التعبير عن المراد، فهو يهدف إلى تحقيق أغراض بيانية كان للقرآن الحظ الأوفر في شواهد هذا اللون من التضمين لبلوغه غاية الإيجاز في نظمه المعجز.

وقد عرف ابن جني[١] التضمين بهذا المفهوم في كتابه الخصائص إذ يقول "اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بالحرف والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الفعل فجيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه"[٢].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

واستدل لذلك بأمثلة منها قوله تعالى: "أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم"[٣] وعلق على الآية بقوله "وأنت لا تقول رفثت إلى المرأة وإنما تقول رفثت بها أو معها لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء وكنت تعدي أفضيت بـ إلى كقولك أفضيت إلى المرأة جئت بـ إلى مع الرفث إيذانا وإشعارا أنه بمعناه"[٤].

وقد فهم الشيخ ياسين[٥] من تعريف ابن جني سابق الذكر اتحاد معنيي اللفظ المذكور

---

[١] "عثمان بن جني ابو الفتح الموصلي النحوي اللغوي، له كتب مصنفة في علوم النحو أبدع فيها وأحسن منها التلقين واللمع، والتعاقب في العربية، توفي سنة ٣٩٢هـ، ينظر: البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص ٣١١، القفطي، إنباه الرواة، ج٢، ص ٣٣٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٤١٢.

[٢] ابن جني، الخصائص، ج٢، ص٣٠٨.

[٣] البقرة آية ١٨٧.

[٤] ابن جني، الخصائص، ج٢، ص٣٠٨.

[٥] ياسين بن زين العابدين العليمي الحمصي الشافعي نزيل مصر الإمام البليغ شيخ العربية وقدرة أرباب المعاني والبيان له حواشي كثيرة منها حاشية على ألفية ابن مالك وحاشية على متن القطر وشرحه للفاكهي، توفي سنة إحدى وستين وألف " ينظر: المحبي، تاريخ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج٤،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القاعدة الثالثة من قواعده الكلية: "إشراب لفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه ويسمى ذلك تضمينا"[١] فقوله إشراب فيه دلالة على إرادة المعنيين الملفوظ والمضمن. وكلمة إشراب على الرغم من دقتها في الدلالة على المقصود اعترض عليها أنها "تفضي إلى مشكلات أقلها الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة وهذا ما لم يقل به علماء العربية، وإن قال به بعض علماء الأصول وهو أيضا مخالف لما يقول البيانيون في تخريجه من أن الفعل الأول باق على حقيقته والمعنى غير الوضعي (المضمن) مستفاد من محذوف يدل عليه صلته من الجار والمجرور أو معموله وأي قرينة ولو لم تكن لفظية"[٢]

لكن الاعتراض الذي وجه إلى كلمة الإشراب يمكن دحضه كما أوضح ذلك عضو مجمع اللغة العربية أحمد الاسكندري[٣] "بأن الإشراب يتأتى وقوعه بفرض أن الفعل يدل على المعنى اللغوي بطريق الوضع وعلى المعنى الملحوظ بطريق اللزوم والتبعية فيرجع التضمين بهذا التأويل إلى الحقيقة.[٤]

جميع الحقوق محفوظة

فلفظ الكيد في قوله تعالى "فيكيدوا لك كيدا"[٥] يدل على أصل معناه اللغوي من الدلالة على المكر[٦] ويتبعه معنى آخر بطريق التضمين وهو الاحتيال، فالتضمين على هذا ضرب من

---

(١) ابن هشام، مغني اللبيب، ج٢، ص٧٩١.

(٢) محاضر جلسات دورة انعقاد مجمع اللغة العربية، سنة ١٩٣٤، احمد الاسكندري، بحث بعنوان التضمين، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، القاهرة، ١٩٨٢،١١، ج١، ص١٨٢.

(٣) هو أحمد بن علي بن عمر الاسكندري أو السكندري أديب من علماء مصر ولد بالإسكندرية وتعلم بها ثم بالأزهر ودار العلوم في القاهرة واحترف التعليم فأفاد كثيرا وكان من أعضاء المكتب الفني بوزارة المعارف ومن أعضاء المجمع اللغوي بمصر ألف كتبا مدرسية منها نزهة القارئ، تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي، توفي سنة ١٣٥٧هـ،١٩٣٨م". الزركلي، الأعلام، ج١، ص١٨٣.

(٤) أحمد الاسكندري، بحث بعنوان التضمين، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، القاهرة، ج١، ص١٨٢.

(٥) يوسف آية ٥.

(٦) ينظر الجوهري، الصحاح، مادة كيد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحقيقة ولا محذور يترتب على ذلك.

كما عرف بدر الدين الزركشي[١] التضمين بأنه: "إعطاء الشيء معنى الشيء تارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف فأما في الأسماء فهو أن تضمن اسما معنى اسم لإفادة معنى الاسمين جميعا كقوله تعالى: "حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق"[٢] فقد تضمن حقيق معنى حريص ليفيد أنه محقوق بقول الحق حريص عليه، وأما الأفعال فأن تضمن فعلا معنى فعل آخر ويكون فيه معنى الفعلين جميعا، وذلك بأن يكون الفعل يتعدى بحرف فيأتي متعديا بحرف آخر ليس من عادته التعدي به فيحتاج إما إلى تأويله، أو تأويل الفعل ليصح تعديه به"[٣].

وقد اعترض أحد المحدثين على تعريف الزركشي بأنه "يشوبه شيء من الغموض وشيء من النقص"[٤].

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فأما الغموض فأتاه من أن قوله "إعطاء الشيء معنى الشيء" قد يفهم منه إزالة المعنى الأصلي للفظ وإعطاؤه المعنى الجديد، فاللفظ مستعمل في معنى اللفظ الآخر الملحوظ أو المضمن فقط، كما أن كلمة شيء التي استخدمها في التعريف كلمة فضفاضة من غير اللائق استخدامها في المجال اللغوي وكان الأحرى به استخدام كلمة لفظ التي استخدمها ابن هشام ففيها غنية في تحقيق المقصود، كما أنه لم يتعرض لشرط من الشروط المعتبرة في التضمين من وجود مناسبة بين اللفظ المذكور والمضمن كما أنه قصر التضمين في الأفعال على حالة واحدة

---

[١] هو محمد بن بهادر الشجاعي ناصر الدين كان رجلا حسنا كثير التلاوة ونسخ بخطه تفسير ابن كثير ومات في شعبان سنة ٧٦٣ عن نحو سبعين سنة. ينظر ابن حجر العسقلاني، الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٤، ص١٨.

[٢] الأعراف آية ١٠٥.

[٣] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٣٣٨.

[٤] محمد خالد بي، التضمين النحوي بين القدماء والمحدثين، رسالة ماجستير ص ٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هي تضمين المتعدي بحرف معنى المتعدي بحرف جر آخر[١].

ولكن هذه الاعتراضات التي وجهت إلى تعريف الزركشي فيها كثير من التجني والوقـوف عند ظاهر العبارات.

فاعتراضه على عبارة الزركشي بأن التضمين إعطاء الشيء معنى ا لشيء قد يفهم منـــه إزالة المعنى الأصلي وإعطاؤه المعنى الجديد لا يستقيم وذلك لأن سوء الفهم قـــد يتبـادر إلـى الأذهان فيما لو كان يعرف مفهوم آخر يدعى بالنقل ولكن تقدمته للتعريف بذكر المعرف به وهـو التضمين قرينة صريحة على دحض هذا الاعتراض.

كما أن الاعتراض على كلمة شيء التي استخدمها الزركشي لا مسوغ لها. ذلك لأن كلمـة شيء قد قيدت وتظافرت حولها القرائن بما يزيل اللبس الذي قد يعتريـــها، فالإمـام رحمـه الله أردف لفظ "الشيء" بتوضيح المراد ذلك لأن هذا الشيء قد يكون اسما أو فعلا أو حرفا، ولعلـــه عبر عن المضمن بالشيء لعمومه وقدرته على استيعاب أنواع اللفظ المضمن.

أما بالنسبة لشبهة النقص التي وجهت لتعريف الإمام الزركشي فهي شبهة لا أساس لـــها، ذلك لأنه لا يشترط في التعريف الإتيان على كل أجزائه ودقائقه وإنما يقتصر على أظهر أحوالـه الملابسة له.

---

[١] محمد خالد بي، التضمين النحوي بين القدماء والمحدثين، ص ٩٤، بتصرف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل هذا ما دعا الأمام الزركشي إلى إهمال ذكر وجه المناسبة بين اللفظيين وان كان قد أخذ بهذا الشرط في واقع التطبيق فالمناسبة بين يشرب ويروى[١] ظاهرة وبين تعدو وتتصوف[٢] وكذا في الآيات الأخر التي استشهد بها مدللا على هذا المفهوم.

كما عرف الصبان[٣] التضمين في حاشيته بأنه "إلحاق مادة بأخرى في التعدي أو اللزوم لتناسب بينها في المعنى أو اتحاد"[٤]

ولعله لجأ إلى التعبير عن التضمين بكلمة الإلحاق دون الاشراب لئلا يؤدي إلى محذور الجمع بين الحقيقة والمجاز، لذا أعقب هذا بقوله "فيكون اللفظ مستعملا في مجموع المعنيين مرتبطا أحدهما بالآخر فيكون مجازا لافي كل منها على حدته حتى يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز المختلف فيه"[٥] وقد بينت سابقا أن كلمة الإشراب لا محذور فيها على اعتبار أن اللفظ المذكور والمضمن جاء على سبيل الحقيقة.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع رسائل الجامعية

وإذا ما أردنا الوقوف على حقيقة الخلاف بين البيانيين والنحويين في تعريف التضمين فإنني لا أجد خلافا جوهريا في حقيقة الأمر بين الفريقين، فذهب ابن كمال باشا[٦] إلى "أن

---

(١) ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٣٣٨.

(٢) ينظر المصدر السابق، ج٣، ص٣٤٠.

(٣) هو محمد بن علي الصبان أبو العرفان عالم بالعربية والأدب، مصري مولده ووفاته بالقاهرة توفي سنة ١٢٠٦هـ، من مصنفاته الكافية الشافية في علمي العروض والقافية وإسعاف الراغبين، ينظر الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٢٩٧.

(٤) الصبان، حاشيته على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج٢، ص٩٥.

(٥) المصدر السابق.

(٦) أحمد بن سليمان بن كمال باشا شمس الدين قاض من العلماء بالحديث ورجاله تركي الأصل مستعرب قلما يوجد فن من الفنون وليس لابن كمال باشا مصنف فيه من مصنفاته طبقات الفقهاء وإيضاح الإصلاح، توفي سنة ٩٤٠هـ، ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج١، ص٢٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التضمين البياني هو نفسه التضمين النحوي وإنما جاء الوهم للسعد[١] من عبارة الكشاف حيث قدر خارجين عن أمره فتوهم أنه تقدير لعامل آخر وليس كذلك بل هو تفسير للفعل المضمن".[٢]

كما أن الأمير[٣] في حاشيته على المغني أومأ إلى ذلك بقوله: "وقدر السعد العامل فزعم بعضهم أنه تضمين بياني مقابل النحوي"[٤] فقوله زعم يومئ إلى عدم اتفاقه مع من يفرق بين التضمين البياني والنحوي.

فالبياني هرب من كلمة إشراب التي تؤدي إلى محذور الجمع بين الحقيقة والمجاز[٥] إلى حذف حال من الفعل المذكور "فالفعل المذكور مستعمل في معناه الحقيقي والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدل عليه ذلك ما هو من متعلقاته".[٦]

يقول الاسكندري: "والحق أن لا فرق بين التضمين البياني والنحوي في حقيقة الاستعمال وإنما الفرق في اختلاف وجهة التأويل بين الفريقين".[٧]

لذا حاول المحدثون تعريف التضمين بما يجمع البيانيين والنحويين على مائدة واحدة فعرفه مجمع اللغة العربية بقوله "أن يؤدي فعل أو ما في معناه في التعبير مؤدى فعل آخر أو ما في

---

(١) مسعود بن عمر بن عبدالله الشيخ سعد الدين التفتازاني، الإمام العلامة، عالم النحو والتصريف والمعاني والبيان، له شرح العضد، شرح العقائد، المقاصد في الكلام، توفي سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، ينظر: ابن حجر الدرر الكامنة، ج٥، ص ١١٩، السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص ٢٨٥.

(٢) الصبان، حاشيته على شرح الأشموني، ج٢، ص٩٥.

(٣) محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر بن العزيز السنباوي الأزهري المعروف بالأمير، عالم بالعربية من فقهاء المالكية، أكثر كتبه حواشي وشروح توفي سنة ١٢٣٢هـ. الزركلي، الأعلام، ج٧، ص٧١.

(٤) الأمير، حاشيته على مغني اللبيب، ج٢، ص١٩٤.

(٥) ينظر: أحمد الاسكندري، بحث بعنوان التضمين، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، القاهرة، ج١، ص١٨٢.

(٦) السيد الشريف، حاشيته على تفسير الكشاف، ج١، ص١٢٦.

(٧) أحمد الاسكندري، بحث بعنوان التضمين، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، القاهرة، ج١، ص١٩٤.

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معناه فيعطي حكمه في التعدية واللزوم"[١].

وقد علق الاسكندري -عضو المجمع- على هذا التعريف بأنه شامل لكل من التضمين النحوي والبياني وبعيد بقدر الإمكان عن مثار الاعتراض[٢]، ففيه هروب من كلمة الإشراب التي رفضها البيانيون.

مما سبق يظهر أن لا فرق بين البيانيين والنحويين في حقيقة التضمين وهذا ما تؤيده أقوال المحدثين ممن سبق ذكرهم.

وإذا ما أردنا ترجيح تعريف على آخر فإنني أجد أن الأحرى بالقبول تعريف ابن هشام وذلك لدقته في التعبير عن المراد ولبعده عن مواطن الاعتراض ولعل من المناسب زيادة بعض المحترزات إلى تعريفه ليكون جامعا مانعا. فالتضمين إشراب لفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه أحكامه في التعدية واللزوم لوجود مناسبة بين اللفظين المذكور والمضمن، والتضمين بهذا المفهوم هو ما سأعتمد عليه في الجانب التطبيقي من هذه الدارسة.

وتتمة للفائدة كان لابد من التعرض لمفهوم التضمين في علوم العربية المختلفة من ذلك التضمين العروضي والبديعي.

ثالثا- التضمين البديعي*:

"وهو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من بيت أو آية أو معنى مجردا من كلام أو مثلا

---

[١] أحمد الاسكندري، بحث بعنوان التضمين، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، القاهرة، ج١، ص١٨٠.

[٢] المصدر السابق، ج١، ص١٨٢.

* اقترح علي الدكتور فضل حسن عباس تسمية هذا اللون من التضمين بالتضمين البديعي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سائرا أو جملة مفيدة، أو فقرة من حكمة"[١] ولكون القرآن ليس شعرا ذهب بعضهم إلى وقوع هذا النوع من التضمين فيه ومثل له بما حكاه سبحانه من صفة النبي ﷺ وذلك قوله "محمد رسول الله"[٢] إلى قوله "ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل" فضمن كتابنا صفتهم من الكتابين الأولين"[٣].

والذي يظهر مخالفة هذا الشاهد لشواهد التضمين البديعي، ففي التضمين البديعي يظهر أن صاحب القول المضمن يختلف عن قائل النص المضمن فيه بينما في الشاهد القرآني كان المضمن والمضمن فيه من كلام الله فالقائل واحد، كما أن النظم القرآني لا يوجد في التوراة ولا في الإنجيل وإن وجدت بعض معانيه على خلاف شواهد التضمين البديعي والتي وقع فيها الكلام المضمن بنظمه.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن أمثلة التضمين البديعي في النثر قول علي -عليه السلام- في جواب على كتاب معاوية "وما الطلقاء "أبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين وتبيين درجاتهم وتعريف طبقاتهم هيهات لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها"[٤] فضمن كلامه هذا المثل العربي وهو قوله "لقد حن قدح ليس منها"[٥]

ولقد عد تضمين الكلام شيئا من القرآن أو الحديث أعلى مراتب التضمين[٦] كقول علي

---

(١) أبي الأصبع المصري، تحرير التحبير، ج٢، ص١٤٠.

(٢) الفتح آية ٢٩.

(٣) أبي الأصبع المصري، تحرير التحبير، ج٢، ص١٤٢.

(٤) وأصل هذا المثل أن قداح الميسر تكون غالبا من صنف واحد من الخشب فإذا أجالها المغامر صك بعضها بعضا فسمعت أصواتها، فإذا كان منها قدح من غير خشب القداح خالف صوته أصواتها فتقول العرب "لقد حن قدح ليس منها ثم ضربته للرجل يفتخر بما بقبيلة ليس هو فيها أو يمتدح بما لا يوجد فيه. ينظر النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٧، ص٢٣٤. الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٣٤٢

(٥) ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التحبير، ج٢، ص١٤٠.

(٦) ابن الأثير، المثل السائر، ج٣، ص٢٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه السلام في آخر كتابه لمعاوية -السابق الذكر- وإني مرسل نحوك بجحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين.... قد صحبتهم ذرية بدرية وسيوفها سنية قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك "وما هي من الظالمين ببعيد"[١] فضمن كلامه هذه الآية.[٢]

ومنهم من قصر التضمين البديعي على الشعر فعرفه بقوله: "أن يضمن الشعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء".[٣] وعللوا ذلك بقولهم "تضمين كلام الغير في الشعر على وجه يوافق المضموم إليه مما يستبدع لصعوبته ولهذا عد من المحسنات على عكس ضم شيء من النثر فإنه لا ابتداع فيه"[٤].

والحقيقة وقوع هذا النوع من التضمين في النثر والشعر، لأن الصعوبة ليست مقياسا لتقييم جودة فن من الفنون وإن كان يعترف ببراعة صاحبه في هذا الجانب.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومثال التضمين البديعي في الشعر:

تضمين ابن المعتز[٥] بيت ورد عند العباس ابن الأحنف[٦]:

"ولا ذنب لي إن ساء ظنك بعدما ... وفيت لكم، ربي بذلك عالم
وها آنذا مستعتب متنصل ... كما قال ابن عباس وأنفي راغم
تحمل عظيم الذنب ممن تحبه ... وإن كنت مظلوما فقل أنا ظالم

---

[١] هود آية ٨٣.

[٢] ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التحبير، ج٢، ص١٤١ - ١٤٢.

[٣] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ص ١٤٠.

[٤] محمد بن المنعم الخفاجي، حاشيته على الإيضاح في علوم البلاغة للقروني.، ج٦، ص١٤١.

[٥] ابن المعتز أبو العباس عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، كان أديبا بليغا شاعرا مطبوعا، من مصنفاته "البديع"، "طبقات الشعراء"، توفي سنة ست وتسعين ومائتين" ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٧٦.

[٦] العباس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة بن جردان بن كلدة الحنفي اليماني، جميع شعره في الغزل، توفي سنة اثنتين وتسعين ومائة" ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأبيات العباس بن الأحنف التي منها البيت المضمن هي قوله:

وصب أصـــاب الحـب ســوداء قلبــه فأنحلـــه والحـــــب داء مـــــلازم
فقلـت لـــه إذ مـــات وجـدا بحبـــــه مقالـــة نصـــح جانبتـــها المـــآثم
تحمـل عظيـم الذنـب ممـن تحبـــه وإن كنـت مظلومـا فقـل أنـا ظـالم
فإنك إن لم تحمل الذنـب فـي الـهوى يفارقك مـن تـهوى وأنفـك راغـم"[١]

رابعا- التضمين العروضي:

"هو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح إلا به"[٢]

من ذلك قول الشاعر:

ومـا قـوم إذا العلمـــاء عـــدت عـروق الأكرميـن إلـى الـتراب
بمختلفيـــــن إن فضلتمونـــا عليـهم فـي القديـم ولا غضـاب[٣]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وعد بعضهم هذا النوع من التضمين عيبا لشدة تعلق قافية البيت بما قبله بحيث لا يفهم معنى البيت الأول إلا بإيراد الثاني[٤]. ولكن ابن الأثير[٥] استدل على خلوه من العيب بورود بعض الفقرات التي يرتبط بعضها ببعض في القرآن الكريم ولو عد هذا الترابط عيبا لما ورد في

---

[١] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، ج٢، ص٨٥؛ ينظر: الأحنف، ديوان العباس ابن الأحنف، ص ٢٧٢.

[٢] الجرجاني، التعريفات، ص ٦٢.

[٣] الاصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص٢٣؛ ينظر: الفرزدق، ديوان الفرزدق، ص ١١٧.

[٤] ينظر التبريزي، جوهر الكنز ص ٢٦٢، التبريزي، الكافي في علم العروض والقوافي، ص ١٦٦-١٦٧.

[٥] أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب ضياء الدين وله تصانيف دالة على غزارة فضله وتحقيق نبله منها كتابه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" وكتاب "الوشي المرقوم في حل المنظوم" توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة. ينظر بن خلكان، وفيات الاعيان، ج٥، ص٣٨٩؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص١٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتاب الله عز وجل.[١]

كما أن الأخفش[٢] نفى العيب عن التضمين العروضي لأن وجود الأحسن لا يعني نسبة غيره إلى القبح فيقول: "ليس بعيب وإن كان غيره أحسن منه ولو كان ما وجد ما هو أحسن منه قبيحا كان قول الشاعر[٣]:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

رديئا إذ وجد ما هو أشعر منه، فليس التضمين بعيب كما أن هذا ليس برديء"[٤].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

[١] ينظر ابن الأثير، المثل السائر، ج٣، ص٢٠١.

[٢] هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي أخذ النحو عن سيبويه، من مصنفاته كتاب الأوسط في النحو وكتاب المقاييس في النحو وكتاب العروض توفي سنة ٢١١ هـ. ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ٥٨، القفطي، أنباه الرواة على أنباء النحاة، ج٢، ص٣٦.

[٣] الشاعر هو طرفة ابن العبد.

[٤] الأخفش، القوافي، ص ٧٠-٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

شروط التضمين وضوابطه

شروط التضمين هي حدودٌ حاجزةٌ من التداخل الذي قد ينشأ بين التضمين وغيره من الأساليب العربية المتشابهة ظاهراً المختلفة مفهوماً، كما أنها تمنع دخول التكلف إلى ساحة التضمين. والتقيدُ بها يعمل على الارتقاء بهذا الأسلوب إلى مصاف الأساليب البليغة، ويناى بها عن مواطن الشبهات التي تثار بين الفينة والأخرى والتي منشؤها عشوائية في تطبيق هذا المفهوم دون مراعاة لشروطه وضوابطه. وقد بيّن الشيخ أحمد الإسكندري أهمية شروط التضمين فذكر أنها "ضمان كاف لاستعماله على مثال ما استعملته العرب وكفالة ببقاء فائدته: وهي كونه طريقاً من طرق الإيجاز الذي هو ركنٌ من أركان البلاغة العربية وأسلوباً من أساليب التوسع في الكلام وهي رخصةٌ عن التقيد بحرفٍ للتعدية دون حرفٍ".[١]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

وقد نصّ مجمعُ اللغة العربية على شروط التضمين وحددها بثلاثة شروط هي:

أولاً: تحقق المناسبة بين الفعلين.

ثانياً: وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمَنُ معها اللبس.

ثالثاً: ملاءمة التضمين للذوق العربي.[٢]

---

[١] محاضر جلسات دورة الانعقاد الأولى، سنة ١٩٣٤م، أحمد الإسكندري، بحث بعنوان التضمين، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، ج١، ص١٩٥.

[٢] المصدر السابق، ج١، ص١٨٠-١٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشرطان الأولان قد سبق أن نصَّ عليهما النحاة في تعريفاتهم للتضمين فأما شرطُ الذوق العربي فهو شرطٌ وضعه مجمع اللغة نتيجة لفساد الذوق ودخول العجمة على اللسان العربي. فهو شرط ناتج عن طبيعة الظروف التي طرأت على العربية.لذا ارتأينا في هذا المبحث بسط هذه الشروط والتدليل عليها بالشواهد القرآنية، وسنزيد هذا الأمر توضيحاً بتعقيبه ببعض الضوابط التي لم ينص عليها صراحة، والتي من شأنها جعل الأمر أكثر تحديداً، وأبعد عن دخول التكلف إلى ساحة التضمين.

أولاً – المناسبة بين اللفظين:

شرط المناسبة بين اللفظين هو شرطٌ يعبر عن العلاقة بين اللفظ المذكور والمضمن في جانب المعنى، فعملية إدخال معنىً بآخر المعبرُ عنها بالإشراب لا تتم إلا بين متقاربين ذلك لأن المعاني المتباعدة شأنها التنافر وعدم الالتقاء. "فتحقيق المناسبة بين الفعلين حاجز مانع من تحميل الفعل معنىً بعيداً عن معناه الوضعي بحيث تفضي تعديته بحرف ذلك الفعل البعيد إلى فساد في الكلام وعدم ضبط لمعاني الأفعال فلا يجوز أكلت إلى الفاكهة على أن أكل مضمّناً معنى مال وتناولت عن القوس مضمناً معنى رميت".[١]

وهذا الشرط يفهم من كلام القوم في تعريف التضمين فمنهم من ألمح إليه ومنهم من صرح به: فابن جني في الخصائص يقول "اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر"[٢] ولا يكون الفعل بمعنى آخر إلا إذا كان بينهما وجه مناسبة.

وقد يفهم من ظاهر هذا القول أن الفعل المضمن هو من معاني الفعل المذكور فالعلاقة

---

[١] محاضر جلسات دورة الانعقاد الأولى لسنة ١٩٣٤م، احمد الإسكندري، بحث بعنوان التضمين، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، ج١، ص١٩٦.

[٢] ابن جني، الخصائص، ج٢، ص٣٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينهما اتحادٌ لا تناسب. ولكن بعد تحقيق الأمر في الأمثلة التي أُستشهد بها على التضمين يتضح لنا أن هناك وجه مغايرة بينهما كما يوجد وجه مناسبة، فلو كان التضمين بين متحدي معنى لذهبت الغاية من التضمين ولكان وجها من وجوه العبث والتلاعب بالألفاظ لا أكثر من ذلك.

ففي قوله تعالى "أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ"[١] ذهب ابن جني إلى تضمين الرفث معنى الإفضاء[٢] وهما متغايران معنىً وإن كان بينهما وجه مناسبة.

كما أن تعبير ابن هشام عن التضمين بكلمة الإشراب ظاهر في ضرورة وجود مناسبة فالاشراب لا يتم إلا بين المعاني المتقاربة.

أما الصبان والأمير في حاشيتهما فينصان على ضرورة وجود مناسبة بين اللفظين في تعريفهما للتضمين. فالتضمين عندهما إلحاق مادة بأخرى في التعدي أو اللزوم لتناسب بينهما في المعنى أو اتحاد"[٣]. فهما قد نصا على ضرورة وجود مناسبة بين اللفظين ولكنهما أتبعا ذلك بعبارة توهم إمكانية اتحاد اللفظين. :والذي يبدو أن المعنيين في التضمين جاءا متدانيين بحيث يعزوان إلى جنس واحد فيبدوان وكأنهما قد تعاقبا على دلالة"[٤] وهذا الذي دعاهما إلى ذكر الاتحاد.

وقد اختلف في نوع المناسبة المرجو تحقيقها بين اللفظين: فذهب الشيخ الإسكندري إلى أن المناسبة تكون بانطوائهما تحت جنس يشملهما ففي قوله تعالى "وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ

---

[١] البقرة، آية ١٨٧.

[٢] ينظر ابن جني، الخصائص، ج٢، ص٣١٠.

[٣] ينظر الصبان، حاشية على شرح الأشموني، ج٢، ص٩٥، الأمير، حاشية على مغني اللبيب، ج٢، ص١٩٣.

[٤] الزعبلاوي، مسالك القول، ص ٢٠٦-٢٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أذَاعُوا بِهِ"[١] تضمن أذاعوا معنى تحدثوا فعدي بالباء والمعنيان متناسبان يشملهما جنس قريب. وهو الإعلان مثلاً فيكون التقدير أعلنوه أو أعلنوا به. وقوله تعالى "يَنصُرُنِي مِنْ اللَّهِ"[٢] تضمن "ينصرني" معنى "يجيرني" فتعدى بمن والمعنيان يدخلان تحت أعم منهما وهو يمنعني مثلاً"[٣]

فالمناسبة على ذلك هي معنى مشترك بين اللفظ المذكور والمضمن مع وجود مغايرة بينهما في جزئيات المعنيين.

بينما ذهب الشيخ محمد الخضر[٤] إلى أن المناسبة هي العلاقة المعتبرة في صحة المجاز وإلا كان التضمين باطلاً.[٥]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

وقد شايعه على هذا الأمر الزعبلاوي حيث يقول: "فالعلاقة المطلوبة بين المعنيين هي العلاقة التي قيد بها المجاز وقد عدد العلماء العلاقات المصححة لاستعمال المجاز فأوصلها بعضهم إلى سبع وعشرين وزادها آخرون على ما هو مفصل في الأمهات[٦]".[٧]

واستدل على ذلك بأمثلة منها قوله تعالى "وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ"[٨] وكما في قوله تعالى

---

(١) النساء، آية ٨٣.

(٢) هود، آية ٣٠.

(٣) محاضر جلسات دورة الانعقاد الأولى سنة ١٩٣٤، أحمد الإسكندري، بحث في التضمين، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، ص ١٩٦.

(٤) محمد الخضر بن حسين بن علي بن عمر الحسني التونسي عالم إسلامي أديب باحث يقول الشعر من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة وممن تولوا مشيخة الأزهر، له تآليف منها "حياة اللغة العربية"، "الخيال في الشعر العربي"، توفي سنة ١٣٧٧هـ،١٩٥٨م. ينظر الزركلي، الأعلام، ج٦، ص١١٣.

(٥) محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها، ص ٢٠٥.

(٦) ينظر القزويني الإيضاح في علوم البلاغة، ج٥، ص٢٥.

(٧) الزعبلاوي، مسالك القول، ص ٢١١.

(٨) النساء، آية ٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ"[١] فلا يوجد بين الأكل والضم وبين التكبير والحمد معنىً يشمل اللفظ المذكور والمضمن سوى علاقة من علاقات المجاز هي التلازم"[٢].

والذي سيظهر لنا –في الجانب التطبيقي من هذا البحث– أن الأمثلة التي استشهد بها الزعبلاوي لا تضمين فيها، وتعديتها بحرف –على خلاف الظاهر– جاء لإفادة معنىً غير القول بالتضمين، كما أن الشواهد التي استشهد بها على التضمين هي شواهد على التضمين البياني الذي هو حذف حال يناسب المعمول بعدها لكونها تتعدى إليه على الوجه الذي وقع عليه ذلك المعمول ولا تناسب العامل قبلها لكونه لا يتعدى إلى ذلك المعمول"[٣].

والذي يظهر أن طبيعة العلاقة في الشواهد المتمثل بها في التضمين البياني تقتصر على المناسبة بين الحال المحذوفة وصلتها فلا مناسبة بين اللفظ المضمن والمذكور من جانب المعنى وهذا ما يظهر من كلام المعرفين بهذا اللون من التضمين.

فالسيد الشريف في حاشيته على الكشاف يقول: "فإن قلت إذا كان المعنى الآخر مدلولاً عليه بلفظ محذوف لم يكن في ضمن المذكور فكيف قيل إنه مضمن إياه؟ قلت لما كانت مناسبة المعنى للمذكور بمعونة ذكر صلته قرينة على اعتباره جعل كأنه في ضمنه"[٤].

فلو كانت هناك مناسبة غير تناسب الحال المحذوفة للصلة المذكورة لكان ذكرها أولى في تعليل التعبير عن هذا السبك بالتضمين.

---

[١] البقرة، آية ١٨٥.

[٢] ينظر الزعبلاوي، مسالك القول، ص ٢١١.

[٣] ينظر الصبان، حاشية على شرح الأشموني، ج٢، ص٩٥.

[٤] السيد الشريف، حاشيته على تفسير الكشاف، ج١، ص١٢٦-١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي مبحث الآيات القرآنية التي اتفق على القول بالتضمين فيها من هذه الدراسة يظهر جلياً وجه المناسبة بين اللفظ المذكور والمضمن على أن المناسبة وجه عام يعم الطرفين كما ذهب إلى ذلك المجمع اللغوي القاهري.

فبين التلاوة والتقول في قوله تعالى "وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ"[١] مناسبة ظاهرة فكليهما لفظ متحدث به.

وفي قوله تعالى "وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ"[٢] نجد أن بين العزم والمباشرة مناسبة ظاهرة ففي كليهما تحقيق للعمل. وهذا الأمر ظاهر في جميع الشواهد القرآنية التي ارتأينا حملها على التضمين وهذا ما سنحاول استجلاءه في الجانب التطبيقي.

مكتبة الجامعة الاردنية

ثانياً: وجود قرينة تدل على اللفظ المضمن ويؤمن معها اللبس:

فالقرينة هي أمر ملازم للفظ المذكور يستدل بها على اللفظ المضمن كما تعين في تحديد المعنى الملائم لتضمين اللفظ المذكور إياه.

وفي أثناء البحث في الآيات التي خرجت على القول بالتضمين يتضح لنا وجود نوعين من القرائن:

أولاً: القرائن اللفظية: وهي عنصر ملحوظ في تركيب الكلام يمكن بالاسترشاد بها ملاحظة مواضع الخروج الطارئ عن مقتضى الظاهر وذلك على سبيل التضمين. فهذه القرائن يُستهدى بها على مواطن التضمين.

---

(١) البقرة، آية ١٠٢.

(٢) البقرة، آية ٢٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالنظر في الآيات التي اتفقنا على القول بالتضمين فيها نجد نوعين من القرائن اللفظية.

أ- ما كانت قرينته حروف الجر:

وذلك بتعدية اللفظ بحرف لا يتعدى به أو لتعديته بحرف مع أن أصله اللزوم ففي قوله تعالى "مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ"[١] كانت القرينة على التضمين حرف الجر الباء حيث إن الغالب تعدية هذا اللفظ بحرف على.

وفي قوله تعالى "الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ"[٢] فالفعل عاهد مما يتعدى بنفسه فتعديته بمن قرينة على اعتبار التضمين.[٣]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ب- ما كانت قرينته المفعول به:

وذلك في الفعل المتعدي إلى مفعوله بحرف إذا جاء متعدياً بنفسه كما في قوله تعالى "وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ"[٤] فعزم مما يتعدى بعلى[٥] فتعديته بنفسه إلى المفعول به قرينة على تضمينه معنى المباشرة.

وفي الفعل اللازم إذا جاء متعدياً كما في قوله تعالى "لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ

---

[١] المؤمنون، آية ٦٧.

[٢] الأنفال، آية ٥٦.

[٣] ينظر الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٤، ص٤٩٤، الألوسي، روح المعاني، ج١٠، ص٢٢.

[٤] البقرة آية ٢٣٥.

[٥] ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٢، ص٤٢٣٨ السمين الحلبي، الدر المصون، ج٢، ص٤٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياق تؤيد تضمين المماراة معنى التكذيب.

وفي قوله تعالى "قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ"[١] ضُمِّن ردف معنى قرب ودنا[٢] والقرينة الدالة على التضمين يمكن استنباطها من آيات أخرى كما في قوله تعالى "يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ"[٣]

ثالثاً – ملاءمة التضمين للذوق العربي:

والذوق المراد في موضوع التضمين هو الذوق البلاغي الذي "هو قدرة صاحب الطبع الأدبي والذكاء اللّماح والقريحة النفاذة على بيان المزايا البلاغية التي تحدث في النظم بسبب الفروق والوجوه التي تكون بين كلام وكلام وشعر فيقف على أسباب الجودة ليحتذيها وعلى أسباب الرداءة ليتجنبها في تأليفه ونقده"[٤].

لم يرد هذا الشرط في كتب القوم وإنما جاء النص عليه من محاضر جلسات مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي بين أهميته بقوله: "وضعت كلمة الذوق البلاغي العربي اتقاء لحذلقة بعض الناس مثل كتاب البرازيل[٥] وغيرهم ممن خرجوا على قواعد اللغة وأساليبها حتى صار كلامهم يشبه الرطانة، فإذا جاءنا واحد من هؤلاء وقال إن هذا ذوقي الخاص قلنا له إنك تخالف الذوق العربي الذي لا يزال ثابتاً بحكم الفطرة والسليقة في البلاد العربية والذي يجري على

---

(١) النمل، آية ٧٢.

(٢) ينظر: السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ج٢، ص٩١؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٦، ص٣٩٨.

(٣) العنكبوت، آية ٥٥.

(٤) د. عبد العزيز عرفة، تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني. ص ٢-٣.

(٥) كتاب البرازيل هم كتاب المهجر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قواعد اللغة والبلاغة ولا ينفر منها.[١]

والملاحظ أن شرط ملاءمة التضمين للذوق العربي قد أطلق ولم يتبع بالتوضيح أو الضبط لذا حاولت ضبط هذا الموضوع مستعينةً بآراء الإمام عبدالقاهر الجرجاني وما جاء من ذكر له في كتب التفسير والمختصين، وهذه الضوابط تكمن أهميتها في الوقوف على المعاني المضمنة في الآيات القرآنية كما أنها مهمة لمن يريد أن يقيس شواهد التضمين على كلامه فيجريها عليه وهذه الضوابط هي:

أولاً: وجود قريحة لغوية سليمة وأقصد بها قريحة من أتقن اللغة العربية فأصبحت قلبه وقالبه فألهم -بعد توفيق الله- إلى إنشاء الكلام البليغ ووهب القدرة على الفصل بين جيد الكلام ورديئه.

ثانياً: أن لا يحكّم الصنعة الإعرابية في منظوم الكلام فيجعل المعنى فرع الإعراب. ولا يعني هذا التقليل من أهمية الإعراب في الذوق البلاغي، "فالألفاظ معلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وهو المعيار الذي لا يتبين نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض عليه والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه".[٢]

ولكن المقصود بالذم التكلف المصحوب بتقديم الإعراب على المعنى وذلك في كلام الله الذي تنزه عن الخطأ وجلّ عن تكلفات النحاة.

---

[١] عباس حسن النحو الوافي، ج٢، ص ٥٩٢ نقلاً عن محاضر جلسات المجمع اللغوي القاهري.

[٢] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما يساعد على تنمية الذوق والارتقاء به عند من يحاولون استظهار ألوان الجمال في النصوص البديعة التراكيب:

أولاً: توثيق العلاقة مع الشعر العربي القديم والحديث، والنثر المتقن فالدربة في هذه الفنون نظماً وتحليلاً من شأنها صقل الذوق وإثارة الإحساس بجمال النظم.

ثانياً: ومما يثري الذوق تعليل الأحكام الصادرة عن الذوق البلاغي وهذا ما أكد عليه الشيخ عبد القاهر[١] في دلائله إذ يقول: "لا بد لكل كلام تستحسنه ولفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة وأن يكون لنا إلى العبارة من ذلك سبيل وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل."[٢]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثالثاً: الثقافة العالية وأقصد بذلك الثقافة التخصصية وغير التخصصية، فالتخصصية منها كأن يكون الشخص ذا باع طويل في اللغة والنحو والبلاغة ومعرفة عالية بأسرار هذه الفنون فالمراس في هذه الفنون يرتقي بالإنسان ويهذب ذوقه. أما بالنسبة للثقافة غير التخصصية فعلى الباحث في هذا الموضوع أن يلم بموضوعات العلوم المختلفة لما لها من أثر في الكشف عن أبعاد معاني النص القرآني كعلم النفس الذي يهتم بملاحظة أحوال المخاطب والمتكلم.

---

[١] عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني أبو بكر النحوي، فارسي الأصل جرجاني الدار عالم بالنحو والبلاغة، قرأ نظر في تصانيف النحاة والأدباء، وتصدّر بجرجان، وحثيت إليه الرحال وصنف التصانيف الجليلة، منها: الجمل في النحو، والمغني في شرح الإيضاح، توفي سنة ٤٧١هـ -١٠٧٨م. ينظر: القفطي، إنباه الرواة على أنباء النحاة، ج٢، ص١٨٨. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٤٨.

[٢] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً: ومما يساعد على تنمية الذوق البلاغي واستظهار جمالية الأسلوب في النظم أن يكون لدى الشخص فذلكة المقارنة والموازنة بين معنى الشاهد مجرداً من حمل الأسلوب عليه ومعناه بعد إجراء الأسلوب عليه، فهو بذلك يستشعر روعة الأسلوب ويمكنه من الحكم على الكلام من حيث البلاغة والفصاحة فيها.

لقد بين أهمية هذا الأمر في تربية الذوق الإمام عبد القاهر الجُرجاني في موضوع الحذف حيث يقول: "فتأمل الآن هذه الأبيات كلّها واستقرها واحداً واحداً وانظر إلى موقعها في نفسك وإلى ما تجده من اللطف والظرف، إذا أنت مررت بموضع الحذف ثم فليت النفس عما تجد وألطفت النظر فيما تحس به ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر وأن تخرجه إلى لفظك وتوقعه في سمعك فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت وأن رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد"[1]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وبعد أن أنهيت الحديث عن الشروط المعتبرة في التضمين والتي أقرها المجمع اللغوي، وجدنا أن هذه الشروط قد يشترك فيها أكثر من فن من فنون العربية كالمجاز والكناية لذا وجدنا أن الأمر يحتاج إلى مزيد ضبط وتحديد بحيث يميزه عن غيره من الأساليب العربية ويجعل هذا الأمر خاصاً بالتضمين يحده بحدود تمنع التداخل الذي قد ينشأ بينه وبين غيره من الأساليب العربية.

ومن هذه الضوابط التي من شأنها تحقيق هذه الغاية:

أولاً: إجراء اللفظ على حقيقته إن أمكن ذلك أولى من القول بالتضمين فلا يلجأ إلى هذا الأسلوب إلا إذا عزّ حمل اللفظ على حقيقته حتى لا يقودنا ذلك إلى التكلف وتفسير الآيات على هذا الأسلوب مع استقامة المعنى على وجه الحقيقة.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الأعجاز، ص١٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في تفسير قوله تعالى: "اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَ هُوَ لَيَجْمَعَنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[١] لا حاجة إلى تضمين الجمع في الآية الكريمة معنى الحشر كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين[٢] فتعدية الجمع بحرف إلى جاء في الآية على أصله للدلالة على أن هذا الجمع سيستمرُ زمناً بعد آخر إلى يوم القيامة الذي هو نهاية هذا الجمع.

ثانياً: عدم العدول عن المعنى المشهور للفظ المذكور إلى معنى آخر يحتمله ليصح حمله على التضمين.

ففي قوله تعالى "إِنِي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي"[٣] فُسر الحب بمعنى اللزوم، مع أن اللزوم لا يتعدى بعن إلا على سبيل التضمين واعترض على هذا المعنى بأنه "معنى غريب لم يرد في بيت واحد وغرابة اللفظ تدل على اللكنة وكلام الله عز وجل منزه عن ذلك.[٤]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثالثاً: أن لا يكون اللفظ المذكور مما "يجوز فيه التعدي بنفسه تارة وبحرف الجر أخرى"[٥] أو يكون مما يتعدى بأكثر من حرف.

فإن الأمر إذا كان كذلك كانت تعدية الفعل على وجه الحقيقة دون أن يكون هناك خروج عن مقتضى الظاهر.

---

[١] النساء، آية ٨٧.

[٢] ينظر الزمخشري، الكشاف، ج١، ص ٦٠٠، الشيخ زادة، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج١، ص ٥٧.

[٣] ص، آية ٣٢.

[٤] الألوسي، روح المعاني، ج٢٣، ص ١٩١، وقد ذكر الألوسي وجوهاً أخرى يمكن الوقوف عليها بالرجوع إلى المصدر المذكور.

[٥] أحمد الإسكندري، بحث في التضمين، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، ج١، ص١٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي قوله تعالى: "ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه"[١] يتضح لنا بعد التحقيق في أصل تعدية فعل سفه أنه مما يتعدى بنفسه تارة وبحرف في تارة أخرى[٢] فلا حاجة إلى تضمينه معنى آخر[٣] لتصح تعديته بنفسه في الآية الكريمة.

وكذا في قوله تعالى "فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا"[٤] فبعد الرجوع إلى المعاجمات العربية تبين لي أن فعل طبن مما يتعدى بعدة حروف هي الباء وعن وعلى[٥] وعليه فلا وجه لتضمينه معنى آخر لتصح تعديته بحرف عن كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين.[٦]

رابعا: أن لا يلجأ إلى التضمين إذا كان في ذلك إذهاب لرونق اللفظ المذكور ولسر انتقائه دون غيره.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ففي قوله تعالى "واستبقا الباب ..."[٧] جاء اختيار كلمة استبقا دون ابتدرا قاصدا ذلك للتعبير عن المنافسة القائمة بين يوسف وامرأة العزيز لذا عدل القرآن الكريم عن استعمال لفظ الابتدار قصدا ذلك لأنه لا يفي بالمعنى المقصود إيصاله، فلا حاجة لتضمين الاستباق لفظ الابتدار لتصح تعديته بنفسه دون حرف إلى.[٨]

خامسا: اعتماد القرآن أصلا في بيان أصول تعدية الألفاظ ولزومها فكثرت تعدية لفظ

---

(١) البقرة، آية ١٨٠.

(٢) ينظر الرازي، مختار الصحاح، ص ٣٠٢ – ٣٠٣.

(٣) ينظر الزجاج، معاني القرآن، ج١، ص٢١١. الألوسي، روح المعاني، ج١، ص٣٨٧.

(٤) النساء، آية ٤.

(٥) ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة طيب، الزبيدي، تاج العروس، مادة طيب.

(٦) ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج١، ص١٤٤؛ الشيخ زادة، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج٢، ص١٠. الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٣، ص٢٠٧.

(٧) يوسف، آية ٢٥.

(٨) ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص٤٨١. أبو حيان، البحر المحيط، ج٥، ص٢٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بحرف معين في بعض المواضع دليلٌ على أصالة هذه التعدية. فالقرآن في مقدمة الأصول المعتمدة في تقعيد القواعد النحوية.

فمثلاً جاء فعل أوحينا متعدياً بحرف إلى في مواضع كثيرة[١] في القرآن الكريم فكثرة تعدية هذا اللفظ بحرف إلى دليل على أصالة هذه التعدية من غير حاجة إلى تضمينه معنى آخر لتصح هذه التعدية.

سادساً: إرادة اللفظين في التضمين المذكور والمضمن فلا يجوز إرادة المضمن وإهمال اللفظ المذكور لذا كان التعبير بالإشراب الذي ورد في تعريف ابن هشام يدلّ على هذا الضابط.

سابعاً: أن لا يلجأ إلى التضمين إلا لغرض بلاغي وهذا ما أوصى به المجمع في نهاية قراراته في موضوع التضمين وفي هذا "تنبيه للكاتب أو الشاعر أو الخطيب ألا يستعمل التضمين إلا إذا قصد إلى فائدته البلاغية وهي الإيجاز بإفهام معنيين معاً بلفظ فعل واحد لا مجرد التوسع"[٢].

وهذا الشرط عبر عنه بعض المفسرين بعبارة تفصح عن مضمونه، فنراهم يقولون والنكتة في اعتبار التضمين[٣] أو والوجه في اعتبار التضمين[٤] ومرادهم بذلك إظهار المعنى الإعجازي المترتب على القول بالتضمين وذلك بذكر لفظ وإرادة معنيين وهذا غاية الإيجاز الذي هو مدار الإعجاز بنظم القرآن.

---

[١] ينظر النساء، آية ١٦٣، الأعراف ١١٧، الأعراف، آية ١٦٠، يونس، آية ٢، طه، آية ٣٨، الشعراء، آيه، ٥٢، الشورى، آيه، ٧.

[٢] محاضر جلسات دورة الانعقاد الأولى سنة ١٩٣٤، أحمد الإسكندري، بحث في التضمين، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، ج١، ص١٩٩.

[٣] ينظر الشيخ زادة، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج٣، ص٧٤.

[٤] ينظر المصدر السابق، ج١، ص٤٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه هي أهم الشروط والضوابط التي من شأنها تحقيق غاية التضمين وتعبر عن هذا المفـــــهوم في أبهى صورة وتنأى به عن التكلف في الحمل وتكفل استخدامه وفق استعمال العرب له.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث

التوجيهات النحوية البديلة لمفهوم التضمين

التضمين من المصطلحات التي وقف منها النحاة مواقف متباينة بين قبول ورفض. فأما الرافضون فبحثوا عن مخارج نحوية بديلة فكانت الزيادة والتناوب هي المخارج لما صادفهم من حروف استخدمت في غير مواضعها الأصلية.

وفي الدراسات القرآنية يشوب الدارس الحذر من قبول مفهوم دون تحقيق في مدى قدرته على مواكبة إعجاز القرآن الذي هو الضابط في قبول هذه المصطلحات وتوظيفها في تفسير القرآن، وذلك لأننا نتعامل مع نص معجز معطاء تعالى عن أن يعتريه نقص أو خلل.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

لذا كان من المناسب الوقوف عند هذه المصطلحات لمعرفة مدى خدمتها للحرف القرآني ومراعاة قدسيته وقدرتها في إعطاء المعنى البعد المنشود تحقيقه في التفسير وإظهار إعجاز القرآن، وسنبدأ حديثنا عن الزوائد:

أولاً- الزوائد كما عرفها بعضهم هي "حروف يكون دخولها كخروجها من غير معنى"[١] وهناك من ذكر للحرف الزائد فائدة هي تأكيد الكلام وتقويته. يقول ابن يعيش:[٢] "والمراد بقولنا تزاد أنها تجيء توكيداً ولم تحدث معنى من المعاني المذكورة".[٣]

---

[١] السيوطي، الأشباه والنظائر،ج٢، ص١٥٨ بتصرف يسير.

[٢] أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا بن محمد بن علي الحلبي المولد والمنشأ من مصنفاته شرح كتاب المفصل للزمخشري، وكتاب شرح التصريف الملوكي لابن جني، توفي سنة ٦٤٣هـ، ينظر القفطي، إنباه الرواة، ج٤، ص ٤٥، ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص ٤٦.

[٣] ابن يعيش، شرح المفصل،ج٨، ص٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنهم من قصر الزوائد على الزيادة الإعرابية وعلل الوهم الذي مفاده أنها زيادة في المعنى من الوقوف عند ظاهر كلام النحاة من غير معرفة قصدهم في ذلك، يقول الرافعي[١] – رحمه الله–: "ثم الكلمات التي يظن في القرآن –كما يقول النحاة– فإن فيه من ذلك أحرفا كقوله تعالى "فبما رحمة من الله لنت لهم"[٢] وقوله "فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا"[٣] فإن النحاة يقولون إن (ما) في الآية الأولى و(أن) في الثانية زائدتان أي في الإعراب فيظن من لا بصر له أنهما كذلك في النظم ويقيس عليه، مع أن هذه الزيادة لون من التصوير لو هو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته".[٤]

فهي حروف لا حاجة لها من جهة الإعراب وإن جاءت لإفادة معنى يفهم باستجلاء أسوار الكلام ودقائق النظم. والمطلع على آراء النحاة يجد أنهم يكثرون من ذكر معنى التوكيد في سياق بيان معاني الحروف من غير تحقيق في معانيها الأخرى والتي يمكن أن يفيدها الحرف والتي هي أنسب بالمقام، على خلاف البلاغيين الذين كان لهم وقفات طويلة أمام هذه الحروف يستجلون أسرارها ويوضحون دقائقها وهذا عائد إلى عمق النظرة التي تميزوا بها في كافة بحوثهم اللغوية والبلاغية.

والمهم هنا هو نظرة المفسرين إلى الزوائد وذلك في ثنايا تفاسيرهم. فالمطلع على آرائهم يتبين له انقسامهم إلى فريقين كل له وجهته ومسوغاته:

---

[١] مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبدالقادر الرافعي عالم الإدب، شاعر، من كبار الكتاب أصيب بصمم، له ديوان شعر وتاريخ آداب العرب. توفي سنة ١٣٥٦هـ –١٩٣٧م. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٧، ص٢٣٥.

[٢] آل عمران، آية ١٥٩.

[٣] يوسف، آية ٩٦.

[٤] الرافعي، إعجاز القرآن، ص ٢٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا- فريق لا يمانع من وجودها في القرآن باعتبارها أسلوبا من أساليب العربية، والقرآن لم يخرج عن أساليبهم وطرائقهم في التعبير. والملاحظ أن هذا الرأي ظاهر عند نحاة المفسرين من مثل أبي عبيدة[١] وأبي حيان[٢] وهذا عائد إلى تأثرهم بالصنعة النحوية ومحاولة تطبيق قواعدها على القرآن.

فأبو عبيدة توسع في حمل الآيات على الزوائد توسعا جعله يخرج في بعض الأحيان عن الحدود المتعارف عليها عند العلماء ففي قوله تعالى "ومن يرد فيه بإلحاد بظلم"[٣] يقول "مجازه ومن يرد فيه إلحادا والباء من حروف الزوائد".[٤]

وأبو حيان رغم ما قدمه للتفسير لكن تأثره بالصنعة النحوية ظاهر في آرائه، وهذا الأمر أبعده في بعض الأحيان عن استشفاف معاني الحروف والغوص في مراميها، ففي سياق تفسير قوله تعالى: "وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا"[٥] ذهب أبو حيان إلى زيادة الباء حيث يقول "والباء في بالله زائدة ويجوز حذفها... وزيادتها في فاعل كفى وفاعل يكفي مطردة".[٦]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

(١) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري، النحوي العلامة، تصانيفه تقارب مائتي تصنيف منها كتاب غريب القرآن، ومعاني القرآن، ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٥، ص٢٣٥. القفطي، أنباه الرواه،ج٣، ص٢٧٦.

(٢) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي أثير الدين أبو حيان الأندلسي له اليد الطولى في التفسير والحديث وتراجم الناس وطبقاتهم وخصوصا المغاربة وله التصانيف التي سارت في آفاق الأرض واشتهرت ومن مصنفاته: غريب القرآن، النكت الحسان، توفي سنة ٧٤٥هـ. ينظر ابن حجر العسقلاني، الدر الكامنة،ج٥، ص٧٠.

(٣) الحج، آية ٢٥.

(٤) أبو عبيدة، مجاز القرآن،ج٢، ص٤٨، ينظر نفس المصدر،ج٢، ص٢٣٢.

(٥) النساء، آية ٤٥.

(٦) أبو حيان، البحر المحيط،ج٣، ص٢٧٢، ينظر أبو حيان، البحر المحيط،ج٣، ص١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل هذا يذكرنا بعبارة الزمخشري في بيان صفات المفسر "والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه[١] واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني والبيان".[٢]

ثانيا: وجد فريق يمنع وجود زوائد في القرآن الكريم، فالطبري[٣] يصرح برفضه القول بزيادة بعض الحروف حيث يقول: "وغير جائز إبطال حرف كان دليلا على معنى في الكلام إذ سواء قيل قائل: هو بمعنى التطول، وهو في الكلام دليل على معنى مفهوم وقيل آخر، في جمع الكلام الذي نطق به دليل على ما أريد به: هو بمعنى التطول"[٤] والتطول في اصطلاح الطبري هو بمعنى الزيادة وفي هذا النص أراد الطبري أن ينفي مالج فيه بعض النحاة من ادعاء اللغو والزيادة في الكلام بأسلوب منطقي مدعم بالبرهان فهو يرى أنه: "إذا كان للحرف أو الكلمة معنى مفهوم في الكلام ثم ادعيت أنه زيادة ملغاة، فجاز لغيرك أن يدعي أن جملة كاملة مفهومة المعنى أو كلاما كاملا مفهوم المعنى إنما هو زيادة ملغاة أيضا".[٥]

والرازي[٦] يحاول تخريج الآيات على غير الزوائد لرفض محققي أهل العربية القول

---

[١] عمرو بن عثمان بن قنبر، مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو أخذ النحو عن الخليل، كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو ولم يوضع فيه مثل كتابه، توفي سنة تسع وسبعين ومائة، ينظر القفطي، أنباه الرواة، ج٢، ص ٣٤٦، ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٤٦٣.

[٢] الزمخشري، الكشاف،ج١، ص٧.

[٣] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملي الطبري أبو جعفر، الإمام صاحب التصانيف المشهورة من آثاره: أخبار الرسل والملوك واختلاف الفقهاء، توفي سنة ٣١٠ه، ينظر الداوودي، طبقات المفسرين ص١١٠.

[٤] الطبري، جامع البيان،ج١، ص٤٤٠.

[٥] محمود شاكر، حاشية الطبري،ج١، ص٤٤٠ وذلك في تفسير قول تعالى "وإذا قال ربك للملائكة ..." البقرة آية ٣٠.

[٦] أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري فاق أهل زمانه في علم الكلام -

جميع الحقوق محفوظة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بوجودها في القرآن حيث يقول: "ذهب الأكثرون إلى أن ما في قوله تعالى "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ"[١] صلة زائدة ومثله في القرآن كثير كقوله "عَمَّا قَلِيلٍ"[٢] "جُندٌ مَا هُنَالِكَ"[٣] "فَبِمَا نَقْضِهِمْ"[٤]، قالوا: والعرب قد تزيد في الكلام للتأكيد على ما يستغنى عنه، قال تعالى: "فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ"[٥] أراد فلما جاء فأكد بأن ثم قال: والمحققون دخول اللفظ المهمل الضائع في كلام أحكم الحاكمين غير جائز وهنا يجوز أن تكون (ما) استفهاماً للتعجب وتقديره فبأي رحمة من الله لنت لهم[٦]".

ولكن الملاحظ على بعض المفسرين عدم إطراد نظرتهم بالنسبة للزوائد، ففي حين يوجهون الحروف التي قيل بزيادتها بما يخدم المعنى ويُظهر الأسرار الدفينة في الآية نجدهم في مواضع أخرى يقولون بزيادة هذه الحروف.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فالزمخشري[٧] في تفسير قوله تعالى: "وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ"[٨] يقول:

والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن الكريم، جمع فيه كل غريب وغريبة منها شرح سورة الفاتحة، المطالب العالية، توفي سنة ٦٠٦هـ. ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٤، ص٢٤٨.

[١] آل عمرن، آية ١٥٩.

[٢] المؤمنون، آية ٤٠.

[٣] ص، آية ١١.

[٤] النساء، آية ١٥٥.

[٥] يوسف، آية ٩٦.

[٦] الرازي، التفسير الكبير،ج٣، ص٤٠٧.

[٧] أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان كان إمام عصره من غير مدافع، من مصنفاته: الكشاف، الفائق، وأساس البلاغة، توفي سنة ٥٣٨هـ. ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٥، ص١٦٨.

[٨] البقرة، آية ١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"والباء في بأيديكم مزيدة مثلها في أعطى بيده منقادا".[١]

ولكن هذا لا يعني أن سلبه فضله في بيان كثير من أسرار الحروف في القرآن الكريم والتي قال بعضهم بزيادتها ففي قوله تعالى: "وأصلح لي في ذريتي"[٢] يقول: "فإن قلت ما معنى "في" في قوله تعالى: "وأصلح لي في ذريتي"، قلت معناه: أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كأنه قال: هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم".[٣]

ففي هذا الموضع بين سر استخدام حرف (في) في الآية الكريمة.

ومن الملاحظ أن بعض المفسرين يذكرون للحرف معنى ومع هذا يقولون بزيادته. فأبو السعود[٤] في تفسير قوله تعالى: "قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون"[٥] يقول: واللام مزيدة للتأكيد كالباء في قوله "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة"[٦][٧]، وفي سياق تفسير قوله تعالى "يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين"[٨] يقول: "واللام مزيدة للتفرقة بين الإيمان المشهور وبين الإيمان بمعنى التسليم

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

---

(١) الزمخشري، الكشاف،ج١، ص٢٣٥.

(٢) الأحقاف، آية ١٥.

(٣) الزمخشري، الكشاف،ج١، ص٢٩٥.

(٤) أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود، مفسر شاعر من علماء الترك المستعربين من كتبه تحفة الطلاب ورسالة في المسح على الخفين، وقصة هاروت وماروت، توفي سنة ٩٨٢هـ، ينظر ابن العماد، شذرات الذهب،ج٨، ص٣٩٨.

(٥) النمل، آية ٧٢.

(٦) البقرة، آية ١٩٥.

(٧) أبو السعود، إرشاد العقل السليم،ج٦، ص٣٩٨.

(٨) التوبة، آية ٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتصديق كما في قوله تعالى: "أنؤمن لك"[١] وقوله تعالى: "فما آمن لموسى[٢]" [٣].

وهذا كلام ظاهر التناقض؛ إذ كيف يكون للحرف معنى ومع هذا يحكم بزيادته، ولو أرد معتذر أن يعتذر عنهم بأن يوجه الزيادة بكونها زيادة إعرابية -كما ذهب إلى ذلك بعضهم- لوجد الأمر لا يمكن التسليم به، ذلك لأن الإعراب فرع المعنى ولا يمكن الفصل بينهما على هذا الوجه. ومع هذا فإنني أتورع من أن أعد أبا السعود وأمثاله من علماء التفسير ممن قالوا بالزيادة ومع هذا أثبت للحرف معنى – في عداد القائلين بالزيادة فإثباتهم لكل كلمة معنى في السياق يشفع لهم قولهم هذا.

وكثير من المفسرين يورد القول بالزيادة بصيغة تمريض تدل على تضعيفه هذا القول، فمراده من ذكر الزيادة جمع الأقوال لا اعتناقها على أنها رأيه في المسألة. يظهر هذا في تفسير الشهاب.[٤] لقوله تعالى: "ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم"[٥] يقول: "والباء للملابسة وقيل هي زائدة وإلحادا مفعوله وقيل هي للتعدية لتضمينه معنى يتلبس"[٦] فتقديمه القول بإفادة الباء معنى الملابسة، وذكر القول بالزيادة بصيغة التمريض "قيل" دليل على أنه ناقل لا معتنق لهذا الرأي.

---

[١] الشعراء، آية ١١١.

[٢] يونس، آية ٨٣.

[٣] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،ج٣، ص٧٧.

[٤] الشيخ أحمد بن محمد بن عمر قاضي القضاة الملقب بشهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، صاحب التصانيف السائرة وأحد أفراد الدنيا المجمع على تفوقه وبراعته له كتاب" شفاء الغليل فيما في كلام الله من الدخيل" وكتاب "ديوان الأدب" توفي سنة ١٠٦٩هـ، ينظر المحبي، خلاصة الأثر،ج١، ص٣٣١.

[٥] الحج، آية ٢٥.

[٦] الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي،ج٦، ص٥٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتضح مما سبق أن القول بالزوائد هو قول من يقفون عند ظواهر المعاني ولا يستجلون أسرار الحروف وهو قول واه لا تقوم له قائمة أمام البحث في أسرار النظم، ذلك لأنه ما من حرف في القرآن إلا وجاء لإفادة معنى من المعاني. لذا كان للمفسرين موقف يحمدون عليه لأن أغلبهم رفضوا القول بالزيادة.

يقول الدكتور فضل حسن عباس:

"إن ما أسموه زائدا أو صلة عندما ننعم النظر فيه فإننا لا نتردد أي تردد ولا نرتاب أدنى ريب، بأن هذا الذي سموه زائدة لم يكن للتأكيد فحسب، ولم يكن ليجمل به الإيقاع فقط، وليس ظاهرة أسلوبية -كما قيل- إنما هو بعد ذلك كله أمر اقتضاه المعنى وحتمته الحكمة البيانية والحكمة العقلية كذلك فلو ذهب من الكلام لذهب جزء جوهري من المعنى فهي بحق برهان ساطع على إعجاز هذا الكتاب، بل هي من أهم روافد هذا الإعجاز".[١]

ثانيا: التناوب:

كثير ما يعترض القارئ تعدية لفظ باكثر من حرف وهذ الأمر لا غضاضة فيه ففي المجال اللغوي إذا كان هذا اللفظ مما يتعدى بأكثر من حرف، فبمحاولة إدراك الفروق الدقيقة وما تشيعه من دلالات في التركيب يمكن الوقوف على سر تعدية اللفظ بحرف دون آخر، ولكن الأمر يصبح أكثر تعقيدا حين يتعدى الحرف بلفظ غير شائع تعديته به على ألسنة الفصحاء،[٢] حينئذ ذهب بعض النحاة إلى ابتداع ما يسمى بالتناوب تعليلا لهذه الظاهرة.

---

[١] د. فضل حسن عباس،لطائف المنان، ص ٦٢-٦٣.

[٢] محمد الخضري،من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، ص١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالتناوب هو دخول حروف المعاني بعضها مكان بعض[١] دون أن يحدث هذا تغييرا في المعنى، وممن قال بهذا الرأي الفراء[٢] في معانيه والذي قال بتعاقب كثير من الحروف في الآيات الكريمة[٣] وابن قتيبة[٤] الذي خصص بابا لدخول حروف الصفات بعضها مكان بعض[٥] والهروي[٦] كذلك خصص بابا لهذا الأمر وسماه "بابا لدخول حروف الخفض بعضها مكان بعض".[٧]

ويحتجون لذلك بقوله تعالى: "من أنصاري إلى الله"[٨] أي مع الله ويقولون: إن في تكون بمعنى على ويحتجون بقوله عز اسمه "ولأصلبنكم في جذوع النخل"[٩] أي عليها.[١٠]

ولقد وجهت إلى هذا الأسلوب عبارات النقد اللاذعة ولم أجد من يخصه بكلمات ترفع من قدره وتعلي من شأنه كغيره من الأساليب العربية، فابن جني يقول: "هذا باب يتلقاه الناس

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

(١) الهروي، الأزهية، ص٢٧٧، بتصرف يسير.

(٢) يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي مولى بني أسد المعروف بالفراء، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، توفي سنة ٢٠٧هـ، من كتبه "المقصود والممدود" و"المعاني" ويسمى معاني القرآن. ينظر الزركلي، الأعلام،ج٨، ص١٤٦، ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٦، ص١٧٦.

(٣) ينظر الفراء، معاني القرآن،ج٣، ص٢٤٣.

(٤) عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد من أئمة الأدب ومن المصنفين المكثرين من كتبه تأويل مختلف الحديث وأدب الكاتب وكتاب المعاني، توفي سنة ٢٧٦هـ، ينظر الزركلي، الأعلام،ج٤٠،١٣٧. ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٣، ص٤٢.

(٥) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٥٦٧.

(٦) علي بن محمد الهروي النحوي، صنف كتابا كبيرا في النحو وله كتاب في معاني العوامل سماه الأزهيه، ينظر القفطي، أنباه الرواة، ج٢، ص ٣١١.

(٧) ينظر الهروي، الأزهية، ص ٢٠٧.

(٨) آل عمران، آية ٥٢.

(٩) طه، آية ٧١.

(١٠) ابن جني، الخصائص،ج٢، ص٣٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معسولا ساذجا من الصنعة وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه".[١]

فأبو هلال العسكري[٢] رفض مبدأ تعاقب الحروف لأنها إذا "تعاقبت خرجت عن حقائقها ووقع كل واحد فيها بمعنى الآخر فأوجب ذلك أن يكون لفظان مختلفان لهما معنى واحد فأبى المحققون أن يقولوا بذلك وقال به من لا يتحقق المعاني"[٣] كما وصف بأنه مذهب ظاهرية النحاة[٤] ولا يسلك طريقه "إلا بليد الطبع ضيق العطن[٥]". [٦]

ولكن المحققين من أهل اللغة لم يرتضوا القول بالتناوب منهجا لهم وذلك لأنه يتعارض مع دقة اللغة وإحكام سبكها. وهم إذ يرفضون جعل التناوب منهجا لتعليل حلول بعض الحروف مكان بعض فهم يضعون المنهج البديل لهذا الخروج "يعمل عليه ويؤمن التزام الشناعة لمكانه"[٧] وذلك عن طريق تعدية الفعل بالحرف الذي يتعدى به آخر إذا تضمن معناه[٨] وهذا ما عبر عنه ابن هشام بالإشراب كما مر سابقا.

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

وإما عن طريق اللجوء إلى التأويل في الحرف مثل استعارة الحرف الذي تعدى به الفعل لمعنى الحرف الذي كان ينبغي أن يتعدى به على طريق الاستعارة التبعية كاستعارة في لمعنى

---

(١) ابن جني، الخصائص،ج٢، ص٣١٣.

(٢) الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري أبو هلال عالم بالأدب، من كتبه التلخيص، ومعجم في اللغة وجمهرة الأمثال، وكتاب الصناعتين، توفي بعد سنة ٣٩٥هـ. ينظر الزركلي، الأعلام،ج٢، ص١٩٦.

(٣) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص ١٢-١٣.

(٤) ينظر ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد،ج٢، ص٢١.

(٥) العطن لغة: العين والطاء أصل واحد يدل على إقامة وثبات، والعطن للإبل كالوطن للناس وقد غلب على مبركها حول الحوض. ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة عطن، ابن منظور، لسان العرب، مادة عطن.

(٦) الزمخشري، الكشاف،ج٢، ص٣٨١.

(٧) ابن جني، الخصائص،ج٢، ص٣١٣.

(٨) ينظر المصدر السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على في قوله تعالى: "ولأصلبنكم في جذوع النخل[١]". [٢]

والذي يهم في هذا المبحث معرفة موقف المفسرين من التناوب فقد كانت هذه القضية محط أنظارهم باعتبارها وسيلة من وسائل أداء المعنى، ونظرة المفسر إلى أمور اللغة غالبا ما تكون نظرة عميقة واقفة على أبعاد الأمر متجردة عن الأهواء السابقة للبحث والتي غالبا ما تؤدي إلى النظرة الجزئية العاجزة عن الثبات والاطراد، لذا كان من المناسب الوقوف على آرائهم.

فالفراء والأخفش يمثلان موقف المجيزين لوجود التناوب في القرآن على أنه أسلوب من أساليب العربية وإن كنا نلمس عند الفراء وجود ضبط للموضوع حيث اشترط في الحرفين المتعاقبين وجود تقارب بينهما من حيث المعنى كقوله مثلا: "وعلى تصلح في موضع اللام لأن معناها يرجع إلى شيء واحد"[٣] لذا نجده في تعليل تعدية يصلبنكم بحرف في وذلك في قوله تعالى: "ولأصلبنكم في جذوع النخل"[٤] يحاول إيجاد وجه مناسبة بين تعدية الفعل بحرف في وبحرف على حيث يقول:

---

[١] طه، آية ٧١.

[٢] محاضر جلسات دورة العقاد مجمع اللغة العربية لسنة ١٩٣٤م، أحمد الاسكندري، بحث بعنوان التضمين، مجلة مجمع اللغة العربية، ص١٨٠-١٨١.

[٣] الفراء، معاني القرآن،ج٢، ص٣٩٥. ينظر محمود الصغير، الأدوات في كتب التفسير، ص٤١٦، رسالة دكتوراه.

[٤] طه، آية ٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وإنما صلحت في لأنه يرفع في الخشبة في طولها فصلحت في وصلحت على لأنه يرفع فيها فيصير عليها".[١]

لكن هذا الأمر لم يكن ملحوظا عند الأخفش الذي أطلق القول بالزيادة دون ضبط أو بيان.

ففي سياق بيان معنى قوله تعالى: "وإذا خلوا إلى شياطينهم"[٢] يقول: "وتكون إلى في موضع مع نحو "من أنصاري إلى الله"[٣] كما كانت من في معنى (على) في قوله "ونصرناه من القوم"[٤] أي على القوم كما كانت الباء في معنى على في قوله مررت به ومررت عليه، وفي كتاب الله عزوجل: "من إن تأمنه بدينار"[٥] يقول على دينار وكما كانت (في) في معنى (على) نحو: "في جذوع النخل"[٦] يقول "على جذوع النخل".[٧]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما الطبري فذهب إلى أن بقاء الحرف على أصله أولى من القول بالتناوب ففي سياق تفسيره لقوله تعالى "وإذا خلوا إلى شياطينهم"[٨] يرى أن لكل حرف من حروف المعاني وجها "هو أولى به من غيره فلا يصلح تحويل ذلك إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها، ولـ إلى في كل

---

(١) الفراء، معاني القرآن،ج٢، ص١٨٦.
(٢) البقرة، آية ١٤.
(٣) آل عمران، آية ٥٢.
(٤) الأنبياء، آية ٧٧.
(٥) آل عمران، آية ٧٥.
(٦) طه، آية ٧١.
(٧) الأخفش، معاني القرآن،ج١، ص٤٦.
(٨) البقرة، آية ١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موضع دخلت من الكلام حكم غير جائز سلبها معانيها في أماكنها".[١]

أما الزمخشري صاحب القدم الراسخة في علمي المعاني والبيان فلم تكن هناك حاجة تستدعي لجوءه إلى التناوب ليعلل خروج الحروف -في بعض المواضع- عن ظواهر استعمال العرب لها لذا فهو يقسو في بعض عباراته على من يقول بالتناوب ففي تفسير قوله تعالى: "يجري إلى أجل مسمى"[٢] يقول: "فإن قلت يجري لأجل مسمى ويجري إلى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن. ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لأن قولك يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه، وقولك يجري لأجل مسمى تريد إدراك أجل مسمى تجعل الجري مختصا بإدراك أجل مسمى".[٣]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز الرسائل الجامعية

ولكن المنهج السابق لم يكن مطردا في ثنايا تفسيره ففي سياق تفسير قوله تعالى: "وقالوا قلوبنا في أكنة"[٤] يقول: "فإن قلت هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد؟ قلت هو نمط واحد لأنه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في أكنة وعلى قلوبنا أكنة".[٥] فهو يلجأ إلى التناوب حين يستغلق عليه سر إيثار حرف في موضع دون الآخر.

على أن أبا حيان كان صريحا في تضعيف فكرة نيابة الحروف وقد سماه تضمينا وانتحى

---

(١) الطبري، جامع البيان،ج١، ص٢٩٨، ٢٩٩.
(٢) لقمان، آية ٣٠.
(٣) الزمخشري، الكشاف،ج٣، ص٤٨٧.
(٤) فصلت، آية ٥.
(٥) الزمخشري، الكشاف،ج٤، ص١٨٠-١٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يراعى فيه قدسية الحرف ويكشف عن سر انتقائه دون غيره معتمدين المعنى قاعدة في توجيهاتهم وقد سبق أن أومأت إليه بعبارة سريعة. وفي هذا الموضع سأوضح هذا المنهج مدعما بالأمثلة وأولى دعائم هذا المنهج هو إشراب لفظ معنى لفظ آخر فيأخذ حكمه لمناسبة بين اللفظين.[١]

وفي هذا رد لكثير من التوجيهات التي تذهب إلى زيادة حرف أو نيابته عن آخر، ففي قوله تعالى "فيكيدوا لك كيدا"[٢] ذهب بعضهم إلى القول بزيادة اللام،[٣] لأن الكيد مما يتعدى بنفسه ولكن القول بالزيادة -كما رأينا. قول واه لا يثبت أمام البحث اللغوي المتجرد من الأهواء السابقة، لذا ارتأى محققو هذا الأمر تضمين الكيد معنى الاحتيال[٤] وفي هذا تعليل لتعدية الفعل في ضوء علم البيان وفيه مراعاة لحرمة الحرف فلا خروج عن نطاقه الموضوع له في أصل اللغة.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثاني دعائم هذا المنهج هو الكشف عن الفروق اللغوية والجمالية المترتبة على المخالفة بين الحروف اعتمادا على معانيها وقدراتها الكامنة في التعبير عن دقيق المعاني وظلالها التي تنشرها على السياق.

---

(١) ينظر ابن هشام، مغني اللبيب؛ ابن جني الخصائص،ج٢، ص٣٠٨.

(٢) يوسف، آية ٥٥.

(٣) ينظر العكبري، التبيان في إعراب القرآن،ج٢، ص٧٢٢.

(٤) ينظر أبو حيان، البحر المحيط،ج٥، ص٢٨١؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي،ج٥، ص٢٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي قوله تعالى "الذين هم عن صلاتهم ساهون"[١] أشار الخطابي[٢] إلى أن أبا العالية[٣] في هذه الآية لم يفرق بين حرف "عن" و"في" وذكر الخطابي رد الحسن له فقال: "ألا ترى قوله عن صلاتهم يؤيد أن السهو الذي هو الغلط في العدد إنما يعرض في الصلاة بعد ملابستها فلو كان هو المراد لقيل في صلاتهم ساهون، فلما قال "عن صلاتهم" دل على أن المراد به الذهاب عن الوقت"[٤]

فابن جني في الخصائص يبين سر استئثار حرف على في بعض المواضع دون اللام بما يرجع إلى خواص الحروف حيث يقول: "وقد يستعمل على في الأفعال الشاقة المستثقلة تقول سرنا عشرا وبقيت علينا ليلتان، وقد حفظت القرآن وبقيت علي منه سورتان.. وإنما اطردت على في هذه الأفعال من حيث كانت على في الأصل للاستعلاء فلما كانت هذه الأحوال كلفا ومشاقا تخفض ركبة الإنسان وتضعفه وتفرعه حتى يخنع لها ويخضع لما يتسداه فيها كان ذلك من مواضع على، ألا تراهم يقولون:هذا لك وهذا عليك فتستعمل اللام فيما تؤثره وعلى فيما تكرهه".[٥]

ولقد كان المفسرون أقرب من غيرهم إلى إدراك أسرار الحروف، والأسرار البيانية

---

(١) الماعون، آية ٥.

(٢) الخطابي: محمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي أبو سليمان، فقيه محدث من أهل بست من بلاد محايل له معالم السنن وبيان إعجاز القرآن وإصلاح غلط المحدثين. توفي سنة ٣٨٨هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص٢١٤.

(٣) رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي البصري مولى امرأة من بني رياح بن يربوع، أدرك الجاهلية وأسلم بعد موت النبي ﷺ وقال أبو بكر بن داود ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية وبعده سعيد بن جبير، توفي سنة ٩٠هـ. ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج٩، ص٢١٨.

(٤) الخطابي، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٣٢-٣٣.

(٥) ابن جني، الخصائص،ج٢، ص٢٧٠-٢٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المترتبة على توخي أغراض النظم، ومعرفة الأحوال الداعية وراء العدول عن حرف إلى آخر[١] ولعل الزمخشري كان أكثر المفسرين قدرة على استجلاء أسرار الحروف بالوقوف على أسرار النظم ففي قوله تعالى "قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين"[٢]

يقول: "فإن قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال؟ قلت لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركض كيف شاء والضلال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه[٣]". فالمعنى عند الزمخشري يسري إلى اللفظ بحكم اتصاله بالحرف فيحدد وجهته التي يسلكها.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وأبو حيان في تفسير قوله تعالى "فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون"[٤] يقول "وعلى معناها الاستعلاء المجازي كأنه لتحديقهم إليه وارتفاع أبصارهم لرؤيته مستعل على أبصارهم"[٥]

والألوسي في تفسير قوله تعالى "أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون"[٦] يقول معللا إيثار النظم لحرف الاستعلاء دون حرف الاختصاص: "وأتى بعلى إشارة إلى أنهم منغمسون في ذلك وقد غشيهم وتجللهم فهو أبلغ من اللام".[٧]

---

(١) ينظر د. محمود الصغير، الأدوات في كتب التفسير، ص ٥١٣، رسالة دكتوراه.
(٢) سبأ، آية ٢٤.
(٣) الزمخشري، الكشاف،ج٣، ص٥٦٤-٥٦٥.
(٤) الأنبياء، آية ٦١.
(٥) أبو حيان، البحر المحيط،ج٦، ص٣٢٤.
(٦) البقرة، آية ١٥٧.
(٧) الألوسي، روح المعاني،ج٢،٢٣-٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشهاب الخفاجي يقول معللا تعدية أنعمت بحرف على في قوله تعالى "صراط الذين أنعمت عليهم"[١]: "لما فيها من الإيصال والإنعام كان حقها أن تعدى بإلى لكنها عديت بعلى إشارة لعلو المنعم".[٢]

فحروف المعاني عند المفسرين "تحمل مدلولا تعبيريا أساسيا وتملك موقعا تركيبيا لا يقل شأنا عما تقوم به الأسماء أو الأفعال بل هي تحل محلها وتغني عنها في بعض مواقعها".[٣]

فالطبري يرى أن حروف المعاني تقوم مقام كلمات فـ من التبعيضية هي اختصار لكلمة التبعيض فإذا قال القائل: أصبنا اليوم عند فلان من الطعام كان المراد شيئا منه. وعلى واللام تقعان مع مجروريهما مواقع الأسماء، فيجوز التعاطف بينهما وتسد مسد معانيها، يقول في توجيه قوله تعالى "ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر"[٤] "فإن قال قائل وكيف عطف على المريض وهو اسم بقوله: أو على سفر، وعلى صفة لا اسم، قيل جاز أن ينسق بـ (على) على المريض لأنها في معنى الفعل، وتأويل ذلك أو مسافرا كما قال تعالى ذكره: "دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما"[٥] فعطف بالقاعد والقائم على اللام الذي في جنبه لأن معناها الفعل، كأنه قال: "دعانا مضطجعا أو قاعدا أو قائما" [٦]".

---

(١) الفاتحة، آية ٧.

(٢) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي،ج٢، ص٢٠٨.

(٣) د. محمود الصغير، الأدوات في كتب التفسير، ص ٤٩١، رسالة دكتوراه.

(٤) البقرة، آية ١٨٥.

(٥) يونس، آية ١٢.

(٦) الطبري، جامع البيان،ج٢، ص١٥٥-١٥٦. ينظر د. محمود الصغير، الأدوات في كتب التفسير، ص ٤٩١.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الرابع

موقف المفسرين من التضمين*

قام المفسرون بجهود مشكورة في محاولة إيضاح معاني الآيات القرآنية وإيصالها إلى الأفهام بعبارات تعبر عن المقصود وتوضح المراد، متوخين أساليب العرب في استنباط المعاني والتعبير عن الصور البلاغية.

والتضمين كان أحد وسائلهم في التفسير، فالمفسر يتعامل مع نص معطاء مفعم بالأساليب العربية التي من شأنها التعبير عن المراد بأقصر طريق وأروع أسلوب، لذا فلا عجب أن تتجه الأنظار نحو أسلوب التضمين كوسيلة من وسائل الكشف عن مقاصد الآيات الظاهرة والخفية، فلم يكتفوا بالإشارة إلى هذا المفهوم بل عرفوه، وحاولوا وضع معالم له ظهرت في ثنايا تفسيرهم للآيات الكريمة، لذا كان من الأهمية بمكان دراسة موقف بعضهم ممن عني بتوظيف هذا الأسلوب في تفسيره.

وسيقصر الحديث عن موقف أشهر من لمست عنايته بهذه القضية من المفسرين كالزمخشري، وأبي حيان، والشيخ زاده،[1] والشهاب الخفاجي وابن عاشور وسأعرض صفحاً عن غيرهم لأن التضمين جاء في تفاسيرهم عرضاً دون أن يتبع بشيء من التوضيح كما هو الحال عند أبي السعود. أو لم يجرِ له ذكر كما هو الحال عند الجصاص[2].

---

* الآيات الواردة في هذا المبحث سيتم بيان الرأي الراجح فيها في الفصل التطبيقي من هذه الدراسة.

(١) هو محمد بن محي الدين بن مصطفى مصلح الدين القوجوي، مفسر من فقهاء الحنفية كان مدرساً في استانبول من مصنفاته "حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي، "وشرح الوقاية في الفيتة" و "شرح المفتاح للسكاكي"، توفي سنة ٩٥١هـ - ١٥٤٤م، ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص١٨٨؛ الزركلي، الأعلام، ج٧، ص، ٩٩.

(٢) أحمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصاص، فاضل من أهل الري سكن بغداد ومات فيها ألف كتاب أحكام القرآن، وكتاب أصول الفقه توفي سنة ٣٧٠هـ، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج١، ص١٧١.

جميع الحقوق محفوظة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإهمال أسلوب أو العناية به يعود إلى منهج المفسر وطبيعة الاتجاه الذي غُلب عليه فكانت انطلاقته منه في التوسع في بعض المفاهيم أو إهمالهما.

أولاً: موقف الزمخشري من التضمين.

الزمخشري من المفسرين الذين برعوا في علمي المعاني والبيان، وعمل على بلورة نظرية عبد القاهر الجرجاني بإخراجها إلى حيز الوجود بحلة جديدة عن طريق تطبيقها في القرآن الكريم.

ويمكن توضيح موقف الزمخشري من التضمين بالنقاط التالية:

أولاً: بيّنَ الزمخشري مفهوم التضمين بقوله: "من شأنهم أنهم يضمنون الفعل معنى فعل آخر فيجرونه مجراه ويستعملونه استعماله مع إرادة معنى المتضمن".[١]

ولعل هذا التعريف يوهم أن في التضمين إهمالاً للفظ المذكور ولكن هذا لم يكن مراد الزمخشري -رحمه الله- وهذا ظاهر في الآيات التي وجهها وفق هذا الأسلوب ففي سياق تفسير

قوله تعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا"[٢] يقول: "آلا في الأمر يألو، إذا قصر فيه ثم استعمل معدى إلى مفعولين في قولهم لا ألوك نصحاً ولا ألوك جهداً على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحاً ولا أنقصكه".[٣]

---

(١) السيوطي، الأشباه والنظائر، ج١، ص٢٤١. هذا التعريف لم يرد في كتب الزمخشري المطبوعة ولعله نقله عن كتاب لم يصل إلينا.

(٢) آل عمران، آية ١١٨.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٣٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: بين الزمخشري الغرض من التضمين وأهميته ففي سياق تفسير قوله تعالى: "وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ"[١] ذهب إلى تضمين تعد معنى نبا ثم بين الغاية من هذا التضمين بقوله "فإن قلت أي غرض في هذا التضمين؟ وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو لا تعل عيناك عنهم؟ قلت: "الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ"[٢] وهو بهذا يظهر غاية التضمين بتحقيق الإيجاز في التعبير القرآني.

ثالثاً: يذكر الزمخشري في بعض الأحيان النكتة في اعتبار التضمين ففي سياق تفسير قوله تعالى: "قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا"[٣] بين المعنى المترتب على تضمين الكيد معنى الاحتيال بقوله "ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك".[٤]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فبين الغاية من التضمين بقوله: "فيكون آكد وأبلغ في التخويف".

رابعاً: الزمخشري لا يصرح في بعض الأحيان بذكر التضمين، وإنما يذكره بعبارة يفهم منها قصد التضمين في التعبير عن المراد ففي سياق تفسير قوله تعالى: "وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ"[٥] ذكر معنى الآية بعبارة يفهم منها الذهاب إلى التضمين وإن لم يصرح بذلك حيث يقول: "أن يخدعوك فاتنين عن الذي أوحينا"[٦] مما جعل بعض المفسرين

---

(١) الكهف، آية ٢٨.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٦٩٠.

(٣) يوسف آية ٥.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٤٢٧.

(٥) الإسراء، آية ٧٣.

(٦) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٦٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتناقلون هذه العبارة ويفسرونها على أنها من قبيل التضمين.[١]

خامساً: من المواقف المحمودة للزمخشري أنه لا يلجأ إلى التضمين إذا ثبت لديه أن اللفظ مما يتعدى بأكثر من حرف ففي سياق تفسير قوله تعالى: "وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ"[٢] يقول: "يقال أحسن إليه وبه كذلك أساء إليه وبه، قال أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة".[٣] فلم يذهب إلى التضمين في هذا الموضع.

سادساً: يتوسع الزمخشري -رحمه الله- في مفهوم التضمين فهو يطلق هذا المصطلح على التضمين اللغوي الذي هو تفسير معجمي للفظ المذكور وهو من قبيل حمل النظير على نظيره فإن اللفظ إذا كان بمعنى لفظ آخر تعدى تعديته.

ففي سياق تفسير قوله تعالى: "سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ"[٤] يقول: "ضمن سأل معنى دعا فعدّى تعديته كأنه قيل دعا داع (بعذابٍ واقع) من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه"[٥]. والسؤال لغة بمعنى "استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى معرفة"[٦] وهو بهذا المعنى يتعدى بالباء دون حاجة إلى التضمين.

يقول الشهاب الخفاجي "السؤال بمعنى الدعاء فعدي بالباء والمراد به الاستدعاء والطلب

---

(١) ينظر الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٦، ص ٤٨٩ السمين الحلبي، الدار المصون، ج٧، ص ٤٣٩٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥، ص١٧١.

(٢) يوسف، آية ١٠٠.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ٤٨٦.

(٤) المعارج، آية ١.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص ٥٩٦.

(٦) الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٢٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو بهذا المعنى يتعدى بالباء كما في قوله تعالى: "يدعون فيها بكل فاكهة آمنين"[١] وليس تضمينا".[٢]

هذه هي أهم ملامح موقف الزمخشري من التضمين، نلحظ من خلالها أهمية توجيهاته التي تناقلها المفسرون فيما بعد واعتمدوها في توجيه الآيات.

ثانيا: موقف أبي حيان من التضمين:

عنى أبو حيان النحوي بمفهوم التضمين في تفسيره البحر المحيط باعتباره مخرجا نحويا لما اعترضه من خروج عن مقتضى الظاهر.

وبعد الاطلاع على تفسيره للآيات التي قيل بالتضمين فيها يمكن حصر موقفه في النقاط التالية:

أولا: يرى أبو حيان أن التضمين ليس بقياس، ولا يصار إليه إلا عند الحاجة، ويقرر هذا الأمر في أكثر من موضع في ثنايا تفسيره. ففي سياق قوله تعالى: "أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون"[٣] اعترض على ما ذهب إليه الزمخشري من تضمين حسب معنى قدر[٤] حيث يقول: "وأما قوله ويجوز أن تضمن حسب معنى قدر فتعين أن وما بعدها في موضع مفعول واحد والتضمين ليس بقياس ولا يصار إليه إلا عند الحاجة وهذا لا حاجة إليه"[٥]

ثانيا: أبو حيان يقدم التضمين على المخارج النحوية الأخرى فهو يقدم التضمين على الإضمار، ففي سياق تفسير قوله تعالى: "أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله"[٦] بين الاحتمالات

---

(١) الدخان، آية ٥٥.

(٢) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٩، ص٢٦٤.

(٣) العنكبوت، آية ٤.

(٤) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص ٤٢٦.

(٥) أبو حيان، البحر المحيط، ج٧، ص ١٣٦-١٣٧.

(٦) الأعراف، آية ٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: أبو حيان يقدم التضمين على المخارج النحوية الأخرى فهو يقدم التضمين على الإضمار، ففي سياق تفسير قوله تعالى: "أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله"[١] بين الاحتمالات الواردة في تعليل عطف مما رزقكم على الماء مع أن الرزق لا يناسبه الإفاضة، ورجح التضمين على الإضمار في تعليل هذا العطف، فقال: "ويحتمل وجهين، أحدهما أن يكون أفيضوا ضمن معنى ألقوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله فيصح العطف ويحتمل وهو الظاهر من كلامه[٢] أن يكون أضمر فعلا بعد أو يصل إلى مما رزقكم الله وهو ألقوا، وهما مذهبان للنحاة فيما عطف على شيء بحرف عطف والفعل لا يصل إليه والصحيح منها التضمين لا الإضمار على ما قررناه في علم العربية[٣]"[٤] كما أنه يرجح التضمين على القول بالتناوب ففي سياق تفسير قوله تعالى: "والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين"[٥] يقول "وحفظ لا يتعدى بعلى فقيل على بمعنى من أي إلا من أزواجهم كما استعملت من بمعنى على في قوله: "ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا"[٦] أي على القوم قاله الفراء وتبعه ابن مالك وغيره والأولى أن يكون من باب التضمين ضمن حافظون معنى ممسكون أو قاصرون وكلاهما يتعدى بعلى كقوله: "أمسك عليك زوجك".[٧]

---

(١) الأعراف، آية ٥٠.

(٢) يقصد من كلام الزمخشري.

(٣) ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج٢، ص ٦٣٥.

(٤) أبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص٣٠٧.

(٥) المؤمنون، آية ٥، ٦.

(٦) الأنبياء، آية ٧٧.

(٧) أبو حيان، البحر المحيط، ج٦، ص٣٦٦، ٣٦٧.

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أنه يرجح التضمين على القول بالزيادة، ففي تفسير قوله تعالى: ": "وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ"[١] يقول: "اللام في لمن قيل زائدة للتأكيد كقوله "عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ"[٢] أي ردفكم...، والأجود أن لا تكون اللام زائدة بل ضمّن آمن معنى أقر واعترف فعدى باللام".[٣]

ثالثاً: أبو حيان لم يقف من أقوال غيره ممن قال بالتضمين في الآيات الكريمة موقف الناقل المتكئ على آرائهم، بل وقف موقف الناقل الناقد المحلل مظهراً شخصيته العلمية في التوجيه والمناقشة.

ففي سياق تفسير قوله تعالى: "وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ"[٤] أبدى أبو حيان اعتراضاً على قول الزمخشري الذي ذهب إلى تضمين التكبير معنى الحمد ليصير المعنى عليه ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم،[٥] فاعترض أبو حيان على المعنى الذي تصير إليه الآية بعد التضمين بقوله: "هو تفسير معنى لا تفسير إعراب، إذ لو كان تفسير إعراب لم تكن متعلقة بتكبروا المضمنة معنى الحمد إنما تكون متعلقة بحامدين التي قدرها والتقدير الإعرابي هو أن تقول كأنه قيل ولتحمدوا الله بالتكبير على ما هداكم".[٦]

رابعاً: يذكر في بعض الأحيان وجه المناسبة بين اللفظ المذكور والمضمن ففي سياق

---

(١) آل عمران، آية ٧٣.

(٢) النمل، آية ٧٢.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، ج٢، ص ٥١٨.

(٤) البقرة، آية ١٨٥.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٢٢٦.

(٦) أبو حيان، البحر المحيط، ج٥٢، ص ٥١؛ ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٦، ص ١١٤؛ ينظر نفس المصدر، ج١، ص ٥٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تفسير قوله تعالى: "هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله"[١] فبعد أن ذهب إلى تضمين تنقمون معنى الإصابة بالمكروه بين وجه المناسبة بين اللفظين حيث يقول: "ومناسبة التضمين فيها أن من عاب شخصا فعله فهو كاره له لا محالة ومصيبة عليه بالمكروه".[٢]

خامسا: اختلال بعض ضوابط التضمين في الآيات التي وجهها وفق هذا الأسلوب، فهو يقول بالتضمين وإن كان اللفظ يتعدى بأكثر من حرف في أصل استعماله اللغوي، ففي سياق تفسير قوله تعالى: "وبالوالدين إحسانا"[٣] يقول: "وأحسن وأساء يتعدى بإلى وبالباء قال تعالى: "وقد أحسن بي"[٤] وقال الشاعر: أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة وكأنه تضمن أحسن معنى لطف فعدي بالباء"[٥]. وهو يلجأ إلى التضمين مع كون المقام لا يحتاج إليه.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

ففي سياق تفسير قوله تعالى: "وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها"[٦] ذهب إلى أن تعدية اركبوا بفي لتضمينه معنى صيروا فيها أو معنى ادخلوا فيها.[٧] مع أن حرف في جاء لإفادة معنى الظرفية المجازية دون حاجة إلى القول بالتضمين.

كما أنه قد يضمن اللفظ المذكور معنى آخر مع عدم وجود معنى إضافي يضيفه اللفظ المضمن للفظ المذكور.

---

[١] المائدة، آية ٥٩.

[٢] أبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ص ٥٢٨.

[٣] الإسراء، آية ٢٣.

[٤] يوسف، آية ١٠٠.

[٥] أبو حيان، البحر المحيط، ج٨، ص ٨٥.

[٦] هود، آية ٤١.

[٧] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٥، ص ٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي سياق تفسيره لقوله تعالى: "إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول"[١] جوز تضمين عهد معنى ألزم.[٢] مع أن الإلزام من مقتضيات العهد، فالعهد إلزام بأمر ما على وجه الفعل أو الترك.[٣]

هذه هي أهم السمات الظاهرة للتضمين في تفسير أبي حيان البحر المحيط، تمثل فيها -رحمه الله- في صورة النحوي الباحث عن مسوغ لما اعترضه من خروج بعض الآيات عن مقتضى الظاهر.

ثالثا: موقف الشيخ زاده من التضمين.

وجه الشيخ زاده في حاشيته على تفسير البيضاوي كثيرا من الآيات وفق أسلوب التضمين. أولا: بين الشيخ زادة معنى التضمين بقوله: "أن يقصد بلفظ فعل معناه الحقيقي ويلاحظ معه معنى آخر يناسبه ويدل عليه بذكر شيء من متعلقات الآخر".[٤] ثانيا: وضح الشيخ زادة الغاية من التضمين في سياق تفسيره للآيات التي وجهها وفق هذا الأسلوب، ففي سياق تفسير قوله تعالى: "لتكبروا الله على ما هداكم"[٥] يقول: "والمعنى لتشكروا الله بأن تكبروا وتهللوا عند الإحلال فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته بعلى".[٦] فغاية التضمين كما يقرر الشيخ زاده اختصار الكلام.

ثالثا: من المواقف التي تحمد للشيخ زادة والتي من شأنها إبراز أهمية التضمين ذكره -في

---

[١] آل عمران، آية ١٨٣.

[٢] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ص ١٣٨.

[٣] ينظر الزبيدي، تاج العروس، مادة عهد.

[٤] الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج١، ص٨٤. وذلك في سياق تفسيره لقوله تعالى: "يؤمنون بالغيب" البقرة، آية٣.

[٥] الحج، آية ٣٧.

[٦] الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج٣، ص ٣٨٦.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع رسائل الدكتوراه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كثير من الأحيان- المعنى الإعجازي المترتب على القول بالتضمين وهو يعبر عن ذلك بقولـــه: "والوجه في اعتبار التضمين"[١] أو بقوله: "والنكتة في اعتبار التضمين".[٢]

ففي سياق تفسير قوله تعالى: "ويكون الرسول عليكم شهيدا"[٣] ضمن شهيد معنى رقيـب و مطلع ثم قال: "والوجه في اعتبار التضمين الإشارة إلى أن التعديل والتزكية إنما يكون عن خبرة ومراقبة بحال الشاهد فإذا شهد منه الرشد والصلاح في الخلوات عدله وزكاه وأثنـــى عليـــه وإلا سكت عنه".[٤]

رابعا: يقرر الشيخ زادة في حاشيته بعض الأمور المتعلقة بأصالة وفرعية اللفظ المضمـن، فذهب إلى أن الأصل في التضمين أن يجعل اللفظ المضمن أصلا والمذكور في اللفظ حالا لمـــا فيه من الاعتناء بشأن المتروك بجعل حرف الجر المذكور مع الفعل الملفوظ صلة المتروك".[٥]

ولكنه لا ينكر حدوث العكس بجعل الفعل المذكور أصلا والمضمن حالا كمـــا فـــي قولـــه تعالى: "وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك"[٦] حيث يقول: "عن في قوله عن قولك متعلقا بقولـــه تـــاركي باعتبار ما ضمنه من معنى الصد والإعراض وجعل الفعل المذكور أصلا والمضمن حالا".[٧]

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص ٤٤٨؛ ينظر: المصدر نفسه، ج٣، ص٢٥٨.

(٢) المصدر السابق، ج٣، ص٧٤.

(٣) البقرة، آية ١٤٣.

(٤) الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج١، ص ٤٤٨.

(٥) الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج٣، ص ٥٠.

(٦) هود، آية ٥٣.

(٧) الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج٣، ص ٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشيخ زاده يبين وجه المناسبة في التضمين فيقصرها على ضرورة وجود مناسبة بين الحرف المذكور وصلته، ففي سياق تفسير قوله تعالى: "إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي".[١] يقول: "ضمن أحببت معنى أنبت فتعدى تعديته كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربي أي جعلته نائباً، فظهر منه أنه لا يلزم أن يكون المضمن من لوازم المتضمن بل يكفي أن يكون الحرف المذكور صلته"[٢]، ولعل هذا الأمر دفعه إلى تضمين اللفظ المذكور معناه اللغوي دون أن يكون هناك وجه مغايره بينهما. ففي سياق تفسير قوله تعالى: "يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا"[٣] وافق البيضاوي في تضمين يسطون معنى يبطشون[٤] مع أن سطا بمعنى بطش لغة[٥] فلا حاجة لتضمينه لتصح التعدية.

هذه هي أهم ملامح التضمين التي يمكن استخلاصها من حاشية الشيخ زادة حيث يلحظ عليه سيره وفق شروط وضوابط التضمين وهو لا يكتفي بتوجيه الآيات وفق هذا الأسلوب بل يؤصل لهذا المفهوم وهذا ديدنه في تفسيره. فمن الملاحظ أنه يهتم بالتقعيد لمعظم المعلومات النحوية والبلاغية الواردة في تفسيره.

رابعا: موقف الشهاب الخفاجي من التضمين.

وقف الشهاب الخفاجي من التضمين –في حاشيته على تفسير البيضاوي عناية القاضي وكفاية الراضي– موقفا مميزا ينم عن باع طويل في هذا الفن ومعرفة بدقائقه، ويمكن تلخيص موقف الشهاب بالنقاط التالية. أولا: لم يكتف الشيخ بإيضاح مقاصد البيضاوي من توجيه للآيات

---

(١) ص، آية ٣٢.

(٢) الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج٤، ص١٨٢.

(٣) الحج، آية ٧٢.

(٤) الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج٣، ص ٣٩٤.

(٥) ينظر الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٢٣٢.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكريمة وفق هذا الأسلوب بل نجده يمحص الأقوال ويميز بين مقبولها ومردودها، لـذا جـاءت أقواله أقرب للقبول وأبعد عن التكلف في الحمل، فكثيرا ما نجده يرد القول بـالتضمين حيـن لا يستقيم الأمر مع شروطه وضوابطه.

ففي سياق تفسير قوله تعالى: "والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين"[١] يقول "ظاهره أنه متعد بعلى دون تضمين، ولم يؤخذ مما في الحفظ مـن معنـى المنع والإمساك لأن حرف الاستعلاء يمنعه ولا يخفى أنه تكلـف وتعسـف إذ لا حاجـة إلـى التضمين".[٢]

كما أنه يمحص الأقوال الواردة في تضمين الآيات فهو لا يكتفي بتبيين الآراء بل يرجـح ويبين مدى صلاحيتها لتكون رأيا يعتد به، ففي سياق تفسير قولـه تعـالى: "وليضربن بخمرهن على جيوبهن"[٣] ينقل رأي أبي حيان في تضمين يضربن معنى الوضع ولكنه يعقب ذلك بقوله:

"في مفردات الراغب[٤] ما يخالفه فإنه جعله متعديا بها دون تضمين".[٥]

ثانيا: الشهاب يميز بين التضمين بمعناه اللغوي والتضمين الاصطلاحي الذي هـو مـدار البحث في هذه الدراسة، وهذا التفريق ينشأ عن اشتراط وجود مغـايرة بيـن اللفـظ المذكـور والمضمن وإلا لدخل العبث إلى الغاية من التضمين فلا معنى لتضمين لفـظ معنـاه المعجمـي

---

[١] المؤمنون، آية ٥، ٦.

[٢] الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٦، ص٥٥٨-٥٥٩، لمزيد من التوضيح يمكن الرجـوع إلى المصدر المذكور.

[٣] النور آية، ٣١.

[٤] الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني المعروف بالراغب، أديب من الحكمـاء العلماء، من كتبه محاضرات الأدباء والذريعة إلى أحكام الشريعة، توفي سنة ٥٠٢هـ. حاجي خليفـة، كشـف الظنون، ج١، ص٣٦.

[٥] الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٧، ص ٤١؛ ينظر: المصدر السابق، ج٥، ص ٥٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالشهاب لم يخلط بين هذين اللونين كما فعل غيره من المفسرين فالتفريق بينهما يحتاج إلى دربة في هذا الموضوع وذخيرة لغوية واسعة تخوله الوقوف على الفروق اللغوية بين الألفاظ.

ففي سياق تفسير قوله تعالى: "ومن يسلم وجهه إلى الله"[١] يعقب على ما ذهب إليه البيضاوي من "أن تعدية الاسلام باللام لتضمنه معنى الإخلاص"[٢] قائلا: "فالمراد بالتضمين في كلامه كونه ملاحظا في ضمن معناه متعديا بحسبه لا مطاوع التضمين الإصطلاحي".[٣]

ثالثا: كما أن الشهاب الخفاجي -رحمه الله- يميز بين التضمين والمعاني البلاغية الأخرى التي جاء النظم على خلاف الظاهر لإفادتها.

ففي سياق تفسير قوله تعالى: "فاصطبر لعبادته"[٤] يقول: "أي والمعروف تعديته بعلى لما فيه من معنى الثبوت المتعدي بها، كأنه قيل: اصبر ثابتا على طريق التضمين المعروفة، جعل العبادة بمنزلة القرن[٥] إشارة إلى قوله رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، وقيل إنه استعارة تبعية ملوحة إلى مكنية بجعل العبادة بمنزلة القرن والصبر والمداومة عليها بمنزلة الثبات له ولو كان تضمينا لم يحتج إلى أن العبادة بمنزلة القرن".[٦]

وفي سياق تفسير قوله تعالى: "ألم ترى أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا"[٧] علق على

---

[١] لقمان، آية ٢٢.

[٢] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٢، ص ٢٣٠.

[٣] الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٧، ص ٤٢٥.

[٤] مريم، آية ٦٥.

[٥] يقصد بهذا الشيخ البيضاوي حيث علل تعدية اصطبر باللام بقوله "وإنما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب: اصطبر لقرنك" البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٢، ص ٣٦.

[٦] الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٦، ص ٢٩٥.

[٧] مريم، آية ٨٣.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تفسير البيضاوي الإرسال بالتسلط[١] بقوله: "فسره به على التجوز أو التضمين لتعديته بعلى"[٢] ولا يخفى أن مقابلة التجوز بالتضمين يقتضي أنه وجه آخر مغاير له.

رابعا: الشهاب -رحمه الله- يتمسك بشروط التضمين وضوابطه؛ فهو لا يلجأ إلى التضمين إذا أمكن حمل اللفظ على حقيقته ويلحظ هذا في سياق تفسيره لقوله تعالى: "وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة"[٣] فقد بين اختلاف أهل اللغة في تفسير هذا اللفظ، ففسره بعضهم بالقلع وبعضهم بالرفع ثم بين أنه لا حاجة إلى القول بالتضمين إن اعتمدت هذه المعاني لأنها من الأفعال التي تحتاج إلى ظروف تبين مكان وقوع الفعل.[٤]

خامسا: يذكر الشهاب في بعض الأحيان وجه المناسبة بين اللفظ المذكور والمضمن ففي سياق تفسير قوله تعالى: "لا يألونكم خبالا"[٥] ذكر وجه المناسبة بين اللفظ المذكور يألونكم وبين اللفظ المضمن وهو المنع بقوله: "لأن من قصر في حقك فقد منعك"[٦].

يتضح مما سبق أن الشيخ الخفاجي وقف من التضمين موقف المحقق، فلم يكتف بالنقل بل أردف ذلك بإيضاح هذا المفهوم محاولا وضع حدود حاجزة تمنع التداخل الذي قد ينشأ بين هذا الأسلوب وغيره من أساليب العربية المشابهة له.

خامسا: موقف ابن عاشور من التضمين

البلاغة واللغة من أظهر الموضوعات التي اهتم بها ابن عاشور في تفسير القرآن، لذا فهو

---

[١] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٢، ص ٣٩.

[٢] الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٦، ص ٣١٤.

[٣] الأعراف، آية ١٧١.

[٤] ينظر: الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٤، ص ٣٩٨.

[٥] آل عمران، آية ١١٨.

[٦] الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٣، ص١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لنجده يكثر من توجيه الآيات وفق هذا الأسلوب محاولا جني ثمار من سبقه من المفسرين في هذا الموضوع وتقديمها على مائدته الخاصة بأسلوبه الواضح وثقافته اللغوية الواسعة.

ويمكن تلخيص السمات المميزة لموقفه من التضمين بالنقاط التالية:

أولا: تعريف التضمين عند ابن عاشور موافق لتعريفه عند البيانيين فيذهب إلى أنه إذا ضمن عامل معنى عامل آخر يحذف معمول العامل المذكور ويذكر معمول ضمنه ليدل المذكور على المحذوف وذلك ضرب من الإيجاز"[١].

ثانيا: في تعريف التضمين ذكر الغاية من التضمين وهي تحقيق الإيجاز في القرآن الكريم، وهذا ما يؤكد عليه في تفسير بعض الآيات، ففي سياق تفسير قوله تعالى: "ولا تعد عيناك عنهم"[٢] بين أهمية تضمين تعدو معنى تنبو بقوله: "وهو إيجاز بديع".[٣]

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

ثالثا: توسعه الملحوظ في تخريج الآيات وفق أسلوب التضمين مما جعله في بعض الأحيان يخرج عن شروط التضمين وضوابطه.[٤] ففي سياق تفسير قوله تعالى: "ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم"[٥] جوز تضمين صدق معنى أعطى وذلك لتعدية صدق إلى مفعولين وحقه ألا يتعدى إلا إلى مفعول واحد.[٦] "مع أن صدق يتعدى -في أصل وضعه- إلى

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩، ص ٥٠.

(٢) الكهف، آية ٢٨.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥، ص ٣٠٥.

(٤) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠، ٢٢١. حيث ذهب إلى تضمين كادح معنى ساع وذلك في قوله تعالى: "يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا" الإنشقاق، آية ٦. مع أنه لا حاجة تدعو إلى التضمين، فحرف إلى جاء على أصله لإفادة معنى الانتهاء. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧، ص ١٥٣. وذلك في تفسير قوله تعالى: "ليجمعنكم إلى يوم القيامة" الأنعام، آية١٢.

(٥) آل عمران، آية ١٥٢.

(٦) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٤، ص ١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفعولين وقد يتعدى إلى واحد".[١]

كما أنه لا يراعي وجود مناسبة بين اللفظ المذكور والمضمن، ففي سياق تفسير قوله تعالى: "وقالت اخرج عليهن"[٢] ذهب إلى تضمين الخروج معنى الدخول[٣] وذلك لتعديته بحرف على مع أنه لا مناسبة بين الدخول والخروج ليصح حمل التضمين عليه.

كما أنه يلجأ إلى تضمين ألفاظ معنى ألفاظ أخرى مع إمكان إجراء اللفظ على حقيقته، ففي سياق قوله تعالى: "فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون"[٤] يقول: "وعدي طاف بحرف على لتضمينه معنى سلط أو نزل"[٥]، وهذا المعنى المضمن يمكن إفادته من تعدية طاف بحرف على الذي يفيد الاستعلاء من غير حاجة إلى التضمين، ناهيك عن أن طاف يتعدى بحرف على في أصل استخدامه اللغوي وهذا ظاهر في المعاجم اللغوية.[٦]

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

رابعا: يعتد ابن عاشور برأيه في الآيات التي ضمنها معاني أخرى -إن كان يرى أن الأرجح حمل الآية عليها- بعبارة تشعر بالقطع بأنها سر نظم الآية. ففي سياق تفسير قوله تعالى: "ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم"[٧] يقول "ولما ضمن قضي معنى بلغ ووصل عدي بـ إلى فهذا وجه تفسير الآية وسر نظمها ولا يلتفت إلى غيره في فهمها".[٨]

خامسا: من المواقف التي يحمد عليها ابن عاشور الإشارة في بعض الأحيان إلى القرائن

---

(١) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٣، ص ١٤٠. بتصرف يسير.

(٢) يوسف، آية ٣١.

(٣) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢، ص ٢٦٢.

(٤) القلم، آية ١٩.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩، ص ٨١.

(٦) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة طوف.

(٧) يونس، آية ١١.

(٨) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١١، ص ١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤكدة وجود التضمين في الآية الكريمة.

ففي قوله تعالى: "ثم اقضوا إلي ولا تنظرون"[١] ذهب إلى تضمين اقضوا معنى الإبلاغ والإيصال ودلل على ذلك بفاصلة الآية حيث يقول: "فقوله تعالى: "ولا تنظرون" تأكيد لمدلول التضمين المشار إليه بحرف إلى"[٢] وهو بهذا يؤكد على أهمية السياق في الوقوف على اللفظ المضمن.

هذه هي أهم مميزات التضمين عند هؤلاء النخبة من المفسرين ممن عنوا عناية ظاهرة بهذا الموضوع في ثنايا تفاسيرهم وعنايتهم بتوجيه الآيات وفق هذا الأسلوب هي دليل على أهمية توظيف التضمين في تفسير كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وبعد الاطلاع على أقوالهم يلحظ ما يلي:

١. أورد بعض المفسرين بيانا لمفهوم التضمين بعبارات موجزة كما هو الحال عند الزمخشري والشيخ زادة وابن عاشور بينما لم أجد هذا عند أبي حيان والشهاب الخفاجي.

٢. بين الزمخشري والشيخ زادة وابن عاشور الغاية من التضمين وهي تحقيق الإيجاز، بينما لم أجد تصريحا بهذا الأمر عند غيرهم وسكوتهم عنها لا يعني إغفاله لها وهذا ملحوظ في توجيهاتهم للآيات وفق هذا الأسلوب.

٣. حرص بعض المفسرين على بيان المعنى الإعجازي المترتب على القول للتضمين بعبارة تدل على ذلك وهذا ظاهر عند الشيخ زادة بينما قل اعتناء بعضهم بإبراز هذا الأمر وإن كان يفهم من فحوى كلامهم وشروحهم كما هو الحال عند الزمخشري.

٤. يلحظ أن المفسرين تجاوزوا شروط التضمين وضوابطه في بعض الأحيان وهذا الأمر أكثر ما يكون ظهورا عند ابن عاشور.

---

[١] يونس، آية ٧١.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١١، ص ٢٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الخامس

آراء بعض المحدثين في أسلوب التضمين

التضمين من الموضوعات التي وجه إليها عدد من الباحثين سهام النقد مثيرين الشكوك حول هذا الأسلوب، والأصول التي قام عليها، وقدرته على خدمة قضية الإعجاز، وفي هذا المبحث سأحاول عرض هذه الآراء والرد عليها بموضوعية ملتمسة الوصول إلى الحقيقة أياً كانت النتائج المترتبة على ذلك.

أولاً: رأي الدكتور العلايلي: يقول العلايلي "لما غمض على علماء العربية وجه تعدية بعض الألفاظ ولزومها احتالوا بضروب من الحيلة حتى يستوي في ملحظ مع ما يبدو من الاختلاف، وكذلك انتهى بهم الإجهاد العقلي والتفكير الطويل إلى ما دعوه بالتضمين النحوي، وهو بدون شك افتراض قدره النحوي ليعلل به هذه الظاهرة الغامضة، ودائماً كان الافتراض سنة الشرح والتفسير، فالنحوي لما أخذ يحدد مفاهيم الأدوات وانتهى إلى أن على تفيد الاستعلاء، وفي الظرفية، والباء الإلصاق اعترض بأمثلة لا يمكن أن تخرج على معانيها أو خصوصيتها فكان معقولاً وهو لا يقدر بأن للعربية أدواراً عاشت فيها فقد تكون متخلفات أن يقدر شيئاً آخر، فقدر التضمين واقتنع به واطمأن إليه في كثير من اليقين، ولأن كل القصد قد كان تفسير وجه النحو نسب إليه، ولما قويت حركة البيان أخذوا هذا التضمين على وجه آخر وسموه بيانياً وهو يقوم على ملاحظة معنيي لفظ المضمن والمضمن فيه".[1]

والذي يلوح لي أن الشيخ العلايلي بنيله من أسلوب التضمين يفتح باباً عريضاً للنيل من

---

[1] د. عبدالله العلايلي، مقدمة لدروس لغة العرب، ص٢٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأساليب الأصيلة في العربية، بل هو قد نال منها بالفعل، فالشيخ رحمه الله لا يشكك فقط في أسلوب التضمين بل يشكك بهذا الموروث اللغوي الذي تناقلته الأجيال جيلاً بعد جيل واستفادت منه أيما فائدة في ضبط الكلام وتقييده، يقول في موضع آخر:

"ويقين أني لا أجد منصفاً يتقن وسائل الدرس يرتاب في أن تقديرات اللغويين التي ندعوها اليوم علم اللغة لا تجاوز كونها من هذا النوع الذي نسميه (الفكرة الشخصية) فهي تعبر عن ملحظ مقدريها أكثر مما تعبر عن ملحظ العرب أنفسهم وعليه فمن العبث البارد جداً أن نقف عند حدود ما سموه قياساً وسماعاً".[1]

فمن شكك في قيمة قواعد النحاة فلا عجب أن يشكك في أسلوب التضمين الذي هو جزء من كيانه.

أما بالنسبة للافتراض الذي افترضه من أن تحديد معنى للحرف جعل النحاة يبحثون عن مخرج لما صادفهم من خروج عن هذه المعاني فقدروا التضمين تعليلاً لهذا الخروج، فهذا أمر لا أستطيع أن أوافقه عليه، ذلك لأن التضمين لا يلغي معاني الحروف المستفادة منه كما سأبين ذلك في الشبهة الثالثة.

فنشأة التضمين واكبت نشأة القواعد العربية الأخرى فعلماء العربية قاموا باستقراء كلام العرب من منظوم ومنثور وانتهى بهم هذا الاستقراء إلى رفع الفاعل ونصب المفعول وإلى وجود معانٍ لكل حرف من حروف هذه اللغة، وملاحظاتهم الدؤوبة انتهت بهم إلى أن هناك ألفاظاً -في العربية- كثر تعديتها على نمط معين بينما جاءت ألفاظ قلائل على غير هذا النمط، فما كان منهم إلا أن وقفوا عند هذه الظاهرة فتوصلوا بعد إمعان نظر ودقيق فكر إلى تضمين هذه الألفاظ معاني أخرى، فكان مصطلح التضمين كغيره من المصطلحات التي ظهرت على ساحة القواعد العربية والتي هي جزء منها.

---

[1] العلايلي، مقدمة لدروس لغة العرب، ص٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالرغم من هذه الاعتراضات التي وجهها الشيخ العلايلي إلى أسلوب التضمين إلا أنه عاد ليعترف بأهميته في علم البيان، حيث يقول: "والذي عندنا من أمره[١] أنه وإن كان تكلفا لاغيا في أوله فقد عاد وله محل من الحاجة على أن يصطنع بمقدار من فصاحة البيان".[٢]

ثانيا: رأي الدكتور إبراهيم السامرائي: يقول الدكتور السامرائي تحت عنوان التضمين في الاستعمال: "لم يسلم منهج الباحثين في علم العربية من قيود المنطق وآثار الفلسفة، ذلك لأن العقلية الفلسفية قد غزت سائر العلوم فقد استهوى منطق أرسطو[٣] وفلسفة الفلاسفة الآخرين الباحثين في الثقافة الإسلامية، فتأثروا بهذا في سائر علومهم، وكان من نتائج ذلك أن تأثر البحث اللغوي والنحوي بهذا المنهج الدخيل على النحو واللغة، وكان تأثيره في النحو واللغة سلبيا فقد أحال كثيرا من الأبواب اللغوية والنحوية إلى مادة جامدة بعيدة عن الحياة أو قل بعيدة عن العلم اللغوي.

مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن أجل هذا ظهرت في علوم العربية قواعد وأحكام لم تكن وليدة الاستقراء الشامل الواسع للغة كقولهم مثلا: إن الفعل كذا يأتي لازما ولا يأتي متعديا، وإن الحرف كذا يأتي لمعنى ولا يأتي لغيره فإذا فطنوا أن هذا الفعل وذلك الحرف قد أتيا على غير ما ذكروا فزعوا إلى طريقتهم ومنهجهم يؤولون ويعللون كأن يقدرون محذوفا أو يحذفون ما هو مذكور، وليس هذا مجال عرض المشكلات اللغوية والنحوية التي أفسدها المنهج المنطقي فهي كثيرة يعرفها المعنيون بالموضوع.

إن مبحث التضمين الذي ندرسه يظهر اضطراب علماء العربية القائلين به، فهناك نصوص تنم عما وضعوه من أحكام وقيود، لم يجدوا إلى حلها غير القول بالتضمين ولا بد للباحث في علم

---

(١) أي من أمر التضمين.

(٢) د. عبدالله العلايلي، مقدمة لدروس لغة العرب، ص ٢٤٥.

(٣) أرسطو طاليس بن نيقو ماخس الفيثاغوري كان تلميذ أفلاطون المتصدر بعده، إليه انتهت فلسفة اليونانيين، له في جميع العلوم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدلالة بغية الإفادة منه في العربية أن يعاني صعوبة البحث، إذا أراد أن يخلص للمنهج السـليم ولا سيما في عصوره الحديثة".[١]

ولا بد في البداية من أن أقرر أمرا وهو أن النحو العربي نشأ في أحضان البيئة العربية الإسـلامية وهذا ما تؤكده الروايات التاريخية، فأبو الأسود الدؤلي[٢] هو أول من وضع النحو بإيعاز من علي -عليـه السلام- فقسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف[٣] وهذا التقسيم مخالف لتقسيمات الفلاسفة فالكلام ينقسم عندهم إلى اسم وكلمة ورباط.[٤]

والتضمين كذلك نشأ في البيئة العربية بعيدا عن التأثر بالفلسفة وتقسيماتها، فالمؤرخون لنشـأة هذا المفهوم يذكرون أن التضمين من المفاهيم التي تداولتها ألسنة النحاة منذ القديم.

فالسيوطي[٥] في توجيه قول الشاعر:

إذا مـا الغانيـات بـرزن يومـا وزججـن الحواجـب والعيونـا

مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفلسفية كتب شريفة من مصنفاته: أنولوطيقا وهو البرهان، طوبيقا وهو الجدل.ينظر: القفطي، تأريخ الحكماء، ص٣٧.

(١) د. إبراهيم السامرائي، في شرف العربية، ص ١٠٥.

(٢) أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني كان من سادات التابعين وأعيانهم، صحب علي بـن أبي طالب رضي الله عنه وشهد معه وقعة صفين، وهو أول من وضع النحو، وله شعر في ديوان صغير، توفي سـنة ٦٩هـ -٦٨٨م". ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٣٥.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٤٦؛ ينظر: أبو القاسم الزجاجي، الأمالي، ص٢٣٨؛ ينظر: القفطي، إنباه الرواة، ج١، ص ٣٩؛ أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص٢٤.

(٤) ينظر: احمد أمين، ضحى الإسلام، ج٢، ص ٢٩٣.

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر السيوطي الأصل، الشافعي، ولد سنة ٨٤٩هـ، وتصانيفـه زادت على ثلاثمائة كتاب، من شرح الشاطبية، والكتاب الكبير، توفي سنة ٩١١هـ، ينظر السخاوي، الضـوء اللامـع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول: "ذهب جماعة منهم أبو عبيدة والأصمعي[١]، وأبـــو محمـــد الـــيزيدي[٢] والمـــازني[٣] والمبرد[٤] إلى جواز عطف العيون على الحواجب بتضمين العامل معنى يتسلط به على المتعـــاطفين واختاره الجرمي.[٥] وقال: يجوز في العطف ما لا يجوز في الإفراد نحو: "أكلت خبزاً ولبناً فيضمـــن زججن معنى حسّن".[٦]

يقول الدكتور شوقي ضيف معلقاً على كلام السيوطي سابق الذكر: "والثلاثة الأولون في هـــذا النص من نحاة البصرة في القرن الثاني وأوائل القرن الثالث للهجرة، والثلاثة التالون من نحاتها فـــي القرن الثالث، وفي ذلك ما يدل على أن كلمة التضمين بمعنى إشراب فعل معنى فعل آخـــر تداولـــها النحاة منذ القرن الثاني الهجري.[٧]

وترجمة الفلسفة في ذلك الوقت لم يكن قد استوى عودها لتؤثر على علوم العربية فتحيلها إلـــى أثر من آثارها.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ج٣، ص ٦٥.

[١] عبدالملك بن قريب بن عبدالملك أبو سعيد الأصمعي، صاحب اللغة والنحو والغريب، كان من أهل البصرة، وقـدم بغداد في أيام هارون الرشيد، قيل توفي سنة ٢١٦هـ؛ ينظر: البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠، ص ٤١٠.

[٢] أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي المعروف باليزيدي، المقرئ النحوي، اللغوي، له عدة تصـــانيف منها النوادر في اللغة وكتاب النقط والشكل؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص١٨٣.

[٣] بكر بن محمد بن حبيب بن بقية، أبو عثمان المازني، أحد الأئمة في النحو له تصانيف منها كتاب ما تلحـــن فيـــه العامة والألف واللام والتصريف، توفي سنة ٢٤٩هـ-٨٦٣م؛ القفطي، إنباه الرواة، ج ١، ص ٢٨١.

[٤] محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس الأزدي، المعروف بالمبرد، شيخ أهل النحو وحافظ علم العربية، توفـــي سنة ٢٨٥هـــ؛ ينظر: البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣، ص٣٨٠.

[٥] صالح بن اسحاق، الجرمي بالولاء، أبو عمر فقيه عالم بالنحو واللغة من كتبه كتاب السير، وكتاب الابنية. توفـــي سنة ٢٢٥هـ-٨٤٠م؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٨٥.

[٦] السيوطي، همع الهوامع، ج٣، ص ٢٤٥.

[٧] شوقي ضيف، تيسيرات لغوية، ص ٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما يؤكد على أصالة نشأة أسلوب التضمين؛ ورود مفهومه في كتاب سيبويه -وسيبويه كما هو معلوم- كان أبعد ما يكون عن التأثر بالفلسفة، فها هي الدكتورة منيرة الحمد تعرف التضمين بعبارة وردت في كتاب سيبويه، فالباحثة عرفت التضمين النحوي بأنه التوسع في استعمال لفظ بجعله مؤديا معنى لفظ آخر مناسب له فيعطى حكمه في التعدي واللزوم، ثم استدلت على هذا التعريف بقول سيبويه "ومن كلامهم أن يجعلوا الشيء في موضع على غير حاله في سائر الكلام[١]". [٢]

وقد ورد في كتاب سيبويه بعض الأمثلة التي يستدل منها ذهابه إلى التضمين في توجيهها وإن لم يطلق عليه تضمينا، فبين سيبويه أن فعل دعوته يأتي متعديا لمفعولين حيث يقول: "ودعوته زيدا إذا أردت دعوته التي تجري مجرى سميته وإن عنيت الدعاء إلى أمر لم يجاوز مفعولا واحدا".[٣]

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويقول في موضع آخر: "قد يكون علمت بمنزلة عرفت لا تريد إلا علم الأول فمن ذلك قوله تعالى: "ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت"[٤] وقال سبحانه: "وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم"[٥] فهي هنا بمنزلة عرفت".[٦]

فإيراد مفهوم التضمين في كتاب سيبويه دليل قوي على أن التضمين نشأ في أحضان البيئة العربية الأصيلة.

---

(١) سيبويه، الكتاب، ج١، ص ٥١.

(٢) منيرة محمود الحمد، بحث بعنوان التضمين في النحو العربي، مجلة جامعة الملك سعود، ج٥، ص٤٤١.

(٣) سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٣٧.

(٤) البقرة، آية ٦٥.

(٥) الأنفال، آية ٦٠.

(٦) سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٤٠. ينظر: محمد خالد بي، التضمين النحوي بين القدماء والمحدثين، ص ٨٠، رسالة -

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل إن شيخنا الدكتور فضل حسن عباس ذهب إلى أبعد من هذا حيث يقول في معـــرض رده على من ذهب إلى تأثر المعتزلة بمنطق أرسطو: "لقد كان المسلمون بعامـــة، والمعتزلـــة بخاصـــة بعيدين كل البعد عن التأثر بالمنطق الأرسطي وفلسفته، وربما يظن كثيرون أننا نعني هذا البعد فـــي قضايا الأدب والبيان والبلاغة ولكننا لا نعني هذا فحسب وإنما نذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، نقـول إن المسلمين -معتزلة وغير معتزلة- كانوا بعيدين عن فلسفة أرسطو ومنطقه من كل مضمار وفـــي شتى المعارف التي عرفوها في علم أصول الدين وعلم أصول الفقه وفي غيرهما، إن الفئة الوحيـــدة التي يمكن ان يدعى أنها تأثرت بأرســـطو وفلســـفته هـــي التـــي عرفـــت فيمـــا بعـــد بالفلاســـفة كالفارابي[١] وابن سينا[٢]"[٣].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إن الدارس لمفهوم التضمين يجد أنه بعيدا كل البعد عن جمود الفلسفة وتقســـيماتها ذلـــك أنـــه يراعي المعنى ويخاطب الحس وهذا أمر لا نجده في المفاهيم الفلسفية التي تتسم بالجمود والتعقيد.

ثالثا: رأي الدكتور محمد حسن عواد: "مسألة التضمين مسألة لا أساس لها، لأنها مبنية علـــى أساس غير متين، وهو الأساس القائل بأن بعض الألفاظ أصول في معانيها، وبعضها فروع، وهـــذا أمر لا يمكن تحقيقه إلا إذا أثبت بالدليل القاطع أن هذا اللفظ أسبق وجودا من ذلك اللفظ الآخـــر فـــي

ماجستير.

(١) أبو نصر الفارابي التركي الفيلسوف، كان من أعلم الناس بالموسيقى وكان حاذقا في الفلسفة، وكان يقول بالمعـــاد الروحاني لا الجثماني وله مذاهب وهو بذلك يخالف المسلمين، توفي سنة ٣٣٩هـــ؛ ينظر: ابـــن كثـــير، البدايـــة والنهاية، ج١١، ص ٢٢٤.

(٢) الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا الحكيم المشهور كان أبوه من أهل بلخ، كان نادرة عصره في علمـــه وذكائه وتصانيفه. من مصنفاته كتاب "الشفاء" في الحكمة و"القانون" توفي سنة ٤٢٨هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيـــات الأعيان، ج٢، ص ١٥٧.

(٣) د. فضل حسن عباس، البلاغة المفترى عليها، ص ١٨١-١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تاريخ الألفاظ المعرق في القدم، وقد طالب بعض الباحثين المعاصرين بمعجم تاريخي ترصد فيه الألفاظ حسب أزمنتها وأنبأنا الاستاذ عباس حسن أن أحد المستشرقين كان ماضيا في سبيل إعداد معجم تاريخي للألفاظ[١]، ولكن المنية اخترمته قبل اتمام العمل وأحسب أنه لو تم مثل هذا العمل لكان ناقصا لأن البحث عن تاريخ اللفظ هو بحث بطريق غير مباشر عن نشأة اللغة وهو أمر لم يعد مقبولا اليوم لأنه من الأمور التي يصعب التوصل إليها بأدلة يقينية.

وأفضل ما نستقر عليه أن تطلق الأصالة على اللفظ الذي ثبت وروده في عصور الاحتجاج، وأن يطلق الفرع على اللفظ الذي ثبت وروده بعد تلك العصور وبهذا المفهوم يمكن وضع معجم تاريخي ترصد فيه الألفاظ حسب أزمنتها وعندئذ يمكن القول بالأصالة والفرعية اصطلاحا.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولكن لما لم يقع بين أيدينا إلى هذه اللحظة من الزمان مثل هذا المعجم، فإن الشواهد التي ساقها علماؤنا للتدليل على وقوع التضمين فيها تخلو من التضمين، لأنها إما أن تكون شواهد قيلت في عصور الاحتجاج فهي حقائق لغوية وإما ان تكون شواهد قيلت بعد عصور الاحتجاج فهي مجاز".[٢]

وهنا أود أن أبين أمرا وهو أن التضمين يقوم على مبدأ غلبة الاستعمال وقلته لا على مبدأ الأصالة والفرعية -كما ذكر الدكتور محمد حسن عواد- فكثرة تعدية لفظ أو لزومه على نمط واحد دليل على أصالة هذه التعدية، وهذا مبدأ مقرر في اللغة ويعد أصلا في كثير من القواعد النحوية.

---

[١] هو المستشرق فيشر حيث تقدم بمشروع رسمي لهذا العمل إلى مجمع اللغة العربية القاهري وضح فيه تصوره لهذا المعجم التاريخي ومبادئه ومنهجه في العمل. ينظر: د. علي الحمد بحث بعنوان المعجم التاريخي العربي مفهومه ووظيفته ومحتواه، ص ١٠٠. وهو بحث في كتاب باسم المعجم العربي التاريخي. وقد أنبأني الدكتور فضل أن هناك هيئة أخرى في الجامعة العبرية بدأت بعمل معجم تاريخي للغة العربية ودلالتها حسب التطور التاريخي لها.

[٢] د. محمد حسن عواد، تناوب حروف الجر، ص ٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول ابن جني: "وإن شذ الشيء في الاستعمال وقوي في القياس كان استعماله أولى وإن لم ينته قياسه الى ما انتهى إليه استعماله"[1] وبهذا فلا حاجة لنا إلى المعجم التاريخي الذي افترضه الدكتور محمد حسن عواد فهو لا يخدم موضوع التضمين وذلك لأن التضمين يقوم على مبدأ غلبة الاستعمال وقلته لا على مبدأ الأصالة والفرعية كما أن الشواهد التي استشهد بها على التضمين وفي مقدمتها الشواهد القرآنية وقعت في عصور الاحتجاج، فلا فائدة من التمييز بين ما قيل قبل عصور الاحتجاج وما قيل بعده في هذا الموضوع وإن كنت مع الدكتور محمد حسن عواد في أن العلماء قد تجاوزوا حدود التضمين وأدخلوا إلى ساحته ما ليس منه، فكثير من الشواهد التي احتجوا بها على التضمين تخلو منه لذا كان في هذا البحث رد لآراء كثير من المفسرين ممن توسعوا في حمل الآيات وفق هذا الأسلوب مع إمكان إجراء اللفظ على وجه الحقيقة، كما أن وضع ضوابط وشروط للتضمين واتباعها في التطبيق كفيل بتضييق دائرته وينأى بهذا الأسلوب عن التكلف والتمحل الذي كان مثار نقد له.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

[1] ابن جني، الخصائص، ج١، ص١٢٤؛ ينظر: السيوطي، الاقتراح، ص ١٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا: رأي الدكتور الخضري: اعترض على التضمين من حيث الأضرار التي يلحقها بالنظم؛ فالدكتور الخضري اعترض على التضمين من زاوية أخرى وهي أن القول به "يصرف الاهتمام عن تدبر أسرار الحروف، وهو عاجز عن الوفاء بأغراض النظم ودواعيه، وليس فيه أكثر من محاولة لتصحيح التعدي بحرف ليس من شأن الفعل أو الاسم التعدي به وذلك ما يجب ان نقف عنده ونحن نتوخى أسرار الإعجاز في النظم القرآني"[1].

وما ذهب إليه الدكتور الخضري لا أوافقه عليه، فالتضمين لا يلغي أسرار الحروف بل هو وسيلة الكشف عن سر التعدية بحرف دون آخر مع بقاء معناه على ما هو موضوع له في أصل اللغة، ولكن الأمر يختلف في تعلقه فالحرف يتعلق باللفظ المضمن في إفادة معناه لا باللفظ المذكور.

ولعلني ألتمس العذر للدكتور الخضري فيما ذهب إليه، ذلك أن الإطلاع على أقوال المفسرين في هذا المجال يقودنا إلى التشكيك في حمل كثير من الآيات وفق هذا الأسلوب لما فيه من ذهاب بأسرار الحروف ولكن تتبع موازين نقدية دقيقة والتقيد بضوابط التضمين قد يخرجنا من حلقة التكلف في حمل الآيات وفق هذا الأسلوب.

وبعد هذه الانتقادات التي وجهت الى هذا الأسلوب وضع بعض العلماء منهجا بديلا مفاده الأخذ بفكرة الزيادة والتناوب كتعليل لخروج بعض الآيات الكريمة عن مقتضى الظاهر.

فها هو الدكتور شوقي ضيف يقول: "لو أن النحاة أخذوا بفكرة زيادة هذه الحروف مع أفعالها في الآيات الكريمة جميعا كما أخذ ابن قتيبة قديما في شواهد مماثلة لأغناهم ذلك من عنت كثير بل عن غير قليل من التكلف والتعسف أحيانا، ويدل بوضوح على أن فكرة زيادة الحرف في هذه

---

[1] د. الخضري، من أسرار حروف الجر، ص٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة من التضمين لفعل متعد معنى فعل متعد بجار هي الفكرة السديدة أنها تطـــرد فـــي جميـــع الشواهد سواء ما خرجه النحاة من آي القرآن والأشعار على أساس التضمين وما استعصى عليـــهم تخريجه وسلموا بأن الحروف الجارة فيه حروف زائدة". ويخلص بنتيجة مفادها أن الكوفيـــن وابـــن قتيبة يعفوننا من فكرة التضمين سواء حين تنوب حروف الجر بعضها عن بعض مع بعض المفـــاعيل او حين تدخل زائدة عليها"[1].

وهنا أود أن أذكر أمرا وهو أن البحث عن مسوغ لخروج بعـــض الـــتراكيب عـــن مقتضـــى الظاهر مع عدم إمكان حمل اللفظ على حقيقته هو أمر لا مجال للشك فيه وهذا هو ما دعـــا العلمـــاء إلى القول بالزيادة أو التناوب، وقد بينت سابقا مدى ضعف القول بالتناوب والزيادة في تعليل خـــروج بعض الألفاظ عن مقتضى الظاهر مستندة على آراء من يعتد بهم في هذا المجال، فهي أقوال واهيـــة لا تتناسب مع أحكام اللغة ودقتها وفيه ذهاب بكثير من أسرار الإعجاز القرآنـــي. فـــالأولى حمـــل المواضع التي قيل بالتناوب أو الزيادة فيها على أسلوب بديع يحفظ للحرف منزلته وللكلام بلاغته بـــل يرتقي به إلى مدارج الأساليب البديعة. والقول بالزيادة يلغي كثيرا من أسرار الإعجاز.

إن الاعتراضات التي وجهت إلى التضمين مشككة في وجوده هي اعتراضات حديثة لم أجدهـــا في مظان أمهات الكتب المعتد بها في مجال رفض أسلوب أو قبوله، بل إنها احتضنت هذا الأســـلوب وأقرته، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أصالة هذا الأسلوب بما لا يمكن لاعتراض معـــترض ان يدحضه أو يشكك في وجوده.

---

[1] شوقي ضيف، تيسيرات لغوية، ص ٩٠-٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الاعتراضات التي وجهت إلى التضمين ما هي إلا نتيجة حتمية للتوسع والتكلف في حمل الآيات عليه من غير مراعاة لشروط تحكمه وضوابط تقيد شوارده، كما كان لبعض النحاة ممن جعل القاعدة أصلا والمعنى فرعا أثر في ترسيخ هذه الشكوك حول هذا الأسلوب. لذا كانت مهمة الباحث في هذا البحث تمحيص الأقوال ورد الواهي منها مستندا إلى ضوابط وشروط تمنع التكلف وتحقق غاية هذا الأسلوب بقدر المستطاع.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

التضمين دراسة تطبيقية

الدراسة التطبيقية هي الترجمة الفعلية لمفهوم التضمين النظري والبرهنة الأكيدة على حقيقته وواقعه، فالدراسة التطبيقية تنقل المفاهيم من الحيز الذهني المجرد إلى الواقع الملموس فيصبح الأمر أكثر وضوحاً وأصدق دليلاً فكان هذا الفصل هو العمدة التي يقوم عليها هذا البحث وغايته، لذا حاولت في هذا المبحث تمحيص الآراء وتمييز ما اتفق على القول بالتضمين فيها وما اختلف في ذلك، وفق شروط وضوابط محددة تمنع التكلف وتبتعد عن العشوائية، فجاء هذا الفصل في مبحثين:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعية

المبحث الأول: آياتٌ يرجح القول بالتضمين فيها.

المبحث الثاني: آيات حُمِّلت التضمين وحملها على غيره أظهر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

آيات يرجح القول بالتضمين فيها

في هذا المبحث دراسة للآيات التي اتفقت مع من قال بالتضمين فيها مستنيرة بأقوال المفسرين في هذا المجال مع زيادة توضيح لذلك.

وقد بينت في هذا المبحث موضع الشاهد في الآية الكريمة التي ذهبت إلى القول بالتضمين في توجيهها، والمعنى اللغوي للفظ المذكور والمضمن ليقود هذا إلى الوقوف على وجه المناسبة بين اللفظين.

ثم قُمتُ بتبيين المعنى الإعجازي المترتب على القول بالتضمين والذي يعد ثمرة من ثمار هذا الأسلوب محاولة التوجيه في ضوء القرائن اللفظية وما يتناسب وسياق الآية، مراعية ضوابط وشروط التضمين قدر الإمكان، متجنبة التكلف في حمل الآيات وفق هذا الأسلوب.

وقد رتبت الآيات وفق ترتيبها في المصحف الشريف مبتدئة بسورة البقرة ومختتمة بسورة العلق.

الموضع الأول:

في قوله تعالى: " وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ"[1] جاء الفعل تتلو متعدياً بحرف على مع أن "تلا إذا تعدى بعلى كان المجرور شيئاً يصح أن يتلى عليه نحو تلوت على زيد القرآن، والملك في الآية ليس كذلك"[2] لذا جاء القول يتضمن تتلو معنى تكذب أو تتقول.

---

[1] البقرة آية ١٠٢.

[2] السمين الحلبي، الدر المصون، ج٢، ص٢٩، بتصرف يسير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الآراء الأخرى الواردة في توجيه الآية جعل "على" في الآية بمعنى "في"، والقول بالتناوب -كما سبق أن ذكرت- قد رده محققو أهل العربية، والتضمين في اللفظ أولى من القول به. يقول أبو حيان "على ملك تتعلق بتتلو وتلا يتعدى بعلى إذا كان متعلقها يتلى عليه لقوله: يتلى على زيد القرآن، وليس الملك هنا بهذا المعنى، لانه ليس شخصاً يتلى عليه، فلذلك زعم بعض النحويين أن على تكون بمعنى في، أي تتلو في ملك سليمان، وقال أصحابنا لا تكون على بمعنى في، بل هذا من التضمين في الفعل، ضمن تتقول فعديت بعلى لأن تقول تعدى بها قال تعالى "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا[١]" [٢].

ومعنى التلاوة لغة "التاء واللام والواو أصل واحد هو الإتباع، يقال تلوته إذا اتبعته، ومنه تلاوة القرآن لأنه يتبع آية بعد آية"[٣] ومعنى التقول لغة: الكذب: تقول قولاً ابتدعه كذباً وتقول فلان عليّ باطلاً أي قال علي ما لم أكن قلت وكذب علي"[٤] ومعنى كذب لغة "الكاف والذال والباء أصل صحيح يدل على خلاف الصدق، وتلخيصه أن لا يبلغ نهاية الكلام في الصدق"[٥] فالمناسبة بين التلاوة والتقول ظاهرة فكلاهما لفظ متحدث به.

وبتضمين التلاوة معنى الكذب والتقول نقف على ما ابتدعته الشياطين بعد موت سيدنا سليمان عليه السلام من التلاوة المشوبة بالكذب والافتراء، ولم يأت التعبير بالكذب أو التقول بداية، بأن قال واتبعوا ما تكذب على ملك سليمان وذلك لان التلاوة لا تكون الاّ في الكلام

---

[١] الحاقة آية ٤٤.

[٢] أبو حيان، البحر المحيط، ج١، ص٤٩٤.

[٣] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة تلو.

[٤] ابن منظور، لسان العرب، مادة قول؛ ينظر: السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ج٣، ص٤١٢.

[٥] ابن منظور، لسان العرب، مادة كذب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتتابع الذي يتبع بعضه بعضا.[١] والكذب قد يكون كذلك وقد يكون بكلمة واحدة فبتضمين التلاوة معنى الكذب بان الأمر عن كم هذا الكذب وكيفيته من حيث التتابع والكثرة.

ولعل من القرائن المستخلصة من السياق والتي تؤيد القول بالتضمين في الآية قوله تعالى:" وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا"[٢] فمدلول الآية ناطق بأن ما نسب إلى سليمان كفر ومحض افتراء.

الموضع الثاني:

-في قوله تعالى: "ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله"[٣] جاءت تعدية فعل العزم بنفسه مع انه يتعدى بحرف (على) على سبيل التضمين، وقد قدر المفسرون الفعل المضمن بتقادير مختلفة فهناك من قدره بمعنى توجبوا أو معنى تقطعوا أي تبتوا أو معنى النية.[٤]

وفي هذا الموضع أوافق من ذهب إلى تضمين العزم معنى القطع والبت أو ما يقوم مقامه كالمباشرة ولا أرى تضمينه النية وذلك لأنه لا بد عند القول بالتضمين من مراعاة المعنى الذي تضيفه الكلمة للسياق القرآني وهل يتناسب معه أم أن فيه خروجاً عن المعنى المراد، وهذا ما دعاني إلى موافقة من ضمن العزم معنى المباشرة، وذلك لان النية في عقد الزواج ليست من الأمور المحذورة بدليل إباحة التعريض بالخطبة، وهذا لا يكون الاّ بنية سابقة.

والعزم لغة:"العين والزاء والميم أصل واحد صحيح يدل على الصريمة والقطع، يقال عزمت أعزم عزماً ويقولون عزمت عليك إلاّ فعلت كذا أي جعلته أمراً عزماً أي لا مثنوية فيه،

---

[١] ينظر أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص١٦.

[٢] البقرة، آية ١٠٢.

[٣] البقرة، آية ٢٣٥.

[٤] ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٢، ص١٣٨؛ السمين الحلبي، الدر المصون، ج٢، ص٤٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال الخليل[١]: العزم ما عقد عليه القلب من أمر أنت فاعله أي متيقنة"[٢]، ومعنى المباشرة لغة "باشر الأمر وليه بنفسه وهو مثل بذلك، لانه لا بشرة للأمر إذ ليس بعين ومباشرة الأمر أن تحضره بنفسك".[٣]

فبين العزم والمباشرة مناسبة، ففي كلاهما تحقيق للعمل وإن كان في المباشرة دلالة على التقرب من الفعل والالتصاق به فمن عزم على شيء باشره.

وبتضمين العزم معنى المباشرة بيان لموطن النهي عن الزواج بالمعتدة فالنهي متوجه إلى العزم المقرون بالمباشرة، أما النية فلا حرج فيها على أن لا يعقبها التنفيذ. ومما يؤيد الذهاب إلى القول بالتضمين قوله تعالى في مطلع الآية الكريمة "وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ"[٤] والتعريض لا يكون إلا بنية مسبقة فدل ذلك على أن النهي -في الآية- متوجه للعزم المقرون بالمباشرة لا لمطلق النية.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الموضع الثالث:

في قوله تعالى "وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ"[٥] جاءت تعدية فعل يكفروه إلى مفعولين أولهما نائب الفاعل وهو الواو والثاني الهاء في يكفروه مع أن كفر لا يتعدى إلاّ إلى

---

[١] الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي، نحوي لغوي عروضي، استنبط من العروض وعلله ما لم يستخرجه أحدٌ ولم يسبقه إلى علمه السابق من العلماء كلهم، توفي سنة ١٧٠هـ؛ ينظر القفطي، انباه الرواة، ج١، ص ٣٧٦؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٢، ص٢٤٤.

[٢] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة عزم.

[٣] ينظر أبا هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص١٠١.

[٤] البقرة آية ٢٣٥.

[٥] آل عمران آية ١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفعول واحد يقال كفر النعمة، وذلك لتضمينه معنى الحرمان.[١]

ومعنى كفر لغة: "الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الستر والتغطية"[٢] والكفر هو جحود النعمة وهو ضد الشكر وغلب الكفر في تغطية الحق والدين والكفران في تغطية النعمة وجحودها"[٣]

ومعنى الحرمان لغة: "الحاء والراء والميم اصل واحد وهو المنع والتشديد".[٤] ورجل محروم ممنوع من الخير.

فالمناسبة بين الفعلين أن الكفر ستر، ومن ستر شيئاً فقد حرم الآخرين منه.

فبتضمين الكفر معنى الحرمان بيان لجزاء أعمال المؤمنين من أهل الكتاب المتمثل بشكر هذه النعمة في الدنيا، وعدم حرمان أجرها في الآخرة وبهذا زيادة في بعث الطمأنينة في النفوس للجزاء الأخروي الذي هو المقصد الأسمى من وراء القيام بهذه الأعمال.

الموضع الرابع:

-في قوله تعالى "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ "[٥] جاء فعل آلا متعدياً إلى مفعولين مع أن اصله أن يتعدى إلى مفعول واحد بحرف الجر في، تقول: ما ألوت في الأمر أي ما قصرت فيه" وذلك

---

(١) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ص٣٩؛ الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج١، ص٦٦٣؛ الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٣٩٥.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة كفر.

(٣) الجوهري، الصحاح، مادة كفر؛ السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ج٣، ص٤٧٥.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس، اللغة، مادة حرم.

(٥) آل عمران، آية ١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لتضمين الفعل المذكور معنى المنع.[١]

ومعنى آلا لغة "الهمزة واللام وما بعدهما في المعتل أصلان متباعدان أحدهما الاجتهاد والمبالغة، والآخر التقصير والثاني خلاف الأول"[٢] والمعنى المراد في الآية المعنى الثاني وهو التقصير.

ومعنى المنع لغة "الميم والنون والعين أصل واحد هو خلاف الاعطاء ومنعته الشيء منعاً وهو مانع ومناع ومكان منيع وهو في عزة ومنعة"[٣] فالمناسبة بين الفعلين أن من قصر في حقك فقد منعك.[٤]

فبتضمين يألونكم معنى يمنعونكم بيان لوسيلتين من وسائل كيد بطانة السوء للمسلمين، فهم لا يقصرون في إفساد أحوالهم، كما أنهم لا يمنعون غيرهم من الفساد لذا كان اختيار هذا التركيب الفريد في انتقائه لألفاظه مُعجزاً في نظمه ليعبر عن هاتين الوسيلتين. ومما يؤيد هذا التوجيه قوله تعالى في ذيل الآية: " قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ"[٥] فوسائلهم في الإفساد بعضها ظاهر وبعضها خفي، يبدو وكأنه صادر عن غيرهم وهو في الحقيقة من تدبيرهم وتحت إشرافهم.

---

(١) ينظر الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٣٩٨؛ أبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ص٤٢؛ السمين الحلبي، الدر المصون، ج٣، ص٣٦٢.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة ألوى.

(٣) المصدر السابق، ج٥، ص٢٧٨، مادة منع.

(٤) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي، ج٣، ص١١٤ بتصرف يسير.

(٥) آل عمران آية ١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع الخامس:

في تفسير قوله تعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ".(١)

- جاء تعدية أذلة بحرف على مع أن الظاهر تعديته باللام، كما يقال تذلل لـــه ولا يقال عليه لتضمينه معنى العطف والحنو المتعدي بها.(٢)

ومعنى ذلّ لغة: "الذال واللام في التصحيف والمطابقة اصل واحد يـــدل علـــى الخضـــوع والاستكانة واللين فالذل ضد العز لأن العز من العزاز وهي الأرض الصلبـــة الشـــديدة والـــذلُّ خلاف الصعوبة".(٣)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومعنى العطف لغة: العين والطاء والفاء أصل واحد صحيح يدل على إلتنـــاء واعوجـــاج، يقال عطفت الشيء إذا أملته وأنعطف إذا انعاج، ومصدر عطف الله تعالى فلانـــاً علـــى فـــلان عطفاً"(٤) فالمناسبة بين اللفظين أن من يعطف على شخص فهو يذل له.

ولما كانت صفة الذل غالباً ما تكون صفة نقص جاءت تعديتها بحرف علـــى ليبيـــن أنـــها صفة محببة عند الله، وهي الذل الممزوج بالعطف والحنو على أحباء الله وأوليائه وليـــس الـــذل الذي هو الخضوع لأهل اوفى سبيل مال زائل أو لدنيا فانية.

---

(١) المائدة آية ٥٤.

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص٢٧٢، ينظر: الشهاب الخفاجي، عناية القـــاضي وكفايـــة الراضي، ج٣، ص٤٩٧. ينظر: أبو السعود ارشاد العقل السليم، ج٣، ص٥١.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة ذلل.

(٤) المصدر السابق، مادة عطف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وضع الشيء في غير موضعه- وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحد والظلم الميل عن القصد"[١]، والكذب نقيض الصدق.[٢]

فالمناسبة بين الظلم والكذب أن في كليهما ابتعادا عن الحقيقة.

فبتضمين الظلم معنى التكذيب تصوير لذنب الكافرين بأبشع صورة مما يترتب عليه استحقاقهم لأفظع صور التعذيب.

ومما يؤيد القول بالتضمين الآيات التي جاءت بعد هذه الآية حيث ذكرت حال الإنسان من ظلم لنفسه كما في قصة آدم، وحال الإنسان بافتراء الكذب وذلك في قوله تعالى: "وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون".[٣]

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الموضع السابع:

في قوله تعالى: "فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم"[٤] جاءت تعدية أقعدن في الآية الكريمة بنفسه مع انه يتعدى بحرف على، لتضمنه معنى اللزوم، واللزوم مما يتعدى بنفسه، فينتصب الصراط على انه مفعول به للفعل المضمن.

يقول أبو حيان: "عبر بالقعود عن الثبوت في المكان والتلبس فيه، قالوا وانتصب صراطك على إسقاط على كما قاله الزجاج، [٥] وشبهه بقول العرب "ضرب زيد الظهر والبطن

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة ظلم.

[٢] المصدر السابق- مادة كذب.

[٣] الأعراف آية ٢٨.

[٤] الإعراف آية ١٦.

[٥] "ابراهيم السرى بن سهل أبو اسحاق الزجاج النحوي كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، له مؤلفات حسان في الأدب له من التصانيف كتاب الاشتقاق وكتاب القوافي توفي سنة ٣١١هـ" ينظر: القفطي، انباه الرواة، ج١، ص١٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أي على الظهر والبطن"[١] وإسقاط حرف الجر لا ينقاس في مثل هذا، لا يقال قعدت الخشبة تريد قعدت على الخشبة، والأولى أن يضمن لأقعدن معنى ما يتعدى بنفسه فينتصب الصراط على انه مفعول به. والتقدير لألزمن بقعودي صراطك المستقيم، وهذا الصراط هو دين الإسلام وهو الموصل إلى الجنة".[٢]

والقعود لغة: "القاف والعين والدال أصل مطرد منقاس لا يخلف وهو يضاهي الجلوس وان كان يتكلم في مواضع لا يتكلم فيها بالجلوس"[٣].

يقول الدكتور فضل حسن عباس:"فالقعود يستعمل فيما فيه لبث ومكث... ومن أسرار العربية: أن القاف والعين والدال تدل على اللبث والثبات".[٤]

جميع الحقوق محفوظة

واللزوم لغة "اللام والزاء والميم أصل واحد صحيح يدل على مصاحبة الشيء بالشيء دائما يقال لزمه الشيء يلزمه واللزام العذاب الملازم للكفار"[٥] فالمناسبة بين اللزوم والقعود ظاهرة ففي كليهما معنى اللبث وطول البقاء.

فبتضمين القعود معنى الملازمة بيان أن الشيطان لن ينفك عن إغواء بني آدم وكأنه قاعد له البتة.

ومما يؤيد القول بالتضمين قوله تعالى في الآية الكريمة "ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن

---

(١) الزجاج، معاني القرآن، ج٢، ص٣٢٤.

(٢) أبو حيان، النهر الماد ج٢، ص٥٢٢.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة قعد.

(٤) د.فضل حسن عباس، اعجاز القرآن، ص١٨٠.

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة لزم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين"[١]

الموضع الثامن:

في قوله تعالى: " ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين".[٢] جاءت تعدية الظلم بحرف الباء في قوله تعالى "فظلموا بها" مع انه يتعدى بنفسه لتضمينه معنى الكفر أو التكذيب[٣] وفي هذا بيان لسبب وصفهم بالظلم، فالمتتبع لموقف قوم فرعون من آيات موسى يرى أن دافعهم في موقفهم الكفر والتكذيب والذي ترتب عليه ظلمهم لأنفسهم كما في قوله تعالى من السورة نفسها "فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين"[٤]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولا مانع من جعل الباء للسببية فالآيات على ذلك هي سبب ظلمهم يقول أبو حيان: "وتعدية فظلموا بالباء إما على سبيل التضمين بمعنى فكفروا بها الا ترى إلى قوله "أن الشرك لظلم عظيم" وأما أن تكون الباء سببية، أي ظلموا أنفسهم بسببها أو الناس حيث صدوهم عن الإيمان أو الرسول فقالوا سحرتموه"[٥]

---

(١) الأعراف آية ١٧.

(٢) الأعراف آية ١٠٣.

(٣) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص٣٥٥- الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٤، ص٣٣٨. أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٣، ص٢٥٧؛ رشيد رضا، المنار، ج٩، ص٣٩. ينظر معنى ظلم وكذب والمناسبة بينهما وذلك في تفسير قوله تعالى: "ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون" الأعراف، آية ٩.

(٤) الأعراف آية ١٣٦.

(٥) أبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص٣٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع التاسع:

في قوله تعالى: " إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ"[١] جاءت تعدية الفعل عاهدت بحرف من مع أن الأصل تعديته بنفسه وذلك لتضمينه معنى الأخذ.[٢]

ومعنى العهد لغة: العين والهاء والدال أصل هذا الباب عندنا دال على معنى واحد، قد أومأ إليه الخليل[٣] قال: "أصله الاحتفاظ بالشيء وأحداث العهدية به والذي ذكرناه من الاحتفاظ هو المعنى الذي يرجع إليه فروع الباب"[٤] ومعنى الأخذ لغة:"خلاف العطاء وقال بعضهم الأخذ حوز الشيء"[٥]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فالمناسبة بين العهد والأخذ: أن العهد يحتمل الأخذ والعطاء فالأخذ أحد أنواعه التي يتم بها.

فجاء التضمين لبيان مناط الذم الواقع على المشركين والذي لأجله استحقوا الوصف بشر الدواب، وذلك لكون العهد مأخوذاً منهم ففيه مزيد إلزام بضرورة الوفاء، وفيه إيحاء بان العهد كان برضاهم وبمبادرتهم. فلو اقتصر الأمر على عقد عهد بينهم وبين المسلمين لجاء التعبير القرآني بقوله عاهدتهم وفي هذا مسوغ لهم للتحلل من العهد والتحايل لنقضه، أما والحال أن العهد كان مأخوذاً منهم ففي هذا إلزام لهم، وفيه قطع لأعذارهم بالنقض والغدر.

---

(١) الانفال آية ٥٦.

(٢) ينظر الألوسي، روح المعاني، ج١٠، ص٤٢٢ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٤، ص٤٩٤. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠، ص٧٤-٤٨.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٤، مادة عهد.

(٤) ينظر: الزبيدي، تاج العروس، مادة أخذ.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠، ص٤٨ بتصرف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما يؤيد القول بالتضمين أولا: قوله تعالى في الآية الكريمة "ثم ينقضون عهدهم" فنسب العهد إليهم ولو كانت المبادرة من المسلمين لقال ينقضون عهدكم.

ثانيا: لو كانت من في قوله تعالى "الذين عاهدت منهم" تبعيضية لصار الذم متوجها إلى بعض الذين كفروا وهم الذين ينقضون عهدهم والآية السابقة لهذه الآية تنقض هذا المعنى حيث وجهت الذم لجميع الكفار دون استثناء.

الموضع العاشر:

في قوله تعالى: " فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد".[١] جاءت تعدية القعود بنفسه مع انه يتعدى بحرف على وذلك لتضمينه معنى اللزوم[٢] فيتضمين القعود معنى الملازمة توجيه للمسلمين إلى أحكام المنافذ على أعدائهم بأن يقعدوا في كل مرصد يمكن أن يسلكه أعداؤهم -قعود ملازمة لئلا يكون لهم منفذا للهروب من قبضة المسلمين.

ومما يؤيد القول بالتضمين قوله تعالى في سياق الآية "واحصروهم" والحصر لا يكون الا بالاجتهاد في التتبع وبذل قصارى الجهد في القعود والملازمة لطرائق العدو.

الموضع الحادي عشر:

في قوله تعالى "قال يابني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين"[٣]

---

(١) التوبة آية ٥.

(٢) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠، ص١١٦ ينظر المعنى اللغوي للفظ المذكور والمضمن والمناسبة بينهما في قوله تعالى "لأقعدن لهم صراطك المستقيم" الأعراف آية ١٦.

(٣) يوسف، آية ٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاء تعدية فعل الكيد بحرف الجر اللام مع انه يتعدى بنفسه كما في قوله تعالى "فكيدوني جميعا"[١] وذلك لتضمينه معنى الاحتيال.[٢]

يقول أبو حيان: "وعدي فيكيدوا باللام وفي "فيكدوني" بنفسه فأحتمل أن يكون من باب شكرت زيدا وشكرت لزيد، واحتمل أن يكون من باب التضمين، ضمن فيكيدوا معنى ما يتعدى باللام فكأنه قال:فيحتالوا لك بالكيد والتضمين أبلغ لدلالته على معنى الفعلين".[٣]

ومعنى الكيد لغة " المكر وربما سمي الحرب كيدا يقال غزا فلان فلم يلق كيدا، وكل شيء تعالجه فأنت تكيده"[٤] "وقد يكون مذموما وقد يكون ممدوحا، وان كان مستعملا في المذموم أكثر"[٥]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن الملاحظ أن فعل الكيد في القرآن الكريم جاء متعديا بنفسه كما في قوله تعالى "فكيدوني جميعا"[٦] وجاءت تعديته باللام في آيتين في قوله تعالى "كذلك كدنا ليوسف"[٧] واللام هي لام الأجل الدالة على النفع[٨] الداخلة على المفعول به، ولذا قال في الآية نفسها "نرفع درجات من نشاء"[٩] فكان الكيد ممدوحا من أجل نفع يوسف برفع درجته عند الله وعند الناس. أما الكيد في

---

(١) هود، آية ٥٥.

(٢) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٥، ص٢٨١، الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٥، ص٢٦٥.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، ج٥، ص٢٨١.

(٤) الجوهري، الصحاح، باختصار مادة كيد.

(٥) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٤٤٣.

(٦) هود، آية ٥٥.

(٧) يوسف، آية ٧٦.

(٨) ينظر الألوسي، روح المعاني، ج١٣، ص٢٩.

(٩) يوسف آية ٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوله تعالى "فيكيدوا لك كيدا"[١] فهو كيد مذموم لذا أعقبه بقوله تعالى "إن الشيطان للإنسان عدو مبين".[٢]

ومعنى الاحتيال لغة: "لفظ عام لأنواع أسباب التخلص[٣] وهو ما يتوصل به إلى حالة ما في خفية واكثر استعماله فيما تعاطيه خبث وقد يستعمل فيما فيه حكمة.[٤]

فالمناسبة بين الفعلين: أن الكيد والحيلة لا يكونان الا مع تدبر وفكر، وقد يكونان لجلب نفع أو ضر أو لدفعهما[٥] مع ملاحظة أن الحيلة وسيلة لتنفيذ الكيد.

جاء تضمين الكيد معنى الاحتيال لبث الخوف في قلب يوسف وهذا من شأنه أن يدفعه إلى أخذ حذره من اخوته، ولبيان شدة مكرهم في كيدهم وانهم متمرسون فيه تمرس من يخرج من الذنب كمن لا ذنب له فمن كان هذا حاله يصعب كشف مكره وتخليص الفريسة من شباكه. ففي الاحتيال إبراز لمسوغات هذا الكيد ليظهره في صورة تلقائية بعيدة عن التكلف والتصنع.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

مما يؤيد القول بالتضمين في الآية الكريمة:

أولا: الحيلة التي أعقب بها أخوة يوسف كيدهم للخروج من المأزق أمام أبيهم، وهذه الحيل التي فعلوها قسمان: منها ما هو قولي كما هو في قوله تعالى: "قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب"[٦] وحيل فعلية وهي تلطيخ قميص أخيهم بالدماء وذلك في قوله تعالى

---

[١] يوسف آية ٥.

[٢] يوسف آية ٥.

[٣] ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ص٣٤٩

[٤] السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ج١، ص٥٤٢.

[٥] ينظر أبا هلال العسكري، الفروق اللغوية ص٢١٥.

[٦] يوسف آية ١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وجاءوا على قميصه بدم كذب"[١]

يقول الدكتور فضل في صدد رد القول بزيادة اللام في الآية الكريمة:

"الآية التي معنا "فيكيدوا لك كيدا" إنما قصد بها أنهم يحتالون من أجلك ويدبرون لك أمرا، ولا يعقل أن يقال: فيكيدوك، لأنهم لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك خشية من أبيهم ونحن نرى أنهم احتالوا في فعلهم حينما دبروا ليوسف عليه السلام ما دبروه.[٢]

الموضع الثاني عشر:

في قوله تعالى: "وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ياأيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون".[٣]

جاءت تعدية فعل تعبرون بحرف الجر اللام مع أنه يأتي متعديا بنفسه لتضمينه معنى تنتدبون[٤] ومعنى عبر لغة: "العين والباء والراء" اصل صحيح واحد يدل على النفوذ والمضي في الشيء، يقال عبر النهر عبورا، ومن الباب عبر الرؤيا يعبرها عبرا وعبارة ويعبرها تعبيرا إذا فسرها، ووجه القياس في هذا عبور النهر لأنه يصير من عبر إلى عبر كذا مفسر الرؤيا يأخذ بها من وجه إلى وجه".[٥]

---

[١] يوسف آية ١٨.

[٢] د. فضل حسن عباس، لطائف المنان، ص١٣٧.

[٣] يوسف آية ٤٣.

[٤] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٤٥٥ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٥، ص٣١٢ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٤، ص٢٨١.

[٥] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، باختصار مادة عبر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومعنى تنتدبون لغة: "ندبه لأمر فانتدب له أي دعاه له فأجاب"[١] و"المندوب الرسول بلغة أهل مكة ومن ينوب عن مجلس أو هيئة محدثة".[٢]

فالمناسبة بين تعبرون وتنتدبون وجود مهارة في كل يؤهله لأداء المهمة الموكل بها.

فيتضمين تعبرون معنى تنتدبون بيان للشرط الذي اشترطه الملك فيمن يرشح نفسه لتفسير الرؤيا بأن يكون متمرساً بهذا الأمر بل يقدم على غيره ممن يشاركه في هذه المهمة لما له من خبرة وطول باع.

ومما يؤيد القول بالتضمين توجه الملك في خطابه للملأ والملأ الرؤساء، سمّوا بذلك لأنهم يملأون المجالس بما يحتاج إليه[٣] فهو لم يتوجه إلى عامة الناس بل إلى أهل الاختصاص من أصحاب فن التأويل وممن ينتدبون إلى مثل هذا الأمر.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والقول بالتضمين أولى من القول بالزيادة[٤]، هذا القول هو الذي ذهب إليه بعض العلماء في توجيه هذا الحرف.

الموضع الثالث عشر:

في قوله تعالى: " الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ"[٥] جاءت تعدية الفعل يستحبون إلى مفعوله الثاني بواسطة حرف الجر على وذلك

---

(١) الجوهري، الصحاح، مادة ندب.

(٢) ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة ندب.

(٣) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٤، ص٢٨١.

(٤) ينظر: الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٥، ص٣١٢.

(٥) ابراهيم، آية ٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لتضمينه معنى يؤثرون.[١] ولولا ذلك لاكتفي بذكر المفعول به ولم يرد ذكر للمفضل عليه وهو الآخرة.

ومعنى يستحبون لغة: "الحاء والباء ... اللزوم والثبات فالمحب والمحبة اشتقاقه من أحبه إذا لزمه".[٢]

والإيثار لغة: "آثر عليه فضله، وأثر أن يفعل كذا أثراً وأثَرَ وآثَرَ كله فضلّه وقدمه".[٣]

فالمناسبة بين المحبة والإيثار أن فيهما معنى الميل القلبي لشيء ما، وإن كان الإيثار درجة تالية للمحبة، فمن آثر شيئاً على شيء فقد أحبه ولا يقتضي حب الشيء إيثاره على غيره.

فبتضمين الاستحباب معنى الإيثار بيان لتمادي الكافرين في حبّ الدنيا، وتجاوزهم حدود الفطرة الإنسانية في هذا الحب، بأن آثروها على الآخرة وجعلوها منتهى غايتهم، فحب الدنيا أمر مركوز في الفطرة الإنسانية ولكن موضع النهي حيث يؤدي هذا الحب إلى تقديم الدنيا على الآخرة.

ومما يؤيد القول بالتضمين:

أولاً: ما ترتب على هذا الحب من استحقاق العذاب الشديد، وهذا لا يكون الاّ لمن آثر الدنيا على الآخرة مفضلاً إياها، وهذا العذاب مذكور في الآية السابقة لهذه الآية "اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ".[٤]

---

(١) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٥، ص٣٩٣. الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٥، ص٤٣٦، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٣، ص١٨٤.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة حب.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة أثر.

(٤) سورة ابراهيم آية ٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: إدخال حرفي السين والتاء على فعل يحبون فدل على وجود تكلف في هـذا الحـب وتجاوز للحدود وتجدده حيناً بعد حين فليس هو حباً عارضاً في أوقات ضعف بـل هـي صفـة راسخة فيهم، فلا عجب أن يؤدي بهم هذا الحب إلى تفضيل الدنيا على الآخرة.

الموضع الرابع عشر:

في الآية الكريمة "وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا"[١] جاءت تعدية فعل تعدو بحرف الجر عن مع أنـه يتعـدى بنفسـه وذلـك لتضمينه معنى النبو"[٢].

يقول الزمخشري في ذلك: "يقال عداه إذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره، وجاء في القـوم عدا زيداً، وإنما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا، وفي قولك نبت عنه عينه وعلـت عنـه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به، فان قلت أي غرض في هذا التضمين؟ وهلا قيل ولا تعد عينـاك، أو لا تعل عيناك عنهم؟ قلت الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطـاء معنـى فذ"[٣].

ومعنى التعدية لغة:"التعدية مجاوزة الشيء إلى غيره يقال: عديته فتعدى أي تجاوز، وقولـه عزوجل "فَلَا تَعْدُوهَا"[٤] فلا تتجاوزها إلى غيرها، وعدّى عن الأمر جازه إلى غـيره وتركـه"[٥]

---

[١] الكهف آية ٢٨.

[٢] ينظر: الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج٣، ص٢٥٨؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفايـة الراضي، ج٦، ص١٦٧.

[٣] الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٦٩٠.

[٤] البقرة، آية ٢٢٩.

[٥] ابن منظور، لسان العرب، مادة عدي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومعنى النبو لغة "الرفع ضد الوضع، رفعته فارتفع فهو نقيض الخفض في كل شيء"[١] فالمناسبة بين الفعلين أن في التعدية والنبو معنى التجاوز والانتقال.

فيتضمين تعدو معنى النبو بيان لموطن النهي عن تجاوز نظره عليه السلام عن فقراء المسلمين، وهو حيث كان الترفع عنهم والازدراء بحالهم هو السبب في هذا التجاهل لهم والإقبال على غيرهم.

أما إذا كان الأمر من غير قصد وبمقتضى عفوية في الفعل فلا مانع من وقوعه. ومما يؤيد القول بالتضمين ما جاء في تعليل الدافع وراء صدور هذا الفعل من الرسول وهو إرادة الحياة الدنيا، باستمالة أغنياء الكفار إلى الإسلام، فبين سبحانه الدوافع النفسية الكامنة وراء هذا الفعل.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

الموضع الخامس عشر:

في قوله تعالى "وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ"[٢] جاءت تعدية فعل يرد بالباء مع أن الأصل تعديته بنفسه وذلك لتضمينه معنى الهمّ[٣] ومنهم من ذهب إلى تضمينه معنى التلبس[٤] ولكن هذا المعنى نفيده من تعدية هذا اللفظ بحرف الباء الذي يفيد معنى التلبس وهذا المعنى لا يتناسب وسياق الآية ذلك لأن العذاب على هذا المعنى لا يتعلق بالمرء إلا حيث تمادى فيه وبلغ فيه غايته. وفي هذا تشجيع على ارتكاب صغائر الذنوب في المسجد الحرام.

فيقول ابن كثير[٥]: "قال بعض المفسرين من أهل العربية الباء هنا زائدة، كقوله "تَنْبُتُ

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص٦٩٠.

(٢) الحج، آية ٢٥.

(٣) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٢٣٧.ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج١، ص٥١.

(٤) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٦، ص٣٩٧، الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٦، ص٥٠٧.

(٥) إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء، كان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ، له مصنفات -

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بِالدُّهْنِ"[١] أي تنبت الدهن، وكذا قوله: "ومن يرد فيه بإلحاد" تقديره إلحاداً والأجود انه ضمن الفعل ههنا معنى يهم ولهذا عداه بالباء".[٢]

ومعنى يرد لغة:"هو الخطرة وحديث النفس، ويكون من غير اختيار ولا عزم"[٣] وهذا الهمّ هو المقصود بتضمين الإرادة إياه، وذلك لأن الهمَّ همان همّ بالمعنى السابق وهمّ بمعنى "الأمر الثابت الذي هو آخر العزيمة عند مواقعة الفعل"[٤] والمعنى الثاني غير مقصود بالتضمين في الآية الكريمة.

فالمناسبة بين الهمّ والإرادة ظاهرة؛ فهي مراتب تسبق التنفيذ والقيام بالفعل ومحلها القلب.

وبتضمين يرد معنى الهمّ تحذير للمسلمين من الاغترار بالكرم الإلهي بمضاعفة الحسنات في المسجد الحرام، فليست السيئات فقط التي تضاعف في هذا المكان بل إن الإنسان محاسب فيه على الهم والنية السيئة وان لم يفعلها تنبيهاً على ضرورة الإخلاص والإبتعاد عن وساوس الشيطان وان كان بالهم دون التنفيذ. فقد ورد عن ابن مسعود في تفسير هذه الآية: "لو أن رجلاً أراد فيه بإلحاد بظلم وهو بعدن ابين لأذاقه الله من العذاب الأليم"[٥]

يقول الدكتور فضل معللاً سر هذا التضمين: "فمكة شرّفها الله، يضاعف فيها العمل فينبغي أن تكون السيئات كذلك والغنم بالغرم وكأن الذي يهمّ بشيء فإنه يجازى به"[٦]

منها البداية والنهاية، وطبقات الشافعية، توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة؛ ينظر: السداوودي، طبقات المفسرين، ج١، ص ١١١.

[١] المؤمنون، آية ٢٠.

[٢] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٢٣٧.

[٣] ابو البقاء الكفوي، الكليات، ج٥، ص٨٠.

[٤] ينظر أبا هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص١٠٣.

[٥] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٢٣٧.

[٦] د.فضل حسن عباس، لطائف المنان، ص١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع السادس عشر:

في قوله تعالى "مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ"[١] جاءت تعدية مستكبرين بحرف الباء مع انه يتعدى بحرف على لتضمينه معنى مكذبين[٢] ومعنى مستكبرين لغة:"الاستكبار الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً، والتكبر والاستكبار التعظم[٣] والكذب لغة:"نقيض الصدق"[٤].

فبين الاستكبار والتكذيب مناسبة ظاهرة ففي كليهما وضع للشيء في غير موضعه.

فجاء تضمين الاستكبار معنى التكذيب لبيان الدافع وراء استكبارهم وهو تكذيبهم بآيات الله ولولا ذلك لآمنوا بها، ومما يؤيد ما ذهبت إليه من التضمين قوله تعالى في الآية السابقة "فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ"[٥] وهو هنا كناية عن الإعراض الناتج عن التكذيب.

مكتبة الجامعة الاردنية

ولا مانع من جعل الباء للسببية، فالآيات هي سبب استكبار الكفار. يقول أبو حيان "ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى بالباء أو تكون الباء للسبب أي يحدث لكم بسبب سماعه استكبار وعتو"[٦]

الموضع السابع عشر:

في الآية الكريمة "قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ"[٧] جاءت تعدية ردف بحرف

---

(١) المؤمنون، آية ٦٧.

(٢) ينظر:أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٦، ص١٤٣. الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج٣، ص٤٠٧، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٨، ص٨٦.

(٣) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة كبر.

(٤) ينظر: المصدر السابق، مادة كذب.

(٥) المؤمنون، آية ٦٦.

(٦) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٦، ص٣٨١.

(٧) النمل، آية ٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجر اللام وكان حقه التعدي بنفسه يقال ردفت زيداً أي جئت بعده وإنما عدي باللام لأنه ضمن معنى قرب ودنا"[١]

ومن التوجيهات الأخرى الواردة في توجيه تعدية ردف بحرف اللام، القول بزيادة السلام، يقول في ذلك أبو السعود:"واللام مزيدة للتأكيد كما في قوله تعالى"وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ"[٢] أو الفعل مضمن معنى ما يعدى باللام[٣] وقد بينت في موضع آخر من هذا البحث أن القول بالزيادة قول واهٍ فيه تعمية على كثير من أسرار الحروف التي هي أظهر سمات الإعجاز القرآني والقول بالتضمين أولى من القول به.

ومعنى ردف لغة:"الراء والدال والفاء اصل واحد مطرد يدل على اتباع الشيء، فالترادف التتابع، والرديف الذي يرادفك"[٤]

ومعنى دنا لغة:"الدال والنون والحرف المعتل أصل واحد يقاس بعضه على بعض وهو المقاربة"[٥].

---

[١] ينظر: السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ج٢، ص٩١، الجمل، الفتوحات الإلهية، ج٥، ص٤٦٠.

[٢] البقرة آية ١٩٥.

[٣] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٦، ص٣٩٨.

[٤] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة ردف.

[٥] المصدر السابق، مادة دنا.

جميع الحقوق محفوظة
الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمناسبة بين ردف ودنا أن ما جاء بعد الشيء فهو قريب منه.[١]

فيتضمين ردف معنى دنا تحديد لوقت العذاب الذي سيحل بهم فبين انه سيتبعهم عن قريب.

يقول الدكتور فضل حسن عباس معللاً سبب اللجوء إلى التضمين:

"لأن تفسير الآية على أن العذاب سيتبعهم فقط غير مستقيم ولا مقبول لأن المعنى عليه تبعكم بعض الذي تستعجلون وهذا العذاب سيغشاهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم فليس تابعاً لهم فقط بل سيغشاهم ويحيط بهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم"[٢] قال تعالى: "يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ".[٣]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الموضع الثامن عشر:

في الآية الكريمة:" وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"[٤] جاءت تعديته فعل تبدي بالباء مع انه يتعدى بنفسه وذلك لتضمينه معنى التصريح والبوح.[٥]

ومن الآراء الأخرى الواردة في توجيه هذا الحرف القول بزيادته. يقول الشهاب

---

[١] ينظر أبو حيان، النهر الماد، ج٤، ص٣٩٣.

[٢] د.فضل حسن عباس، لطائف المنان، ص١٤٦.

[٣] العنكبوت، آية ٥٥.

[٤] القصص، آية ١٠.

[٥] ينظر الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٧، ص٢٧٣، الألوسي، روح المعاني، ج٢٠، ص٤٩، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢، ص٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخفاجي:"وتعدية بالباء لتضمينه معنى تصرح، أو هي زائدة"[١] وكما أسلفت فان القول بالزيادة لا يتناسب مع إعجاز القرآن وبديع نظمه، يقول الدكتور فضل حسن عباس "إن عد الباء زائدة هنا يصير معنى الآية إن كادت لتبديه وهذا غير صحيح ولا يستقيم ذلك أن موسى عليه السلام ليس في حجرها والحرف القرآني له دلالته العظيمة.[٢]

ومعنى تبدي لغة:"الباء والدال والواو أصل واحد وهو ظهور الشيء، يقال بدا الشيء يبدو إذا ظهر فهو باد".[٣]

ومعنى البوح لغة: "الباء والواو والحاء اصل واحد وهو سعة الشيء وبروزه وظهوره".[٤]

فالمناسبة بين اللفظين أن في كليهما معنى الإظهار، وان كان في البوح إظهار مقصود وفي الإبداء من غير قصد.[٥]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

فبتضمين تبدي معنى تصرح وتبوح بيان للحالة التي وصلت إليها أم موسى لشدة فزعها على ابنها بأن ظهر ذلك على جوارحها وهذا أمر خارج عن إرادتها، بل تجاوزت هذه الحالة إلى أن تبوح وتصرح بأمر ابنها قصداً دون إخفاء أو مواربة، ومما يؤيد القول بالتضمين قوله تعالى في تذييل الآية الكريمة:" لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"[٦] وهذا يدل على أنها لو صرحت بأمر ابنها لترتب على ذلك خروجها من دائرة الإيمان الكامل، ولو أقتصر الأمر على الإبداء العفوي لما ترتب عليه هذا المحذور.

---

(١) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٧، ص٢٨٣.

(٢) د.فضل حسن عباس، لطائف المنان، ص١١٥-١١٦.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة بدو.

(٤) المصدر السابق، مادة بوح.

(٥) ينظر أبا هلال العسكري، الفروق اللغوية ص ٢٢٧.

(٦) القصص آية ١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع التاسع عشر:

في قوله تعالى:" وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ"[١].

ذهب أغلب المفسرين الذين عللوا تعدية الظهار بحرف من إلى تضمينه معنى التباعد، [٢] وذكر أبو السعود والبيضاوي أن تعدية هذا اللفظ بمن لتضمينه معنى التجنب[٣] ولم يقصدا بالتجنب حرفية هذا اللفظ فان التجنب مما يتعدى بنفسه لا بمن، وإنما قصدا لفظاً فيه هذا المعنى كالتباعد والانفصال.

علق الشهاب الخفاجي على عبارة البيضاوي"وتعديته بمن لتضمينه معنى التجنب"[٤] بقوله "وفي عبارة المصنف قصور فإن ظاهره أن المضمن تجنب مع أن التجنب متعد بنفسه لا بمن، يقال تجنبه كما صرح به أهل اللغة، والمراد كما في الكشف أنه ضمن فعلاً فيه معنى المجانبة يتعدى بمن"[٥]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن المناسب هنا الوقوف على لفظ الظهار في القرآن لمعرفة المعنى الذي نفيده من هذه التعدية.

جاء فعل الظهار في القرآن متعدياً بحرف على وذلك إذا كان بمعنى النصرة والمعونة، كما في قوله تعالى "وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ"[٦] "ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ

---

[١] الأحزاب، آية ٤.

[٢] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج٥، ص٤٠٢، الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٧، ص٤٦١.الالوسي، روح المعاني، ج٢١، ص١٤٦.

[٣] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٢، ص٢٣٩؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٧، ص٩٠.

[٤] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٢، ص٢٣٩.

[٥] الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٧، ص٤٦١.

[٦] الممتحنة، آية ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَحَدًا"[١] وتعدية الظهار بحرف على يتناسب مع المعنى المراد إيصاله من إفادة الاستعلاء الـــذي نفيده من هذا الحرف بأصل وضعه.

كما جاء فعل الظهار متعدياً بحرف من حيث كان فيه معنى التجنب كما في قولـــه تعـــالى "الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ"[٢]

لذا كان من المناسب تضمين الظهار معنى التباعد والظهار لغة:"الظاء والهاء والراء أصـل صحيح يدل على قوة وبروز من ذلك ظهر الشيء، يظهر ظـــهوراً فـهو ظـاهر إذا انكشـف وبرز"[٣] وظاهر الرجل امرأته إذا قال هي علي كظهر ذات رحم"[٤].

ومعنى التباعد لغة: "البعد خلاف القرب والبعد بمعنى الهلاك"[٥].

فالمناسبة بين الفعلين أن من أولاك ظهرك فقد ابتعد عنك وبتضميـــن تظـاهرون معنـــى التباعد بيان لحقيقة الظهار فهو حلف بقصد البعد والانفصال عن الزوجة فقد جـــاء نقـلاً عـن العرب انهم كانوا إذا ظاهروا المرأة تجنبوها كما يتجنبون المطلقة ويحترزون منها"[٦]

---

[١] التوبة، آية ٤.

[٢] المجادلة، آية ٢.

[٣] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة ظهر.

[٤] ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة ظهر.

[٥] ينظر المصدر السابق، ج٣، ص٨٩، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة بعد.

[٦] ابن منظور، لسان العرب، مادة ظهر.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع العشرون:

في الآية الكريمة "وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا"[١] نسب إلى الزجاج القول بتضمين كفى معنى اكتف، وقد علق ابن هشام على هذا بقوله: "وهو من الحسن بمكان ويصححه قولهم اتق الله أمرؤ فعل خيراً يثب عليه أي ليتق وليفعل بدليل جزم "يثب" [٢].

وقد كفانا الدكتور فضل حسن عباس مؤونة التوجيه لذا ساكتفي بذكر كلامه ففيه غنية عن أي توضيح آخر، حيث يقول: "والمتتبع لهذه الكلمة في كتاب الله يجد أنها جاءت متعدية بنفسها تارة وبالباء تارة أخرى، قال تعالى"فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ"[٣] "وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ"[٤]

فقد جاء هذا الفعل تارة بالباء، وتارة بدونها، ذلك أن كفى قد تكون بمعنى أجزأ وأغنى وعليه قوله "وكفى الله المؤمنين القتال" وقد تكون بمعنى (وقى) وعليه قوله "فسيكفيكهم الله" وعلى هذين المعنيين لا تدخلها الباء. أما التي دخلتها الباء فليست من هذا القبيل وإنما تأويلها -والله أعلم بما ينزل- واكتف بالله فقد ضمنت كلمة كفى معنى الاكتفاء...، هذا التأويل منسجم مع سياق الآيات التي جاءت بهذا النظم ذلك أن المتدبر لهذه الآيات يجد أنها جاءت حثاً للمخاطبين على أن يكتفوا بالله تبارك وتعالى فلا يرهبوا أعداء الله.

ونكتفي بهذه الآية دليلاً على ما قلناه: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ

---

[١] النساء، آية ١٦٦.

[٢] ابن هشام، مغني اللبيب، ج١، ص١٠٦. بحثتُ في أقوال الزجاج الواردة في توجيه تعدية كفى بحرف الباء في هذه الآية والآيات المشابهة لها فلم أجد انه يصرح بالتضمين وان ذكر عبارات يفهم منها ذهابه إليه، كقوله الباء دخلت في اسم الفاعل لأن معنى الكلام اكتفوا بالله، الزجاج، معاني القرآن، ج٢، ص٥٧. ينظر نفس المصدر، ج٣، ص٢٣١.

[٣] البقرة، آية ١٣٧.

[٤] الأحزاب، آية ٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمناسبة بين اللفظين أن الإيمان والعلم اعتقادات قلبية على سبيل الثقة[١]

فبتضمين العلم معنى الإيمان بيان للوازع الذي كان حقه أن ينأى بالكافر عن الكذب والتولي؛ وذلك لعلمه وتيقنه برؤية الله ومراقبته له. وهذه الدرجة وصل إليها الكافر بتأمل دلائل وحدانيته سبحانه المنتشرة في الكون ولكنه خالف فطرته فتولى عن قبول الحق.

يقول الدكتور فضل حسن عباس في توجيه هذه التعدية:

"إن الذي تحدثت عنه الآية لم يؤمن ولم يصدق، فالعلم هنا ضمن معنى الإيمان والتصديق، والتضمين أن تتضمن الكلمة معنى آخر لا يتناقض مع معناها الأساسي الرئيس، والإيمان والتصديق أخوا العلم، وكل من الإيمان والتصديق يتعدى بالباء، نقول آمنت بالله، وصدقت بالحق لذلك جاءت هذه الباء هنا ولم تدع لها حاجة في غير هذه الآية"[٢]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الموضع الثاني والعشرون:

في قوله تعالى: "كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ * وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ"[٣]

ضمن المراء معنى التكذيب وذلك في قوله تعالى "فتماروا بالنذر" يقول الألوسي في ذلك: "فتماروا فكذبوا بالرسل متشاكين، فالفعل مضمن معنى التكذيب ولولاه تعدى بفي"[٤]

---

[١] ينظر أبا هلال العسكري، الفروق اللغوية ص٧٦.

[٢] د.فضل حسن عباس، لطائف المنان، ص١٢٧-١٢٨.

[٣] القمر، آية ٣٣-٣٦.

[٤] الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج٤، ص٤٢٤؛ الألوسي، روح المعاني، ج٢٧، ص٩٠؛ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٧، ص٢٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهنا لا بد من بيان كيفية تعدية هذا اللفظ "في" القرآن الكريم لمعرفة سر العدول عن تعديته بحرف في.

جاء فعل المراء في القرآن متعديا بحرف "في"، في مواطن منها قوله تعالى:" فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا"[١] "ألا إن الذين يمارون في الساعة"[٢] كما جاء متعديا بحرف الباء في أربعة مواضع في الآية الكريمة، وفي قوله تعالى"فبأي آلاء ربك تتمارى"[٣] "وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها"[٤] فالملاحظ وجود معنى مشترك بين الآيات التي جاء تعدية فعل المراء فيها بحرف الباء وهو تضمنها معنى التكذيب. وليس التكذيب من مقتضيات المراء فالذي يفهم من قوله تعالى: "فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا" إباحة المراء بهدف التوصل إلى الحق.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والمراء لغة"الامتراء في الشيء، الشك فيه وكذلك التماري. والمراء: المماراة والجدل والشك، واصله في اللغة أن يستخرج الرجل من مناظره كلاما ومعاني الخصومة وغيرها، من مريت الشاة: إذا حلبتها واستخرجت لبنها"[٥]

---

[١] الكهف، آية ٢٢.

[٢] الشورى، آية ١٨.

[٣] النجم، آية ٥٥.

[٤] الزخرف، آية ٦١.

[٥] ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة مرا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والكذب "نقيض الصدق"[١]

فالمناسبة بينهما أن المراء والكذب أقوال لفظية للوصول إلى غاية ما.

فجاء تضمين تماروا معنى التكذيب لبيان وسائل قوم لوط في هذا المراء وهو الكذب والافتراء.

ومما يؤيد القول بالتضمين قوله تعالى -في مطلع الآيات الواردة في خبر قوم لوط- "كذبت قوم لوط بالنذر"[٢]

فقد تصدرت الآيات الواردة في خبرهم بذكر موقفهم من دعوته عليه السلام. فقد كذبوا وصدوا دون أن يكلفوا أنفسهم محاورته عليه السلام للتعرف على حقيقة دعوته وغايتها، ولكن سيدنا لوط لم ييأس من موقفهم هذا إذ حاورهم محاولا إقناعهم، فما كان منهم الا المراء الباطل متخذين الكذب سلاحا في هذا المراء والجدل السقيم.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

في نهاية هذا المبحث أود أن أبين أن الآيات التي جاءت وفق أسلوب التضمين هي آيات قليلة قياسا بآيات القرآن الكريم، وهذا يرجع إلى التقيد بضوابط وشروط التضمين التي من شأنها منع التكلف الذي صاحب التوجيه وفق هذا الأسلوب، وقد اتضح لي أن القول بالتضمين كان مسوغا لخروج بعض الآيات عن مقتضى الظاهر دون أن يخل بالمعنى وفيه هروب من بعض التخاريج الضعيفة كالزيادة والتناوب، والتي لا تتناسب مع أحكام القرآن ودقة نظمه.

---

[١] ينظر المصدر السابق، مادة كذب.

[٢] القمر، آية ٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

آيات حملت التضمين وحملها على غيره أظهر

في هذا المبحث دراسة للآيات التي قيل بالتضمين فيها ولكن بعد البحث وُجد أن شـــروط التضمين وضوابطه قد اختلت فيها، مما جعلني أحملها على محمل آخر غير التضمين بعيداً عـن التكلف، مبتدئة بذكر رأي المفسر في علة التضمين، منتهية بالتوجيه وفق أسلوب آخر أكثر دقـة وأقل تكلفاً، كل ذلك وفق ما يتناسب مع تفسير الآية وسياقها والقرائن المذكورة والملحوظة فيها.

وقد ذكرت في هذا الموضع أكثر الآيات التي قيل بالتضمين فيها وإن لم استوعبها جميعـها لكثرتها، ولتشابه طرق توجيهها.

الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الموضع الأول:

في قوله تعالى "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ"[١]

جوز بعض المفسرين تضمين خلا في الآية الكريمة معنى الانتهاء والانصراف، وذلك إذا كـــان الفعل بمعنى السخرية[٢] أي إذا أنهوا إليهم السخرية.[٣]

يقول البيضاوي[٤] في ذلك: "من خلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه، أو من خـــلاك ذم أي عداك ومضى عنك، ومنه القرون الخالية أو من خلوت به إذا سخرت منه، وعدي بإلي لتضمينـه

---

[١] البقرة، آية ١٤.

[٢] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج١، ص١٤٥؛ الشيخ زاده، حاشيته علـــى تفســير البيضـــاوي، ج١، ص١٤٥؛ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٢٩١.

[٣] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج١، ص٤٦.

[٤] عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، قاضي مفسر علامة ولد في المدينة البيضاء بفـــارس من كتبه: طوالع الأنوار، منهاج الوصول الى علم الأصول، توفي سنة ٦٨٥هـ-١٢٨٦م. ينظـــر: الـــداودي، -

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معنى الإنهاء".[١] وهنا يجب مناقشة من ذهب هذه الوجهة في أمرين:

أولاً: ان خلا بمعنى سخر كما ذهب إلى ذلك الزمخشري[٢] والبيضاوي[٣] "مما ينبغي ان لا يخرج عليه كلام رب العزة؛ إذا لم يقع صريحاً ان خلا بمعنى سخر في كلام من يوثق به، وقولهم خلا فلان بعرض فلان يعبث به ليس بالصريح إذ يجوز ان يكون خلا على حقيقته أو بمعنى تمكن على ما قيل".[٤]

ثانياً: التضمين مصطلح له ضوابطه، لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة، فتضمين خلا معنى الانتهاء الذي هو من معاني إلى الأصلية لا مسوّغ له، فالحرف إلى جاء على بابه ليفيد انتهاء القوم إلى من هم على ملتهم في الكفر،[٥] وهذا المعنى تكفل حرف إلى بالتعبير عنه دون حاجة إلى التضمين.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن الآراء الأخرى الواردة في توجيه الآية القول بإنابة حرف "مع" مكان "إلى"، يقول الطبري في معرض بيان الآراء الواردة في توجيه حرف إلى: "القول الآخر فأن توجه معنى قوله: "وإذا خلوا إلى شياطينهم" "وإذا خلو مع شياطينهم" إذا كانت حروف الصفات يعقب بعضها بعضا".[٦]

طبقات المفسرين، ج١، ص٤٨.

[١] البيضاوي، أنوار التنزيل، ج١، ص٢٨.

[٢] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٧٣.

[٣] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج١، ص٢٨.

[٤] الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج١، ص٥٣١؛ الألوسي، روح المعاني، ج١، ص١٥٧، بتصرف يسير.

[٥] ينظر: الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ١، ص٥٣١.

[٦] الطبري، جامع البيان، ج١، ص٢٩٨-٢٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن الطبري -رحمه الله- كفاني مؤنه الرد إذ يقول معقباً على الكلام السابق: "لكل حرف من حروف المعاني وجة هو أولى به من غيره، فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها ولا إلى في كل موضع دخلت من الكلام حكم وغير جائز سلبها معانيها في أماكنها".[١]

الموضع الثاني:

في تفسير قوله تعالى: "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"[٢]

ذهب ابن عاشور في تفسيره إلى تضمين التوبة معنى العطف وذلك لتعدية هذا اللفظ بحرف على فيقول في ذلك: "قالوا تاب فلان لفلان فتاب عليه لأنهم ضمنوا الثاني معنى عطف ورضي فاختلاف مفادي هذا الفعل باختلاف الحرف الذي يتعدى به وكان أصله مبنياً على المشاكلة".[٣]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتعليل ابن عاشور سبب اختلاف تعدية هذا الفعل أمرٌ حري بأن توجه الأذهان إلى فهم معناه، فهو يرى ان اختلاف هذه التعدية لاختلاف المعنى المقصود، وإذا ثبت ذلك فلا حاجة إلى القول بالتضمين. فقد جاءت تعدية هذا الفعل في اللغة متعدياً بالحروف إلى، وعن، وعلى،[٤] واختلاف الحرف المصاحب للفظ ناتج عن اختلاف المعنى المراد.

---

[١] المصدر السابق، ج١، ص٢٩٩.

[٢] البقرة، آية ٣٧.

[٣] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٤٣٨.

[٤] ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ابن منظور، لسان العرب، مادة توب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإذا اقتضى السياق مراعاة المعنى الأصلي لفعل التوبة وهو الرجوع عندي هذا الفعل بحرف على فيقال تاب عليه إذا رجع عليه بالمغفرة، ومنه قوله تعالى: "عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ"(١)

ويتعدى هذا اللفظ بحرف عن حيث كان السياق فيه معنى التجاوز وبحرف إلى حيث كان المعنى فيه إنهاء التوبة إلى المتوب إليه كما في قوله تعالى: "إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا"(٢) أما في قوله تعالى: "إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ"(٣) فقد جاءت تعدية التوبة بحرف من لإفادة معنى التبعيض فالذي يوتى بالتوبة في أي جزء من أجزاء هذا الزمان فهو تائب.(٤)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وما قيل في تفسير هذه الآية يقال في توجيه قوله تعالى "فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ(٥)". (٦)

الموضع الثالث:

في تفسير قوله تعالى: "أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ"(٧)، علل بعض المفسرين تعدية فعل الإيمان باللام مع ان الأصل تعديته بنفسه أو

---

(١) المزمل، آية ٢٠.

(٢) التحريم، آية ٤.

(٣) النساء، آية ١٧.

(٤) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج٣، ص٦٢٤.

(٥) النساء، آية ١٧.

(٦) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ٢٠٩؛ الألوسي، روح المعاني، ج٤، ص٢٣٩.

(٧) البقرة، آية ٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالباء لتضمينه معنى الإقرار أو الاستجابة[١]، وقد بين الشهاب الخفاجي تدرج هذا الفعل في التعدية إلى ان وصل إلى التعدية بحرف اللام، فيقول: "لما كان فعل الايمان في الاصل متعدياً بنفسه ثم شاع تعديته بالباء لما فيه من معنى التصديق حتى صار حقيقته أوّل تعديته باللام بتضمينه معنى الانقياد لأنه يقال انقاد له"[٢]

ولبيان حقيقة هذه التعدية لا بد لي من وقفة مع هذا الفعل وتعديته في القرآن الكريم، فقد جاء متعدياً بحرف الباء كما في قوله تعالى: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ"[٣] كما جاء متعدياً باللام في مواضع كثيرة نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ"،[٤] إن كثرة تعدية فعل الايمان بحرف اللام في القرآن الكريم دليل على أصالة هذه التعدية من غير حاجة إلى تضمينه معنى آخر. ومن الملاحظ وجود فروق دلالية بين تعدية فعل الإيمان بالباء واللام، فهو يأتي متعدياً بالباء إذا كان الايمان بمعنى التصديق الذي هو نقيض الكفر، ويأتي متعدياً باللام إذا كان بمعنى الاطمئنان الذي هو نقيض القلق والاضطراب وهذه الفروق تلحظ من السياق القرآني، وهذا ما يؤيده المعنى اللغوي لهذه الكلمة.

يقول ابن فارس[٥] في بيان معنى آمن:

---

(١) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج١، ص٤٤٠. حيث ضمن الإيمان معنى يحدثوا الايمان لأجل دعوتكم، ومن الملاحظ عدم وجود مناسبة بين اللفظ المذكور والمضمن؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج١، ص١١٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٥٦٧.

(٢) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٦، ص٣٧٢.

(٣) البقرة، آية ٢٨٥.

(٤) آل عمران، آية ١٨٣.

(٥) احمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسن، من أعيان أهل العلم، وأفراد الدهر من أئمة اللغة والأدب، من تصانيفه "المجمل"، مقدمة في النحو، توفي سنة ٣٩٥هـ. ينظر: القفطي، انباه الرواة، ج١، ص١٢٧؛

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق والمعنيان متدانيان".[١]

ولعل أوضح استدلال بمثل هذه المفارقة هو ما جاء في قوله تعالى: يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ"[٢] حيث جاء متعدياً بالحرفين في نفس الآية، يقول البيضاوي في تعليل هذه التعدية: "واللام مزيدة للتفرقة بين إيمان التصديق فإنه بمعنى التسليم وإيمان الأمان"[٣]، وفي هذا التوجيه فإنني أوافقه على هذه التفرقة في المعنى بين هاتين التعديتين ولكن لا أوافقه على القول بزيادة اللام لإفادتها معنى، كما ان القرآن تنزه عن هذا اللفظ الذي لا يتناسب مع إعجازه وإحكام سبكه.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الموضع الرابع:

في تفسير قوله تعالى: "أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا"[٤] جوز بعض المفسرين في الآية الكريمة تضمين عاهدوا معنى أعطوا وذلك لتعديته إلى المفعول به عهداً مع أن أصله اللزوم.[٥]

والتضمين كما ذكرت سابقاً لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة ولا ضرورة في الآية تدعو إليه فعهداً جاء مصدراً مؤكداً لعاهدوا من غير لفظه ويؤيد هذا قراءة عَهِدوا"[٦]

السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص ٣٥٢.

[١] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج١، ص١٢٥.

[٢] التوبة، آية ٦١.

[٣] البيضاوي، أنوار التنزيل، ج١، ص٤١٠.

[٤] البقرة، آية ١٠٠.

[٥] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج١، ص ٤٩٣؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٢، ص ٣٤٥؛ الألوسي، روح المعاني، ج١، ص٣٣٥.

[٦] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج٢، ص٤٢٥؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٢،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولو نظرت إلى معنى الفعل الذي ضمنوا المعاهدة إياه وهو العطاء لوجدت أنه لا يضيف معنىً جديداً للفظ المذكور، فالعطاء من مستلزمات المعاهدة من غير تضمين.

الموضعان الخامس والسادس:

في تفسير قوله تعالى: "وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ"[١] في هذه الآية موضعان قيل بالتضمين فيهما:

في هذه الآية موضعان قيل بالتضمين فيهما:

الموضع الأول: في تفسير قوله تعالى "ومن يرغب عن" حيث ضمن ابن عاشور الرغبة معنى العدول وذكر ان هذا التضمين كثر حتى صار منسياً"[٢] ولا بد لمن يقول بالتضمين في موضع أن يبين الأصل الذي تم العدول عنه وهذا ما لم يفعله ابن عاشور بل اكتفى بذكر القول من غير تحقيق أو توضيح.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والأمر وإن كان لا يحتاج إلى رد إلا أن اتباع المنهجية التي التزمت بها تقودني إلى توضيح معنى هذه التعدية.

فقولك رغبت في الشيء للتعبير عن معنى إرادته، ورغبت عن الشيء للتعبير عن الزهد فيه وتركه متعمداً.[٣]

ص ٣٤٥.

[١] البقرة، آية ١٣٠.

[٢] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص ٧٢٥.

[٣] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة رغب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاختلاف الحرف المصاحب للفظ جاء لاختلاف مقصود المتكلم في التعبير عن مواده دون حاجة إلى القول بالتضمين، فتعدية الرغبة في الآية الكريمة بحرف عن للدلالة على ترك ملة ابراهيم والانصراف عنها.

الموضع الثاني: في تفسير قوله تعالى: "إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ"[١] نسب إلى الزجّاج القول بتضمين سفه معنى جهل لتصح تعديته إلى مفعوله بنفسه. يقول الزجّاج في ذلك: "والقول أكيد عندي في هذا ان سفه في موضع جهل بالمعنى والله أعلم إلا من جهل نفسه أي لم يفكر في نفسه فوضع جهل وعدي كما عدي"[٢]

ومن لم يقل بالتضمين اضطرب في إعراب سفه على أنه تمييز تارة أو مشبه بالمفعول تارة أخرى[٣] كل ذلك للهرب من الاعتراف بأن الفعل سفه بالكسر متعد وبالضم لازم.[٤]

يقول الزمخشري مرجحاً القول بتعدية سفه بنفسه : "سفه نفسه امتهنها واستخف بها، وأصل السفه: الخفة ومنه زمام سفيه، وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه، ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف التمييز وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم أي في ظني، والوجه هو الأول وكفى شاهداً له بما جاء في الحديث "الكِبْرُ ان يسفه الحق ويغمص الناس[٥]"[٦].

---

(١) البقرة، آية ١٣٠.

(٢) الزجاج، معاني القرآن، ج١، ص٢١٠؛ ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج١، ص٣٨٧.

(٣) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج١، ص٥٦٥.

(٤) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج١، ص١٦٢. نسب هذا القول إلى المبرد وثعلب.

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب أبواب البرد الصلة، ج٦، ص٢١٠، باب ما جاء في الكِبْر، حديث رقم ١٩٩٩. والإمام أحمد في مسنده، ج٤، ص١٣٤. ومعنى الغمص الاستهانة والاستحقار. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٣، ص٣٨٧.

(٦) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص١٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد بين صاحب مختار الصحاح[١] اصل تعدية هذا الفعل وأمثاله مما جاء متعدياً إلى مفعول به مع ان الأغلب مجيئه لازماً مكتفياً بفاعله بقوله: "قولهم سفه نفسه، وغبن رأيه، وبطر عيشه، وألم بطنه، ووفق أمره، ورشد أمره كان الأصل سفهت نفس زيد، ورشدَ أمره فلما حول الفعل إلى الرجل انتصب ما بعده بوقوع الفعل عليه لأنه صار في معنى سفّه نفسه بالتشديد هذا قول البصريين والكسائي[٢] وسفه الرجل صار سفيها.... فإذا قالوا سفه نفسه وسفه رأيه لم يقولوه إلا بالكسر لأن فَعِل لا يكون متعدياً"[٣]

فتعدية سفه في الآية الكريمة بنفسه جاء على وجه الحقيقة دون حاجة إلى القول بالتضمين.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

(١) هو محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي زين الدين من فقهاء الحنفية، وله علم بالتفسير والأدب، من كتبه شرح المقامات الحريرية، وحدائق الحقائق، توفي سنة ٦٦٦هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٥٥.

(٢) علي بن حمزة أبو الحسن الأسدي، المعروف بالكسائي النحوي، أحد الأئمة القراء من أهل الكوفة، إمام في النحو واللغة والقراءة. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٤٠٣؛ القفطي، إنباه الرواة على أنباء النحاة ج٢، ص٢٥٦.

(٣) الرازي، مختار الصحاح، مادة سفه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع السابع:

في تفسير قوله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا"[١] ذهب الشيخ زاده إلى تضمين شهيداً في قوله تعالى: "ويكون الرسول عليكم شهيدا" معنى الرقيب. يقول في ذلك: "الشاهد إذا أضر بشهادته عديت الشهادة بكلمة على واذا انتفع بها تعدى باللام، فيقال في الأول شهد عليه، وفي الثانية شهد له والرسول ﷺ لمّا زكى أمته وعدلهم بشهادته فقد انتفعوا بها، فالظاهر ان يقال ويكون الرسول لكم شهيدا، بخلاف شهادة هذه الأمة على الناس المنكرين للتبليغ فإنها شهادة عليهم حيث استضروا بها، فكلمة على فيها واقعة في موضعها فلا تحتاج إلى التأويل بخلاف قوله عليكم شهيدا فإنه يحتاج إلى التأويل وتأويله ان كلمة على فيه ليست صلة للشهادة كما في قولهم شهد على المنكر بل هي مبنية على تضمين الشهيد معنى الرقيب والمطلع فعدي تعديته، والوجه في اعتبار التضمين الإشارة إلى ان التعدية والتزكية إنما يكون عن خبرة ومراقبة بحال الشاهد، فإذا شهد منه الرشد والصلاح في الخلوات عدّله وزكاه وأثنى عليه، وإلا سكت عنه"[٢] وهذا الذي ذهب إليه الشيخ زاده يناقش من جوانب عدّة[٣]:

فقوله شهادة الرسول لأمته شهادة بزكاتهم وعدالتهم لا يوافق عليه، فأمته فيها الصالحون والطالحون فهي شهادة عليهم بحسب حالهم، وحالهم فيه الصلاح وفيه الفساد، كما ان الرسول لم يعاصر جميع أمته لتكون شهادته له بناء على خبرة واطلاع وإنما عاصر جزءاً منهم. وشهادته

---

[١] البقرة، آية ١٤٣.

[٢] الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج١، ص٤٤٨.

[٣] أفدت في مناقشة الشيخ زاده من توجيهات استاذنا الدكتور فضل حسن عباس جزاه الله عنا خير الجزاء كما أفدت في غيرها من الآيات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليهم ليست شهادة لأمته جميعاً فقد أحدثوا بعده ما بريء منه الله ورسوله وما ذكر من النكتة في اعتبار التضمين لا يسلم له به فالوصف الذي وصف به الرسول عليه السلام من اطلاع على خبايا أمورهم بناء على خبرة لا يكون للرسول بل لله فالرسول لم يكن في يوم من الأيام موكلاً بالنوايا وإنما له الظاهر من ذلك. لذا اطرد وصف الله بكونه رقيباً ولم يوصف بذلك رسول الله. قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"[١] "وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا".[٢] من هنا كانت تعدية شهيداً بحرف على في قوله تعالى: "ويكون الرسول عليكم شهيداً" على أصلها لأن شهادة الرسول لهم وعليهم. إن كثرة تعدية هذا اللفظ بحرف على في القرآن الكريم دليل على أصالته من غير حاجة إلى التضمين. كما ان عدم مناسبة اللفظ المضمن للسياق القرآني يؤيد ان مجيء شهيد متعدياً بحرف (على) على أصله من غير حاجة إلى القول بالتضمين.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الموضع الثامن:

في تفسير قوله تعالى: "وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"[٣] ذهب بعض المفسرين إلى تضمين التكبير معنى الحمد وذلك لتعديته بحرف على[٤] والأساس في اعتماد هذا القول ما ذكره الزمخشري في توجيه تعدية فعل التكبير بحرف الاستعلاء حيث يقول: "وإنما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمناً معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين

---

(١) النساء، آية ١.

(٢) الأحزاب، آية ٥٢.

(٣) البقرة، آية ١٨٥.

(٤) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج١، ص ٢٢٦؛ أبو حيان، البحر المحيط، ج٢، ص ٥١؛ السمين الحلبي، الدر المصون، ج٢، ص٢٨٨؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج١، ص ٢٠٠؛ الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج١، ص٤٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على ما هداكم"[١] واعترض أبو حيان على قول الزمخشري السابق بقوله: "وقولـــه كأنـــه قيـــل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم هو تفسير معنى لا تفسير إعراب إذ لو كان تفسير إعراب لـم تكن على متعلقة بتكبروا المضمنة معنى الحمد إنما كانت تكون متعلقة بحـامدين التـي قدرهـا، والتقدير الإعرابي هو ان تقول: "كأنه قيل ولتحمدوا الله -بالتكبير- على ما هداكم كما قدر النـاس في قولهم قتل زياداً عني أي صرف الله زياداً عني بالقتل"[٢].

والذي يبدو أن مجيء حرف على جاء لإفادة معنى الاستعلاء المجازي الـــذي هـــو مـــن معاني على الأصلية ليصير المعنى ولتكبروا الله لتمكنكم من الهداية ووصولكم فيها هـذا المبلـغ فإذا صح ذلك فلا حاجة إلى القول بالتضمين في الآية الكريمة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

الموضع التاسع:

في تفسير قوله تعالى: "أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ"[٣] ذهب بعـض المفسـرين إلـى تضمنين الرفث معنى الإفضاء وذلك لأن الأصل في هذا اللفظ أن يتعدى بالباء.[٤]

يقول أبو السعود: "الرفث كناية عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو من رفث وهو الإفصاح بمـا يجب أن يكنى عنه، وعدي بإلى لتضمينه معنى الإفضاء والإنهاء، وإيثاره هـهنا لاسـتقباح مـا ارتكبوه ولذلك سمي خيانة"[٥].

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٢٢٦.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، ج٢، ص٥١.

(٣) البقرة، آية ١٨٧.

(٤) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج٢، ص٢٩٣؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضية وكفاية الراضي، ج٢، ص٤٧٠؛ الألوسي، روح المعاني، ج٢، ص٦٤.

(٥) أبو السعود، ارشاد العقل السليم، ج١، ص٢٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن المتأمل في الآية الكريمة يجد أن تعدية الرفث بحرف إلى جاء لتحقيق غاية لا تتم إلا بهذه التعدية، فحرف إلى جاء في الآية على حقيقته ليفيد انتهاء الغاية.

فالرفث لغةً: هو الجماع وغيره مما يكون بين الرجل وامرأته يعني التقبيل والمغازلة ونحوهما مما يكون في حالة الجماع وأصله قول الفحش والرفث أيضاً الفحش من القول وكلام النساء في الجماع"[١] فلما كان الرفث في الآية واقعاً بين الأزواج كان كلاماً جميلاً معسولاً محبباً موصلاً للنفس والقلب وهذا الرفث ليس لذاته وإنما هو طريق للوصول إلى الأجر والثواب ودوام السكينة وحفظ النفس من الوصول إلى ما حرم الله إليه فهو يفيد وصول الزوج إلى زوجته ووصول الأجر إليه إن قصد. وهذا المعنى نفيده من تعدية الرفث بحرف إلى دون غيره من الحروف، فإذا كان الأمر كذلك كانت تعدية الرفث بحرف إلى على وجه الحقيقة دون حاجة إلى القول بالتضمين.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الموضع العاشر:

في تفسير قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ"[٢] ذهب بعض المفسرين إلى تضمين الرؤية معنى ما يتعدى بإلى ليصير المعنى عليه الم ينته علمك إلى كذا، وذلك لأن رأى العلمية مما يتعدى بنفسه دون حاجة إلى الجار.[٣]

يقول أبو حيان في ذلك: "الرؤية هنا علمية، وضمنت معنى ما يتعدى بإلى ولذلك لم يتعدى إلى مفعولين، كأنه قيل الم ينته علمك إلى كذا"[٤]

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة رفث.

[٢] البقرة، آية ٢٤٣.

[٣] ينظر: أبو السعود، ارشاد العقل السليم، ج١، ص٤٢٣٧ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢، ص٤٧٧.

[٤] أبو حيان، البحر المحيط، ج٢، ص٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع الحادي عشر:

في تفسير قوله تعالى: "لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ"[١] يقول ابن عاشور -معللاً سبب تعدية فعل تبين بحرف الجر من- "ضمن تبين معنى تميز فلذلك عدي بمن"[٢] ولعله قصد بالتضمين التضمين بمعناه اللغوي ذلك انه لو قصد التضمين بمعناه الاصطلاحي لاختل ضابطان من ضوابط التضمين وهما:

أولاً: عدم إضافة اللفظ المضمن معنىً جديداً للفظ المذكور، ذلك أن من مقتضيات التبيين معنى التمييز. فالتبيين لغة : "الباء والياء والنون أصلٌ واحد، وهو بعد الشيء، والانكشافه، فالبين الفراق"[٣] وهو بهذا لم يخرج عن معنى التمييز.

جميع الحقوق محفوظة

ثانياً: استقامة المعنى بحمل معنى الحرف على حقيقته. فمن معاني من المتفق عليها الفصل والذي يعني الدخول على ثاني المتضادين[٤] وهذا المعنى يوافق ما جاء في الآية الكريمة فالغي عكس الرشد.

فتعدية التبيين بحرف من جاء على أصله لإفادة معنى الفصل الذي هو من معانيه الأصيلة دون حاجة إلى القول بالتضمين.

الموضع الثاني عشر:

في سياق تفسير قوله تعالى: "لَا يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْ

---

(١) البقرة، آية ٢٥٦.

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣، ص٢٨.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة بيّن.

(٤) ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، ج١، ص ٣٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً"[١] جوز ابن عاشور تضمين تتقوا في الآية الكريمة معنى تخافوا[٢] وهذا الذي جوزه لم أجده لغيره من المفسرين فقد وجهوا تعدية هذا الفعل بهذا الحرف إلى أن تتقوا في الآية بمعنى تخافوا فتعدى تعديته[٣]

فالفعل إذا كان بمعنى فعل آخر تعدى تعديته، وهذا خلاف القول بالتضمين الذي يشترط فيه وجود وجه مغايرة بين اللفظ المذكور والمضمن وأن لا يكون تفسيراً لمعناه المعجمي.

الموضع الثالث عشر:

في تفسير قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ"[٤] ذهب بعض المفسرين إلى تضمين اصطفى معنى التفضيل وذلك لتعديته بحرف على مع أن الأصل تعديته بحرف من"[٥]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يقول ابن حيان: "على العالمين متعلق باصطفى، ضمنه فضل فعداه بعلى ولو لم يضمنه معنى فضل لعدي بمن"[٦] ومن المناسب هنا الوقوف مع الفعل المضمن لمعرفة مدى حاجة السياق له.

فالتفضيل لغة يدل على زيادة في شيء والفضل الزيادة في الخير[٧] بينما الاصطفاء كلمة

---

[١] آل عمران، آية ٢٨.

[٢] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣، ص٢٢٠.

[٣] ينظر: الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٣، ص٣١؛ الألوسي، روح المعاني، ج٣، ص١٢١.

[٤] آل عمران، آية ٣٣.

[٥] ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٣، ص١٢٨؛ الألوسي، روح المعاني، ج ٣، ص ١٣١؛ الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج ١، ص٦١٩.

[٦] أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٤٥٢.

[٧] ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة فضل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تدل على خلوص من كل شوب[١]. فبتضمين الاصطفاء معنى التفضيل ذهاب برونق المعنى الذي جاء ليعبر عنه هذا اللفظ دون غيره، فالاصطفاء فيه معنى التفضيل وزيادة فلا حاجة لتضمينه كلمة هي دونه قدرة على أداء المعنى المقصود.

الموضع الرابع عشر:

في تفسير قوله تعالى: "قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ"[٢] ذهب المفسرون مذاهب شتى في تعليل تعدية انصاري بحرف إلى ومن الآراء الواردة في توجيه هذه الآية تضمين انصاري معنى الاضافة وذلك لتعديته بحرف إلى مع أن الأصل كما يتصوره اصحاب هذا الرأي أن يتعدى بحرف مع[٣]، أما الرأي الآخر فهو تعلق أنصاري بمحذوف وقع حالا من الياء أي من انصاري ذاهباً إلى الله ملتجئاً إليه"[٤]، أو على إنابة حرف مكان إلى[٥].

يقول أبو السعود : "إلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء أي من انصاري متوجها إلى الله ملتجئاً اليه أو بأنصاري متضمنا معنى الاضافة كأنه قيل من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله عز وجل وينصرونني كما ينصرني وقيل إلى بمعنى في أي في سبيل الله، وقيل بمعنى اللام وقيل بمعنى مع"[٦]

والرأي الأخير وهو القول بالتناوب هو قول واهٍ فيه ذهاب لرونق الحرف وسر انتقائه كما سبق أن بينت في موضعه من هذا البحث.

---

(١) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة صفي.

(٢) آل عمران، آية ٥٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص٣٥٩؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٢، ص ٤١.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٣٥٩.

(٥) ينظر: الفراء، معاني القرآن، ج١، ص٢١٨.

(٦) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٢، ص٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما عن القول الأول والثاني فهما قولان جديران بالمناقشة، وهنا لا بد من تحكيم السياق للخروج بتصور واضح لسر مجيء هذا الحرف.

فالمعنى على القول الأول الذي ذهب صاحبه إلى تضمين أنصاري معنى الإضافة هو: إن الله ناصري فمن ينصرني كما ينصرني الله أما على القول الثاني وهو حذف حال فالمعنى على هذا التوجيه: من يكون معي ملتجئاً إلى الله.

ولنتأمل الجواب الذي أجاب به الحواريون لبيان مدى مطابقة الجواب للسؤال فالحواريون قالوا "نحن أنصار الله" وهذا جواب يقطع على قائل القول الأول قوله فلو كان ما ذهب إليه من التضمين صحيحاً لكان جوابهم نحن ننصرك كما ينصرك الله. أما على القول الثاني فيكون الجواب متناسباً مع السؤال ولكن الا ترى معي أن إبقاء الآية على ما هي عليه أولى من القول بتقدير محذوف، فحرف إلى جاء لإفادة معنىً الانتهاء وكأن سيدنا عيسى قد طلب تمييز الفئة الثابتة على الحق إلى أن تنتهي إلى لقاء الله، لأن هناك أناساً يسيرون على الحق في بداية الطريق ومن ثم ينصرفون عنه في منتصف الطريق، فطلب سيدنا عيسى فئةً ذات عزيمة قوية تثبت رغم ما ينتابها من صعاب، وعليه فلا حاجة للتضمين أو تقدير محذوف لتصح هذه التعدية.

فالقول بالتضمين في هذه الآية يؤدي إلى الاخلال بشروطه وضوابطه فلا مناسبة بين اللفظ المذكور أنصاري واللفظ المضمن وهو الانتهاء، كما أن اللفظ المضمن لا يتناسب مع القرائن المعنوية المستخلصة من سياق الآية.

الموضع الخامس عشر:

في تفسير قوله تعالى: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ"[1] جوز ابن عاشور تضمين صدق معنى

---

[1] آل عمران، آية ١٥٢.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعطى حيث يقول: "فنصب وعده هنا على الحذف والإيصال وأصل الكلام صدقكم في وعده أو على تضمين صدق معنى أعطى"[١] وهذا الذي ذهب اليه كان لاعتقاده أن صدق لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد مع أن المحققين لهذا الأمر ذهبوا إلى أن هذا الفعل يتعدى إلى مفعولين في اصل وضعه وقد يتعدى إلى المفعول الثاني بحرف الجر.[٢]

يقول أبو حيان: "وتعديت صدق هنا إلى اثنين ويجوز أن يتعدى إلى الثاني بحرف الجر فيكون من باب استغفر واختار"[٣]

فتعدية صدق إلى مفعولين على سبيل الحقيقة دون حاجة إلى القول بالتضمين.

الموضع السادس عشر:

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

في تفسير قوله تعالى: "وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا"[٤] ضمن بعض المفسرين يسارعون معنى يقعون وذلك لتعديتها بحرف في مع أن الأصل تعدية هذا اللفظ بحرف إلى.[٥]

والذي ذهبوا إليه لا يسلم لهم به ذلك أن حرف في جاء في الآية الكريمة قصداً دون حاجة إلى التضمين ؛ وذلك لإفادة معنى الظرفية المجازية الذي هو من معاني في الأصلية، وذلك لتلبس هذه الفئة بالكفر وإحاطته بهم إحاطة الوعاء بما فيه "فشبه حال حرصهم وجدهم في تكفير الناس وإدخال الشك على المؤمنين وتربصهم الدوائر وانتهازهم الفرص بحال الطالب المسارع

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٤، ص١٢٧.

(٢) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٣، ص ٨٤؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٣، ص ١٤٠؛ الألوسي، روح المعاني، ج ٤، ص ٨٩.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٣، ص٨٤.

(٤) آل عمران، آية ١٧٦.

(٥) ينظر: الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج ١، ص٦٨٩؛ الألوسي، روح المعاني، ج ٤، ص١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى تحصيل شيء يخشى أن يفوته وهو متوغل فيه متلبس به"[١] فالحرف في هذه الآية ومثيلاتها كان شعاعاً يضيء لسبر أغوار المعنى وعدم الوقوف به عند ظاهر معاني الألفاظ.

الموضع السابع عشر:

في تفسير قوله تعالى: "وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا"[٢] جوز غير واحد من المفسرين تعلق إلى بالأكل على تضمينه معنى الضم[٣] أو على إنابة مع مكان إلى[٤].

والذي ارتضيه في توجيه تعدية الأكل بحرف إلى حمله على أصل معناه من إفادة معنى الانتهاء، ذلك أن الوصف بالحوب الكبير لا يكون إلا لمن ارتكب إثماً عظيماً تجاوز حدود التسوية بين ماله ومال اليتامى في الأكل بل تعداه إلى تقديم مال اليتيم على ماله، وهذا قريب مما نقله الشهاب عن صاحب الكشف[٥] إذ يقول: "وفي الكشف لو حمل الانتهاء في إلى على أصله على أن النهي عن أكلها مع بقاء مالهم كأن أموالهم جعلت غاية لحصلت المبالغة والتخلص عن الاعتذار"[٦]

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ١٧٢-١٧٣.

(٢) النساء، آية ٢.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص٢٢١.

(٤) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٣، ص١٦٨؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٣، ص١٩٩؛ الألوسي، روح المعاني، ج ٤، ص١٨٨.

(٥) عمر بن عبدالرحمن بن عمر البهبهائي، صاحب الكشف على الكشاف، وكان له حفظ وافر من العلوم سيما العربية، واخترمته المنية شاباً عن ثمانٍ وثلاثين سنة ٧٤٥هـ، ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ١٤٣-١٤٤.

(٦) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٣، ص ١٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع الثامن عشر:

في تفسير قوله تعـــالى: "وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا"[١] ذهب بعض المفسرين إلى تضمين طبن في الآية الكريمة معنى التجافي والتجوز وذلـــك لتعديته بحرف عن مع أن الأصل تعديته بالباء[٢]

وهذا القول يتعارض مع شروط التضمين وضوابطه المعتبرة، فالفعل طبن يتعـــدى بعـــدة حروف فلا يلزم حرفاً واحداً ليصح القول بالتضمين.

فقد جاء في المعجمات العربية تعدية هذا الفعل بنفسه وبالباء وعن وعلى[٣] فطاب بالشـــيء طاب بصحبته وقربه، وطاب عن الشيء طاب بتركه، وهذا ما أوضحه ابـــن منظـــور "وقولـــهم طيبت به نفساً أي طابت نفسه به وطابت نفسه بالشيء إذ سمحت به من غير كراهة ولا غضـــب وقد طابت نفسي عن ذلك تركاً وطابت عليه إذا وافقتها".[٤]

فالحرف المصاحب لهذا اللفظ يختلف باختلاف المعنى المراد وفي الآية الكريمـــة جـــاءت تعدية طبن بحرف عن لإفادة معنى التجاوز الذي هو من معاني عن الاصلية.

الموضع التاسع عشر:

في تفسير قوله تعالى: "وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ

---

[١] النساء، آية ٤.

[٢] ينظر: الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج٢، ص١٠؛ الشهاب الخفاجي، عناية القـــاضي وكفايـــة الراضي، ج ٣، ص٢٠٧؛ أبو السعود، ارشاد العقل السليم، ج١، ص١٤٤؛ الألوسي، روح المعـــاني، ج٥، ص٢٨.

[٣] ينظر الزبيدي، تاج العروس، ابن منظور، لسان العرب، مادة طيب.

[٤] ابن منظور، لسان العرب، مادة طيب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ"[١] اختلف في سبب تعدية فعل الإذاعة بحرف الباء، فمن قائل تعدية هذا اللفظ بهذا الحرف لتضمينه معنى التحديث[٢]، وآخر يرى أن فعل أذاع مما يتعدى بالباء وبنفسه[٣] وعليه فلا حاجة إلى تخريج لتستقيم هذه التعدية، والقول بالتضمين لا يسلم به، فعند البحث في أصل تعدية هذا اللفظ، وُجِد أنه مما يتعدى بالباء وبنفسه[٤] واستشهدوا لذلك بقول أبي الأسود الدؤلي.

"أذاعَ بِهِ في النَّاس حتى كأنّهُ بِعَلياءَ نارٌ أُوقِدتْ بِثَقُوبِ[٥]"[٦]

فهذا دليل على أن فعل الإذاعة مما يتعدى بنفسه والباء على سبيل الحقيقة دون حاجة إلى التضمين، وقد أكد أكثر المفسرين على بلاغة التعدية بالباء في الآية الكريمة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يقول الزمخشري "يقال أذاع السر وأذاع به... ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الإذاعة، وهو أبلغ من أذاعوه"[٧]

وقد بين الشهاب وجه المبالغة في أذاعوا به فقال: "وهو أبلغ لأنه يقتضي تأثيره في المذاع وكونه ثبت"[٨]

فما وجه المبالغة فيما ذكر المفسرون؟

---

(١) النساء، آية ٨٣.

(٢) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ١، ٢٢٧.

(٣) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٥٣٠؛ ابن عطية، المحرر الوجير، ج٢، ص ٨٤.

(٤) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ذيع.

(٥) الثقوب بالفتح، ما تشعل به النار من دقائق العيدان، ينظر: الصحاح، الجوهري، مادة ثقب.

(٦) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٢، ص٨٤.

(٧) الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص٥٣٠.

(٨) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي، ج٣، ص ٣١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآية الكريمة كما هو واضح تصور دور المنافقين في نشر الشائعات وإثارة الفتنة، فكان لهذه الباء أثر في التجريد من هذه الشائعات أمراً مادياً قابلاً للحمل والتثبت، وفي هذا رسم لصورة الحرص البالغ عند المنافقين في التخطيط لقبول هذه الشائعات وتثبيتها في النفوس لتصبح أموراً يقينية لا تقبل الشك أو التكذيب.

فالباء أفادت معنى التجريد، والتجريد في الاصطلاح: "أن ينتزع من أمر متصف بصفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة مبالغة لكمالها فيه حتى كأنه بلغ من الاتصاف بها مبلغاً يصح أن ينتزع منه أمراً آخر موصوفاً بتلك الصفة "كقولهم مررت منه بالرجل الكريم والنسمة المباركة جردوا من الرجل الكريم والنسمة المباركة آخر مثله متصفاً بصفة البركة وعطفوه عليه كأنه غيره وهو في نفس الأمر"[١] ففي الآية الكريمة جُرِّد من الشائعات أمرٌ ماديٌ ليكون أدعى للقبول وأمكن في التثبيت.[٢]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الموضع العشرون:

في تفسير قوله تعالى: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ"[٣] ذهب بعض المفسرين إلى تضمين فعل الجمع في الآية الكريمة معنى الحشر وذلك لتعديته بحرف الجر إلى مع أن الأصل تعديته بحرف في.[٤]

والذي يظهر أن تعدية ليجمعنكم بحرف إلى دون في جاء لسهدف مقصود غير القول بالتضمين.

---

(١) ابن معصوم، أنوار الربيع، ج٦، ص١٥٤.

(٢) أفدت في توجيه هذه الآية من استاذي الفاضل الدكتور فضل حسن عباس.

(٣) النساء، آية ٨٧.

(٤) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٦٠٠؛ الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج ١، ص٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالآية خطاب للناس جميعاً باختلاف العصور والأزمنة وبتعدية الجمع بحرف إلى دلالة على أن هذا الجمع سيستمر زمناً بعد آخر إلى يوم القيامة الذي هو نهاية هذا الجمع.

فاقتران الجمع بحرف إلى جاء ليفيد هذا المعنى من غير حاجة إلى القول بالتضمين.

الموضع الحادي والعشرون:

في تفسير قوله تعالى: "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى"[١] جاء فعل جرم في القرآن الكريم متعدياً بحرف على كما في الآية الكريمة ومتعدياً بنفسه كما في قوله تعالى: "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا"[٢] مما جعل بعض المفسرين يذهبون إلى تضمين جرم معنى حمل لتعديته بحرف على مع أن الأصل تعديته بنفسه.[٣]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولكن هذا القول يتعارض مع ما ذهب إليه بعض المفسرين وأهل اللغة من أن جرم تأتي لغة بمعنى حمل من غير حاجة إلى التضمين يقول الألوسي: "ولا يجرمنكم" أي لا يحملنكم كما فسره به قتادة،[٤] ونقل عن ثعلب[٥] والكسائي[٦] وغيرهما وأنشدوا له وأنشد له بقوله:

---

[١] المائدة، آية ٨.

[٢] المائدة، آية ٢.

[٣] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ١، ص ٢٥٨؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٦، ص ٨٦.

[٤] قتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي البصري، مفسر حافظ، ضرير أكمه، رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب، توفي سنة ١١٨هـ -٧٣٦م. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص٥٤١. الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص١٨٩.

[٥] أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة ولد ومات في بغداد، توفي سنة ٢٩١هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص١٠٤.

[٦] علي بن حمزة، أبو الحسن الأسدي، المعروف بالكسائي النحوي، أحد أئمة القراء من أهل الكوفة له مصنفات منها معاني القرآن والآثار في القراءات، توفي سنة ١٨٣هـ، ينظر: البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص ٤٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد طَعنتُ أبا عيينةَ طعنةً جَرَمَتْ فَزَارَهُ بعدها أن تغضبا[١]

فجرم على هذا يتعدى لواحد بنفسه وإلى الآخر بعلى".[٢]

الموضع الثاني والعشرون:

في تفسير قوله تعالى: "قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا"[٣] ذهب أبو حيان إلى أن أصل نقم "أن تتعدى بعلى تقول نقمت على الرجل انقم ثم تبنى منها افتعل فتعدى إذ ذاك بمن وتضمن معنى الإصابة بالمكروه"[٤]، علق الألوسي على راي ابي حيان سابق الذكر بقوله: "ولم يذكر له مستنداً في ذلك"[٥] وهذا ما أوافق الألوسي عليه، وذلك لثبوت تعدية هذا اللفظ بهذين الحرفين على سبيل الحقيقة، يقول الجوهري: "نقمت على الرجل أنقِمُ بالكسرة فأنا ناقم إذا عتبت عليه يقال ما نقمت منه إلا الإحسان وانتقم الله منه أي عاقبه"[٦]

ومن المناسب هنا ملاحظة الفروق الدلالية بين نقم من ونقم على.

فمعنى نقم كما ذكر الراغب: "ونقمته إذا انكرته إما باللسان وإما بالعقوبة"[٧]

وبتتبع استعمالات العرب لهاتين التعديتين يتبين أن فعل نقم يأتي متعدياً بعلى حيث كان إنكار الامر باللسان فهو شعور نفسي بكره أمرٍ ما كما جاء في الحديث الشريف "يا ابن الخصاصة ما تنقم على الله؟ أصبحت تماشي رسول الله"[٨] أما نقم من فينحصر في نطاق

---

(١) ينظر: البغدادي، خزانة الأدب، ج١٠، ص ٢٨٣.

(٢) الألوسي، روح المعاني، ج ٦، ص١٧٣.

(٣) المائدة، آية ٥٩.

(٤) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٣، ص٥٢٨؛ ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج ٦، ص١٧٣.

(٥) الألوسي، روح المعاني، ج ٦، ص ١٧٣.

(٦) الجوهري، الصحاح، مادة نقم.

(٧) الراغب الاصفهاني، المفردات، ص٥٠٤.

(٨) أخرجه ابن ماجه في سننه، ج١، ص٤٩٩، كتاب الجنائز، حديث رقم ١٥٦٨ باب ما جاء في خلع النعلين في

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعور، وقد يتجاوزه إلى الإصابة بالمكروه للمنقوم عليه كما في قوله تعالى: "فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ"[١] ولعل أبا حيان قصد بالتضمين هذا المعنى لا التضمين الاصطلاحي.

الموضع الثالث والعشرون:

في تفسير قوله تعالى: "وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ"[٢] جوز بعض المفسرين تعلق الجار والمجرور "على قومه" بآياتنا لتضمنها معنى الغلبة[٣] وقالوا بعدم جواز تعلق "على" بحجتنا لأنها مصدر وآتيناها خبر أو حال وكلاهما لا يفصل به بين الموصول وصلته.[٤] وهذا الذي ذهبوا اليه من قبيل تقديم القاعدة مع إغفال المعنى المراد فتعلق على بآتيناها لتضمنه معنى الغلبة لا يستقيم وذلك لعدم وجود مناسبة بين الإتيان وبين الغلبة.

ولأن الظاهر تعلق على بحجتنا، فالاصل الذي بني عليه منع التعلق بحجتنا قابل للنقاش. يقول الشيخ زاده: "الحجة ليست مصدراً بل هي عبارة عن الكلام المؤلف للاستدلال على الشيء"[٥] فلا مانع من تعلق على قومه بحجتنا على سبيل الحقيقة دون حاجة إلى التضمين.

الموضع الرابع والعشرون:

في تفسير قوله تعالى: "وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ

المقابر.

(١) الأعراف، آية ١٣٦.

(٢) الأنعام، آية ٨٣.

(٣) ينظر الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٤، ص١٤٢؛ الألوسي، روح المعاني، ج ٧، ص٢٠٧.

(٤) ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج١، ص٥١٥.

(٥) الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج ٢، ص١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ"[١] ذهب بعض المفسرين إلى أن الإفاضة لا تكون إلا للمائعات وهذا المعنى يناسب الماء دون الرزق، فالرزق يعم المائع والصلب، وهذا ما دعاهم إلى البحث عن تخريج ليستقيم عطف الرزق على الماء فكان التضمين هو أحد المخارج وذلك بتضمين الإفاضة معنى الإلقاء[٢].

ولتحقيق الأمر لا بد من الوقوف مع حرف العطف أو، فأو تحتمل في الآية معنيين من معانيها الموضوعة في اللغة، المعنى الأول هو "التخيير نحو: تزوج زينب أو أختها" أو للإباحة نحو جالس العلماء أو الزهاد، والفرق بينهما امتناع الجمع بين المتعاطفين في التخيير وجوازه في الإباحة"[٣]

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

فأو تعني التخيير أو الإباحة وليس من مقتضياتها المغايرة كما هو الحال في حرف العطف الواو، فهم طلبوا الماء أو ما يسد مسد الماء مما يطفئ الظمأ ومن كان في لهيب النار لا أظنه يستغيث بطعام ولو قدم إليه لما استطاع تناوله لأنه قد يزيد غلّة الصادي عطشاً، يقول الشيخ زاده: "لما عطف مما رزقكم الله على قوله من الماء بكلمة أو كان المطلوب إفاضة أحد الأمرين اللذين يتعلق بهما فعل الإفاضة فناسب أن يحمل مما رزقكم على المرزوق الكائن من جنس الأشربة".[٤]

هذا على فرض أن الإفاضة لا تتعلق إلا بالمائعات، ولكن الملاحظ أن هذا أمر لا يطرد،

---

(١) الأعراف، آية ٥٠.

(٢) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٤، ص٣٠٧؛ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٥، ص٣٣٣؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٤، ص٢٨٨؛ الألوسي، روح المعاني، ج ٨، ص١٢٦.

(٣) ابن هشام، ألفية ابن مالك، ج١، ص٤٧٩.

(٤) الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج ٢، ص٢٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالفيض لغة: "الفاء والياء والضاد أصل صحيح واحد يدل على جريان شيء بسهولة"[١] وهذا الجريان قد يكون للمائعات كما هو الحال في جريان الماء، وقد يكون للأجسام الصلبة كما في قوله تعالى: "فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ"[٢]، مع ضرورة ملاحظة أن إفاضة الماء استعمال حقيقي، والإفاضة من عرفات استعمال مجازي.[٣]

وقد يكون عطف الرزق على الماء لإضمار فعل بعد أو يناسب مما رزقكم وهو القوا.

يقول الزمخشري: "أو "مما رزقكم الله" من غيره من الأشربة لدخوله في حكم الإفاضة، ويجوز أن يراد أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله عَلَفْتُها تِبناً وماءً بارداً[٤]".[٥]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الموضع الخامس والعشرون:

في تفسير قوله تعالى: "فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ"[٦] ضمن بعض المفسرين عتوا معنى استكبروا أو معنى الصدور، وذلك لاعتقادهم بأن فعل عتا يتعدى بحرف على لا بحرف عن[٧] ولكن عند الرجوع إلى المعجمات اللغوية يظهر أن الاستكبار من معاني عتا المعجمية. يقول ابن فارس: "العين والتاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على استكبار، قال الخليل وغيره عتا

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة فيض.

(٢) البقرة، آية ١٩٨.

(٣) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢، ص٢٣٨. ذكر الزمخشري الإفاضة من عرفات في قسم المجاز. ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ص ٣٤٨. كما فسر الراغب الاصفهاني الآية الكريمة بقوله: "أي دفعتم منها بكثرة تشبيهها بفيض الماء". الراغب الأصفهاني، المفردات، ص٣٨٨.

(٤) ينظر: ذي الرمة، ديوان ذي الرمة، ص١٣٢.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص١٠٤.

(٦) الأعراف، آية ٧٧.

(٧) ينظر: الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٤، ص٣٦٢؛ الألوسي، روح المعاني، ج ٨،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعتو عتواً استكبر والملك جبار عات وجبابرة عتاة"[١] فإذا كان عتا بمعنى استكبر فلا حاجة لتضمينه كلمة هي من معانيه الموضوعة للتعبير عنه.

يقول الألوسي: "وبعضهم لا يقول بالتضمين بناء على أن عتا بمعنى استكبر كما في القاموس وهو يتعدى بعن فافهم"[٢]

ومن المناسب التفريق بين دلالة العتو والاستكبار في واقع التعبير العربي، فالعتو فيه مبالغة في الاستكبار أو أي أمر مكروه.[٣]

الموضع السادس والعشرون:

في سياق تفسير قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ"[٤] علل بعض المفسرين تعدية فعل الهداية باللام مع أنه يتعدى بنفسه لتضمنه معنى التبيين[٥] أما الزمخشري وأبو السعود ففسروا الهداية بالتبيين وبذا عدي تعديته.[٦]

ص١٦٥؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٢٢٦.

[١] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة عتو.

[٢] الألوسي، روح المعاني، ج ٨، ص١٦٥.

[٣] ينظر: أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص١٩٠.

[٤] الأعراف، آية ١٠٠.

[٥] ينظر: الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ٢٥٨؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٤، ص ٣٣٣؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٩، ص٢٧.

[٦] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ١٣٠؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٣، ص ٢٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول الزمخشري: "وإنما عدي فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين"[١] وهنا لا بد من وقفة مع تعدية فعل الهداية في القرآن لمعرفة حقيقة هذه التعدية.

جاء فعل الهداية في القرآن الكريم متعدياً بنفسه في مواضع منها قوله تعالى: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"[٢] "إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا"[٣]

كما جاء متعديا بحرف اللام في مواضع منها: قوله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا"[٤] كما جاء متعدياً بحرف إلى في مواضع منها قوله تعالى: "فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ"[٥]

ومن الملاحظ وجود فروق دلالية بين تعدية اللفظ بنفسه أو بحرف إلى واللام، فالمعدى بنفسه يستعمل لمن حصل قدراً من الهداية، أما المعدى باللام أو بإلى فيستعمل لمن فقد الهداية فلم يكن على شيء منها البتة يقول ابن عاشور: "قيل الفرق بين المتعدي وغيره أن المتعدي يستعمل في الهداية لمن كان في الطريق ونحوه ليزداد هدى، ومصدره حينئذٍ الهداية وأما هداه إلى كذا أو لكذا فيستعمل لمن لم يكن سائراً في الطريق ومصدره هدى"[٦]

ففي قوله تعالى: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"[٧] كان طلب الهداية صادر من المؤمنين وهؤلاء كان لهم حظ من الهداية ولكنهم طلبوا الاستزادة منها.

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ١٣٠.
(٢) الفاتحة، آية ٦.
(٣) الإنسان، آية ٣.
(٤) الأعراف، آية ٤٣.
(٥) الصافات، آية ٢٣.
(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ١٨٧.
(٧) الفاتحة، آية ٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول ابن منظور[١] : "ويحق عليك أن تعمل كذا يجب، وأنت حقيق عليك ذلك وحقيق علي أن أفعله وهو حقيق به أي خليق له"[٢]

الموضع الثامن والعشرون:

في تفسير قوله تعالى: "وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ"[٣] ذهب ابن عاشور إلى تضمين فعل تمّ معنى الانعام أو معنىحقت وذلك لتعديته بحرف على.[٤] وهذا الرأي لم أجده عند غيره من المفسرين، ففعل تمّ يأتي متعدياً بحرف على لإفادة معنى المضي والاستمرار "يقال تمّ على الأمر وتمم عليه بإظهار الإدغام أي استمر عليه"[٥] وعليه فلا حاجة إلى تضمينه معنى آخر إذا ثبت مجيئه كذلك في أصل وضعه اللغوي لإفادة معنى معين.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الموضع التاسع والعشرون:

في تفسير قوله تعالى: "أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ"[٦] ذهب جمع من المفسرين إلى تضمين العجلة في الآية الكريمة معنى السبق وذلك لتعديته بنفسه مع أن اصله أن يتعدى بحرف عن.[٧]

ولتحقيق الأمر لا بد من معرفة المعنى المستفاد من تعدية فعل العجلة بحرف عن ومدى استقامة القول بالتضمين مع المعنى المقصود في الآية الكريمة، جاء فعل عجل متعديا بحرف

---

[١] محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري، له مصنفات منها مختار الأغاني، لطائف الذخيرة، توفي سنة ٧١١هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص ١١٨.

[٢] ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص٥٠-٥١. باختصار.

[٣] الأعراف، آية ١٣٧.

[٤] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٩، ص٧٨.

[٥] ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج١، ص١٩٧؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة تمم.

[٦] الأعراف، آية ١٥٠.

[٧] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ١، ص ٣٦١؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٣، ص ٢٧٤؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٤، ص ٣٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن ليفيد معنى ترك لشيء غير تام فيقال عجل عن الأمر.[١]

وهذا المعنى نفيده من تعدية العجلة بحرف عن الذي يفيد معنى المجاوزة، ولكن المعنى الذي ذهبوا إليه لم يكن مقصوداً في الآية الكريمة فالمقصود استعجال أمر الله لا تركه، والأمر الذي استعجلوه تقدير موت سيدنا موسى عليه السلام، أو استعجال وقوع العذاب بهم.

فجاء فعل العجلة متعدياً بنفسه ليفيد معنى الاستعجال دون الترك من غير حاجة إلى التضمين، ومما يؤيد هذا ما ذهب إليه يعقوب[٢] من أن تعدية فعل عجل بنفسه هو معنى حقيقي له من غير تضمين.[٣]

الموضع الثلاثون:

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

في تفسير قوله تعالى: "وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ"[٤].

ذهب ابن قيم الجوزية[٥] إلى أن سبب تعدية فعل اختار إلى المفعول الثاني –على إسقاط حرف الجر– لتضمنه معنى فعل غير متعد كأنه قال نخلّ قومه وميزهم وسبرهم ونحو ذلك.[٦]

---

(١) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٤، ص٣٧٦. بتصرف.

(٢) يعقوب: هو ابن اسحاق أبو يوسف بن السكيت كان عالماً بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة والشعر راوية ثقة توفي سنة ٢٤٤هـ؛ ينظر: السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين، ج٢، ص٣٤٩.

(٣) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج٣، ص ٣٤٧؛ الألوسي، روح المعاني، ج ٩، ص ١٦.

(٤) الأعراف،آية ١٥٥.

(٥) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ابن قيم الجوزية، له عدة تصانيف منها زاد المعاد، ومفتاح السعادة، توفي سنة ٧٥١هـ؛ ينظر السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص ٦٢.

(٦) ينظر: ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج٢، ص٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن لم يذهب إلى التضمين ذهب إلى نصب المفعول الثاني على إسقاط حرف الجر[١]، و قد كفاني الدكتور فضل حسن عباس مؤونة الرد بأن بين سرّ مجيء من في الآية الكريمة، حيث يقول ذلك أن بقاء الآية على ما هي عليه أسد نظماً وأصح حُكماً لأن هذا الفعل يتعدى بنفسه هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن معنى الآية دون اللجوء للحذف فيه مزية سوف تتلاشى عند القول بالحذف وإليك بيان ذلك.

فإذا قلنا "واختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً" فإن القوم هنا تشمل بني إسرائيل جميعاً ويصير المعنى واختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً" ولكننا إذا أبقينا الآية على ما نزلت من عند الله تعالى وكما قدّر العزيز العليم يكون المعنى هكذا واختار موسى قومه أي اختار موسى قومه الذين سيذهبون معه للمناجاة فتكون كلمة القوم هنا خاصة لأولئك الذين اختارهم موسى عليه السلام لا تعم بني إسرائيل جميعاً"[٢].

جميع الحقوق محفوظة

الموضع الحادي والثلاثون:

في تفسير قوله تعالى: "وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا"[٣] ذهب بعض المفسرين إلى تضمين التقطيع في الآية الكريمة معنى التصيير لتعديته إلى مفعولين مع أن الأصل أن يتعدى إلى مفعول واحد"[٤]

ومن لم يرَ حاجة إلى التضمين رجح تعدية قطعناهم إلى مفعول واحد وكون اثنتي عشرة

---

[١] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص١٥٨؛ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٤، ص٣٩٧؛ الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج ٢، ص٢٦٢.

[٢] د. فضل حسن عباس، سلامة الحرف من الزيادة والحذف، ص٦٦-٦٧، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد التاسع، ١٩٨٧م.

[٣] الأعراف، آية ١٦٠.

[٤] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص٣٦٣؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٣، ص٢٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حالاً[١]، وهذا ما أذهب إليه في الآية الكريمة فالتصيير معنىً مشترك بين تعدية فعل التقطيع إلى مفعول واحد أو إلى مفعولين وعليه فلا حاجة إلى القول بالتضمين ببقاء المعنى على حاله قبل وبعد القول بالتضمين.

الموضع الثاني والثلاثون:

في تفسير قوله تعالى: "وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ"[٢] ضمن بعض المفسرين النتق معنى الرفع وذلك لاختلاف عبارات أهل اللغة في تفسير النتق، ففسره بعضهم بالقلع وبعضهم بالجذب وبعضهم بالرفع، وعلى القولين الأولين لا بد من تضمين النتق معنى الرفع ليصح حمل فوقهم على الظرفية اما من فسر النتق بالرفع فلم يضمنه معنى آخر لاستقامة ما هو مذكور في الآية مع مقتضيات اللغة.[٣]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وهنا لي وقفة مع فعل النتق لغة لمعرفة مدى صحة حمل الآية على التضمين عند الرجوع إلى معنى النتق لغة نجده يحمل معنيين: المعنى الأول: الزعزعة والهز، والمعنى الثاني: الرفع، بل ذكر ابن أثير[٤] أن الرفع هو المعنى الأصيل لهذا اللفظ حيث يقول "النتق أن تعلق الشيء فترفعه من مكانه لترمي به هذا هو الأصل[٥]»[٦].

---

(١) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٤، ص٤٠٥؛ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٥، ص٤٨٤.

(٢) الاعراف، آية ١٧١.

(٣) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٤ ص٤١٨؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٤، ص ٣٩٨؛ الألوسي، روح المعاني، ج ٩، ص ٩٨.

(٤) المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات مجد الدين، له المصنفات البديعة والرسائل منها جامع الأصول في أحاديث الرسول، وكتاب الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف، توفي سنة ٦٠٦هـ – ١٢١٠م. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ١٤١.

(٥) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٥، ص ١٣.

(٦) ينظر: المصدر السابق؛ الزبيدي، تاج العروس، مادة نتق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وباستقامة المعنى بحمل النتق على معنى الرفع أرى أن لا حاجة إلى القـــول بـــالتضمين، وذلك لصحة حمل فوقهم على الظرفية على هذا المعنى.

الموضع الثالث والثلاثون:

في تفسير قوله تعالى: "وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ"[١] يرى ابـــن عاشـــور أن سبب تعدية انبذ بحرف إلى "تضمينه معنى اردد"[٢]، والتضمين كما أسلفت لا يلجـــأ إليـــه عنـــد الضرورة، وحمل الكلام على الحقيقة أولى من القول بالتضمين، فقد ورد في اللغة تعديـــة انبـــذ بحرف إلى على وجه الحقيقة كأن "يقول الرجل لصاحبه انْبذ إليَّ الثوب اوغيره من المتـــاع، أو انبذه اليك وقد وجب البيع بكذا وكذا"[٣] فانبذ مما يتعدى بحرف إلى لإفادة معنـــى الانتـــهاء دون حاجة إلى القول بالتضمين.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الموضع الرابع والثلاثون:

في تفسير قوله تعالى: "فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ"[٤] ذهب أبو حيان الىتضمين فأتموا معنى فأدوا وذلك لتعديته بحرف إلى[٥].

والتضمين كما قال صاحب هذا القول -في مواضع أخرى- لا يلجأ اليه إلا عند الضـــرورة وهنا لا ضرورة تدعو إليه ففعل التمام مما يتعدى بإلى يقال: "تـــم إلـــى كـــذا وكـــذا أي بلغـــه"

---

[١] الأنفال، آية ٥٨.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٠، ص٥٣.

[٣] الأزهري، تهذيب اللغة، ج٤، مادة نبذ.

[٤] التوبة، آية ٤.

[٥] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٥، ص١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستشهدوا على ذلك بقول العجاج[١] :

لمـــا دَعَـــوْا يـــالَ تميـــم تَمُّـــوا إلـــى المُعـــالي وبـــهنَ سُـــمُّوا[٢]

فتعدية فعل أتموا بحرف إلى للدلالة على بلوغ العهد نهايته، بل إن لفظ الرد الذي ضمنوا التمام إياه لا يناسب المقام، فالمقصودون بإتمام العهد إليهم فئة من المشركين وفّوا بعهودهم فلم ينقضوها ولم يعاونوا على المسلمين، فكان واجب المسلمين تجاههم إتمام العهد إلى نهايته لا الرد الذي يوهم قسوة في التعامل وقطعاً قبل تمام العهد.

الموضع الخامس والثلاثون:

في تفسير قوله تعالى: "أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"[٣] ذهب بعض المفسرين إلى تضمين فعل القبول معنى المجاوزة والعفو وذلك لتعديته بحرف عن مع أن الأصل أن يتعدى بمن"[٤].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والذي يظهر للمتأمل في الفعل المضمن وهو التجاوز أن معنى المجاوزة نفيده من تعدية القبول بحرف عن من غير حاجة إلى التضمين.

---

[١] رؤبة بن العجاج الراجز المشهور وإسمه العجاج عبدالله بن روبة روى عن أبيه ومدح بالرجز جماعة من الدولتين الأموية والعباسية قال النسائي "ليس بالقوي" وذكره ابن حبان في الثقات مات سنة ١٤٥هـ، ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣، ص ٢٩٠.

[٢] ينظر: د. عزة حسن، ديوان العجاج رواية الأصمعي، ص ٤٢٤؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص٦٧.

[٣] التوبة، آية ١٠٤.

[٤] ينظر: الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٤، ص ٦٣٢؛ الألوسي، روح المعاني، ج ١١، ص١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول أبو حيان: "والذي يظهر من موضع عن أنها للمجاوزة فإن قلت أخذت العلم عن زيد فمعناه أنه جاوزه إليك وإذا قلت من زيد دل على ابتداء الغاية وإنه ابتداء أخذك إياه من زيد، وعن أبلغ لظهور الانتقال ولا يظهر مع من وكأنهم لما جاوزت توبتهم عنهم إلى الله اتصف هو تعالى بالتوبة عليهم"[١]

فالقبول مما يتعدى بمن وعن[٢] على وجه الحقيقة، واختلاف الحرف جاء لاختلاف المعنى المقصود إيصاله.

الموضع السادس والثلاثون:

في قوله تعالى: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ"[٣]

ذهب بعض المفسرين إلى تضمين القضاء معنى الإبلاغ والإيصال وذلك لتعديته بحرف إلى مع أنه يتعدى بحرف على.[٤]

يقول الشهاب الخفاجي في سياق تفسير هذه الآية: "فالقضاء من قولهم قضى دينه إذا أداه فالهلاك مشبه بالدين على طريق الاستعارة المكنية، والقضاء تخييل، أو قضى بمعنى حكم ونفذ والتقدير أحكموا بما تؤدونه إلى ففيه تضمين واستعارة مكنية أيضاً[٥] فعلى المعنى الأول -الذي

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٥، ص ١٠٠.

(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قبل.

(٣) يونس، آية ٧١.

(٤) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج ١١، ص١٥٨؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١١، ص٢٤٠.

(٥) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٥، ص٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذكره الشهاب- يكون جمع الكيد والشركاء دينٌ يجب أداؤه إلى مستحقيه[١] ولكن هذا المعنى لا يتناسب مع سياق الآية، فالمشركون لم يدّعوا أن إيصال الأذى بسيدنا نوح كالدين في العنق يجب أداؤه لتحتمل الآية على هذا المعنى، لذا ذهبت مع من ذهب إلى أن القضاء في الآية بمعنى الحكم، وهنا يجب الوقوف على تعدية هذا اللفظ في القرآن للتحقق من صحة حمل الآية على القول بالتضمين.

جاء فعل القضاء في القرآن الكريم متعدياً بحرف إلى في أكثر من موضع، قال تعالى: "وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ"[٢] "وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ"[٣] فكثرة تعدية فعل القضاء بحرف إلى دليل على أصالة هذه التعدية.

فجاءت تعدية القضاء بحرف إلى في هذه الآية ليفيد معنى إمضاء الحكم وإنهائه إلى سيدنا نوح وهذا المعنى نفيده من هذه التعدية دون غيرها.

يقول الفراء : "اقضوا اليّ فمعناه امضو إليَ، كما يقال قد قضى فلان يراد قد مات ومضى"[٤]

الموضع السابع والثلاثون:

في تفسير قوله تعالى: "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ"[٥] ضمن بعض المفسرين نوفِ في الآية الكريمة معنى نوصل وذلك لتعديته بحرف إلى وهو مما

---

[١] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج ١١، ص١٥٨.

[٢] الحجر، آية ٦٦.

[٣] الإسراء، آية ٤.

[٤] الفراء، معاني القرآن، ج١، ص ٤٧٤.

[٥] هود، آية ١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتعدى بنفسه.[١]

والذي يظهر أن معنى الايصال الذي قيل بتضمين التوفية إياه يفهم من تعدية نوف بحرف الانتهاء إلى من غير حاجة إلى التضمين، فاللفظ قد يصحب حرفاً ليس من عادته التعدي به ليعطي دلالة لغوية يعجز بغير هذا الحرف عن الدلالة عليها، فجاء نوف متصلاً بحرف إلى لبيان أن توفية الأجور قد بلغت غاية الكمال من غير أن يشوبها شائبة نقص أو بخس وهذا المعنى يقتضي الإيصال من غير حاجة إلى التضمين .

فالتوفية لغة: الواو والفاء والحرف المعتل كلمة تدل على إكمال وإتمام... ويقولون أوفيتك الشيء إذا قضيته إياه وافياً وتوفيت الشيء واستوفيته إذا أخذته كله حتى لم تترك منه شيئاً"[٢]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الموضع الثامن والثلاثون:

في تفسير قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ"[٣]، ضمن الشيخ زادة فعل الإخبات في الآية الكريمة معنى الإطمئنان والانقطاع، وذلك لأن أصل تعديةُ هذا اللفظ -كما يرى الشيخ- باللام فتعديته بحرف إلى على سبيل التضمين.[٤]

وما قال الشيخ زاده قابل للنقاش، فالإخبات كما ورد عن أهل اللغة مما يتعدى بحرف إلى واللام يقول السمين الحلبي[٥] "وأخبت يتعدى بـ إلى كهذه الآية، وباللام كقوله تعالى: "فَتُخْبِتَ لَهُ

---

[١] ينظر: الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٥، ص١٣٩؛ الألوسي، روح المعاني، ج ١٢، ص٢٣؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ٢٤.

[٢] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة وفي.

[٣] هود،آية ٢٣

[٤] ينظر الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج ٣،ص٤٠

[٥] شهاب الدين أبو العباس المقرئ النحوي الشافعي نزيل القاهرة، المعروف بالسمين، صنف تصانيف حسنة منها تفسير القرآن وإعراب القرآن، سماه الدر المصون وشرح التسهيل، توفي سنة ٧٥٦هـ؛ ينظر: الداودي، طبقات -

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قُلُوبُهُم»[١] [٢]

فجاءت تعدية الإخبات بحرف إلى دون اللام للدلالة على استمرار اتصاف المؤمنين بـــهذه الصفة إلى أن وصلوا إلى نهاية المطاف بلقاء الله.

فالتعدية بإلى جاءت لإفادة معنى مقصود لا يتم المعنى بدونه. كمـــا أن المتـــأمل لمعنـــى الإخبات لغة يجد فيه معنى الاطمئنان وزيادة.

فالإخبات لغة: "المطمئن من الأرض فيه رمل والإخبات الخشوع، يقال أخبـــت لله وفيـــه خبته أي تواضع"[٣]

ويبقى هنا ملاحظة الفروق الدلالية بين الإخبات والاطمئنان فالإخبات يستعمل في مواضـــع التذلل والتواضع، بخلاف الاطمئنان الذي قد يصاحبه هذا الوصف وقد يتجرد منه وهـــذا يلحـــظ من واقع استعمال العرب لهذه الكلمات.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

الموضع التاسع والثلاثون:

في تفسير قوله تعالى: "وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ"[٤] ذهب بعـــض المفسرين إلى تضمين الاستباق في الآية الكريمة معنى الابتدار وذلك لأن الأصـــل فـــي فعـــل الاستباق أن يتعدى بحرف إلى[٥]

المفسرين، ج١، ص ١٠٢.

[١] الحج، آية ٥٤.

[٢] الجوهري، الصحاح، ج١، ص٢٤٧.

[٣] السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٦، ص٣٠٦.

[٤] يوسف، آية ٢٥.

[٥] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ١، ص٤٨١؛ أبو حيان، البحر المحيـط، ج ٥، ص٢٩٦؛

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهنا لي وقفة مع فعل الاستباق وسر انتقائه دون الابتدار. يقول ابن منظور: "استبق القوم الأمر وتسابقوا بادروا"[١] فابن منظور فسر الاستباق بالابتدار رغم تعديته بحرف إلى فإذا كان الابتدار مما يتعدى بنفسه و بإلى فلا عجب إذن أن يتعدى الاستباق تعديته.

ولكن هذا لا يعني عدم وجود فروق دلالية بين الاستباق –والابتدار يظهرها واقع الاستعمال المختلف لهذين اللفظين، فمن ملاحظة استعمالات العرب لهذين اللفظين يتبين أن استبق على وزن افتعل تفيد الاجتهاد في السبق وبذل قصارى الجهد لوجود منافسة بين شخصين فأكثر[٢] بخلاف الابتدار الذي لا يقتضي وجود منافسة[٣]، لذا جاء انتقاء فعل الاستباق دون الابتدار لإظهار شدة المنافسة بين يوسف وامرأة العزيز. وما قيل في الآية الكريمة يقال في تفسير قوله تعالى: "فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ"[٤] فإيثار الاستباق في الآية الكريمة جاء لإذكاء روح المنافسة بين الأفراد في فعل الخير والمسارعة إليه.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

الموضع الأربعون:

في تفسير قوله تعالى: "وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ"[٥] جوز بعض المفسرين تضمين الإحسان في الآية الكريمة معنى اللطف وذلك لتعديته بالباء مع أن أصل تعديته بحرف إلى[٦]

الألوسي، روح المعاني، ج١٢، ص٢١٧.

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة سبق.

[٢] ينظر: الصحاح، الجوهري، مادة سبق.

[٣] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة بدر.

[٤] المائدة، آية ٤٨.

[٥] سورة يوسف، آية ١٠٠.

[٦] ينظر: للشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٥، ص٣١٦؛ الألوسي، روح المعاني، ج ١٣، ص٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينما ذهب آخرون إلى أن فعل الإحسان يتعدى بالحرفين إلى والبـــاء علـــى ســـبيل الحقيقـــة[١] واستدلوا على ذلك بقول الشاعر:

أسِـيئي بِنَـا أو أحْسِـــنِي لا مَلُومَـــةً لدينـــا ولا مُقْلِيَـــــة إن تَقَلَّـــتِ[٢]

وهذا ما أذهبُ إليه في تعدية فعل الإحسان فهو مما يتعدى بهذين الحرفين علـــى وجـــه الحقيقة، مع ضرورة ملاحظة الفروق الدلالية التي يشيعها الحرف دون الآخر، فتعدية الاحســـان بحرف الباء يفيد التصاق الإحسان بالشخص، فقد لازم إحسان الله وعنايته سيدنا يوسف في جميع مراحل حياته فهو إحسان ملاصق له، يقول صاحب المنار: "وعنـــدي أن التعديـــة بالبـــاء أبلـــغ لإشعارها بإلصاق الإحسان بمن يوجه إليه من غير إشعار بالفرق بينه وبين المحسن"[٣]

أما تعدية الإحسان بحرف إلى فيفيد إنهاء هذا الإحسان إلى الشخص وهذا ظاهر في قولـــه تعالى: "وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ"[٤]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الموضع الحادي والأربعون:

في تفسير قوله تعالى: "وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ"[٥] ضمـــن جمـــع مـــن المفسرين قضينا في الآية الكريمة معنى أوحينا وذلك لتعدية هذا اللفظ بحرف إلى مع أن الأصـــل تعديته بحرف على.[٦] وهنا لا بدّ من الوقوف على معنى اللفظ المضمن لمعرفة مدى حاجة الآية إلى القول بالتضمين.

---

(١) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٥، ص٣٤٢؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٣، ص٣٠٧.

(٢) ينظر: قدري مايوا، ديوان كُثير عزة، ص٨٠.

(٣) رشيد رضا، المنار، ج٥، ص٨٤.

(٤) القصص، آية ٧٧.

(٥) الحجر، آية ٦٦.

(٦) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص٥٦٢؛ الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضـــاوي، ج ٣، ص١٦٠؛

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالإيحاء لغة "الواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك فالوحي الإشارة والوحي الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان"[١] فالغاية من التضمين عند من قال به بيان معنى إيصال الأمر المقضي به وتبليغه إلى صاحب الشأن، وهذا أمر يفهم من تعدية القضاء بحرف إلى من غير حاجة إلى التضمين، فتعدية القضاء بحرف إلى جاء ليفيد إنهاء الحكم إلى سيدنا لوط بهلاك قومه. وهذا معنى نفيده من هذا التركيب دون حاجة إلى القول بالتضمين. وقد عدل القرآن الكريم عن تعدية القضاء بحرف على، فلم يقل وقضينا عليه، لأن مثل هذه التعدية توهم أن قضاء بالعذاب واقع على سيدنا نوح عليه السلام، والعذاب -كما هو واضح- واقع على قومه لا عليه.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

الموضع الثاني والأربعون:

في تفسير قوله تعالى: "أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ"[٢] جوز بعض المفسرين في الآية الكريمة تضمين مكروا معنى اقترفوا أو عملوا وذلك للخروج من الخلاف في إعراب السيئات[٣] فمكروا فعل لازم يكتفي بفاعله دون حاجة إلى مفعول، فمن ذهب إلى ان السيئات مفعول به ضمن المكر معنى الاقتراف او ما يسد مسده مما يتعدى إلى مفعول به، ومنهم من وجه الآية وجهة أخرى بعيدة عن التضمين فذهب ابن عطية إلى ان السيئات منصوبة بأمن وعليه تكون السيئات العقوبات التي تسوء من تنزل به[٤] وأن يخسف بدل من السيئات.

أما الزمخشري فذهب إلى أن السيئات نعت لمصدر محذوف وتقدير المحذوف على هذا

الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٥، ص٥٣٣؛ الألوسي، روح المعاني، ج ٤، ٧٠.

[١] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة وحي.

[٢] النحل، آية ٤٥.

[٣] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٥، ص٤٧٩؛ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٧، ص ٢٢٤.

[٤] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٣، ص٣٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرأي "المكرات السيئات" ولم يذكر غير هذا الوجه[١]

والملاحظ ان القول بالتضمين في الآية دافعه البحث عن مخرج إعرابي لما يعترض المفسر من خروج عن القواعد الموضوعة من غير إعطاء اعتبار المعنى ومستلزماته، فالسيئات وصف ملائم للمكر وعليه فهو نعت لمصدر محذوف تقديره أفأمنوا المكر السيء، وهذا التوجيه أقرب إلى القبول من نصب السيئات بأمن وذلك لأنه لم يعهد وصف العقوبة بالسيئات ليحمل على كلام ابن عطية سابق الذكر.

الموضع الثالث والأربعون:

في تفسير قوله تعالى: "وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ"[٢] ذهب بعض المفسرين إلى تضمين يفتنونك في الآية الكريمة معنى الصرف او ما يقوم مقام هذا المعنى وذلك لتعديته بحرف عن.[٣] ولمعرفة جلية الأمر لا بد من الوقوف على معنى اللفظ المذكور والمضمن ليتضح لنا مدى الحاجة إلى القول بالتضمين.

جاء في لسان العرب في معنى فتن:

"فتن الرجل أزاله عما كان عليه ومنه قوله عزوجل وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك أي يميلونك ويزيلونك..، ابن الانباري[٤] : وقولهم فتنت فلاناً قال بعضهم معناه.

---

[١] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص٥٨٤.

[٢] الإسراء، آية ٧٣.

[٣] ينظر: الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٥، ص ٦٦١؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٥، ص١٤٥؛ الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج ٣، ص ٢٠٢.

[٤] محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري من أعلم الناس بالنحو والأدب، له مصنفات منها المشكل والأضداد، توفي سنة ٣٢٨هـ، ينظر: القفطي، انباه الرواة، ج٣، ص ٢٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إمالته عن القصد والفتنة في كلامهم معناه المميلة عن الحق"[١]

والصرف لغة معناه "رد الشيء عن وجهه"[٢]

إن المتأمل لمعنى فتن لغة يجد فيه معنى الصرف والزيادة عليه. فلا معنى جديد يضيفه القول بالتضمين، فتعدية يفتنونك بحرف عن في الآية الكريمة دلالة على معنى الإمالة وهذا المعنى اكتسبته الكلمة بتعديتها بحرف عن الذي يفيد معنى التجاوز بأصل وضعه اللغوي، مع ضرورة ملاحظة الفروق اللغوية بين الفتن والصرف، فالفتنة تستعمل غالباً في الابتلاء والاختبار ومواضع الشدة، والصرف قد يكون كذلك وقد لا يكون.

الموضع الرابع والأربعون:

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

في تفسير قوله تعالى: "فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا"[٣] ضمن ابن عاشور خرج في الآية الكريمة معنى طلع وذلك لتعدية هذا الفعل بحرف على وهو مما يتعدى بحرف إلى.[٤]

وهذا الذي ذكره ابن عاشور لم أجده عند غيره من المفسرين وكأنه انفرد بالقول به، ففعل الخروج في القرآن جاء متعدياً بحرف على كما جاء متعدياً بحرف إلى، وتعديته بحرف على في مواضع كثيرة دليل على أصالة هذه التعدية، واختلاف التعدية جاءت لاختلاف المعنى المقصود، فهو يأتي متعدياً بحرف على ليفيد معنى الاستعلاء كما هو في الآية موضع البحث، فهو استعلاء مجازي بقوة الإيمان واليقين فهو خارج من المحراب الذي انقطع فيه للعبادة، وفي

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة فتن.

[٢] ابن منظور، لسان العرب، مادة صرف.

[٣] مريم، آية ١١.

[٤] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوله تعالى: "فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ"[١] كان خروج قارون مصحوباً بالاستعلاء المجازي لما لـــه من نفوذ وسلطان وكذا خروج امرأة العزيز على نسوة المدينة فـــي قولـــه تعـــالى: "وَقَالَتْ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ"[٢] فهو استعلاء بالحسن والجمال ليتحقق عذرها بهذه المراودة، أما تعدية الخروج بحـــرف إلى فقد جاء ليفيد معنى انتهاء الغاية، كما في قوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ"[٣]

الموضع الخامس والأربعون:

في تفسير قوله تعـالى: "وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا"[٤] ذهـب بعـض المفسرين إلى تضمين الهز معنى الإمالة وذلك لتعديته بحرف إلى.[٥]

وهنا يحسن الوقوف على الكيفية التي يتحقق بها الهز لمعرفة مدى الحاجة إلـــى القـول بالتضمين.

فالهز كما يقول الراغب الأصفهاني: التحريك الشديد يقال هززت الرمح فاهتز، وهـزت فلاناً للعطاء، قال تعالى: "وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ"[٦] "فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ"[٧]، واهـتز النبـات إذا تحـرك

---

(١) القصص، آية ٧٩.

(٢) يوسف، آية ٣١.

(٣) الحجرات، آية ٥.

(٤) مريم، آية ٢٥.

(٥) ينظر: الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٦، ص٢٦٤؛ الألوسي، روح المعـــاني، ج ١٦، ص ٨٤.

(٦) مريم، آية ٢٥.

(٧) النمل، آية ١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لنضارته،[١] فالذي يظهر ان الهز يقتضي الإمالة إلى جهات مختلفة، فالإمالة هي جزء معنـــاه لا يتم إلا به.

يقول الشهاب الخفاجي: "الهز مضمن معنى الامالة ولذا عداه بإلى او أنه جعـــل مجـــازاً عنه او اعتبر في تعديته معنى الميل لأنه جزء معناه لأنه تحريك بجنب ودفع او تحريـــك يمينـــاً وشمالاً سواء كان بعنف او لا"[٢]

ففي الآية الكريمة إرشاد لمريم إلى طريقة الهز التي يتحقق بها جني الثمر بـــأقل جـــهد "فهي لا تزال تعاني آثار الولادة وليس لها من الجهد ما تقوى به علـــى تحريـــك الجـــذع يميناً ويساراً، مما يمكن ان يعرضها للترنح والسقوط إلى جانب ما يؤديه سقوط الرطب بعيـــداً عنـــها فجاء قوله إليك ارشاداً منه تعالى بأن تجعل انتهاء الهز إليها تعتمد على الجذع وتستند إليه أثنـــاء الهز ولكي يتساقط قريباً منها"[٣]

الموضع السادس والأربعون:

في تفسير قوله تعالى: "وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ"[٤] ذهب بعض المفسرين إلى تضمين الصبر فـــي الآية الكريمة معنى الثبات وذلك لتعديته بحرف إلى مع أن الأصل تعديته بحرف علـــى[٥] وهنـــا يحسن الوقوف على تعدية فعل الصبر في القرآن الكريم لمعرفة سر هذه التعديـــة. جـــاء فعـــل الصبر متعدياً بحرف على في مواضع منها قوله تعـــالى: "فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ

---

[١] الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٥٤٢.

[٢] الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٦، ص ٢٦٤.

[٣] د. محمد أمين الخضري، من أسرار حروف الجر، ص ٢٦٦.

[٤] مريم، آية ٦٥.

[٥] ينظر: الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٦، ص ٢٦٤؛ الألوسي، روح المعاني، ج ٦، ص ٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طلوع الشمس وقبل الغروب"[١] "واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور"[٢] كما جاء متعديا بحرف اللام في مواضع منها قوله تعالى: "واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا"[٣] "ولربك فاصبر"[٤]

وباستقصاء الايات التي جاءت تعديتها باللام يظهر ان الصبر فيها جاء محضا على ثلاثة أمور أولها: الصبر على عبادة الله، ثانيها: الصبر لحكم الله وثالثها: الصبر لله.

فجاءت تعدية الصبر بحرف اللام في هذه المواضع على خلاف الظاهر ليبين تميز هذا النوع من الصبر وسمو شأنه لتعلقه بأمر إلهي وجب على النفس أن تتصاع له ليكون فيما بعد سجية تستلذ العبادة في كنفه.

أما القول بالتضمين فهو قول واه يذهب في هذا الموضع سر تعدية الصبر بحرف اللام دون حرف على، هذا فضل على أن الثبات الذي قيل بتضمين الصبر إياه معنى يشترك في التعدية بحرف على واللام، أليس الثبات في الصبر أمرا مطلوبا في قوله تعالى: "واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور"[٥] وفي غيرها من الآيات التي جاء تعديتها بحرف على.

الموضع السابع والأربعون:

في تفسير قوله تعالى: "فوسوس إليه الشيطان"[٦] ذهب بعض المفسرين إلى تضمين الوسوسة

---

[١] ق، آية ٣٩.
[٢] لقمان، آية ١٧.
[٣] الطور، آية ٤٨.
[٤] المدثر، آية ٧.
[٥] لقمان، آية ١٧.
[٦] طه، آية ١٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معنى الإلهاء وذلك لتعدية هذا اللفظ بحرف إلى مع ان الأصل ان يتعدى باللام[١]

والذي يظهر ان القول بالتضمين في الآية الكريمة لا مسوغ له، فالوسوسة لفظ يتعدى بإلى واللام على وجه الحقيقة، واختلاف الحرف ناتج عن اختلاف المعنى المراد.

يقول ابن منظور: "الوسواس: حديث النفس يقال وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواسا"[٢]

وقد بين الزمخشري دلالة اتصال الوسوسة تارة بإلى وتارة باللام، يقول في تفسيره هذه الآية: "فإن قلت كيف عدي وسوسة تارة باللام في قوله "فوسوس لهما الشيطان"[٣] وأخرى بإلى؟ قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى للأصوات وحكمها حكم صوت وأجراس ... فإذا قلت وسوس له، فمعناه لأجله.. ومعنى وسوس إليه أنهى إليه الوسوسة كقولك حدث إليه"[٤]

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الموضع الثامن والأربعون:

في تفسير قوله تعالى: "ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون"[٥] جوز بعض المفسرين تضمين عاكفين معنى عابدين وذلك لتعديتها باللام مع ان الاصل فيها ان تتعدى بحرف على.[٦]

والذين قالوا بالتضمين قاسوا هذه الآية على آيات أخرى جاءت تعدية العكوف فيها

---

[١] ينظر: الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج٦، ص٤٠٠؛ الألوسي، روح المعاني، ج ١٦، ص ٢٧٣.

[٢] ابن منظور، لسان العرب، مادة وسوس.

[٣] الأعراف، آية ٢٠.

[٤] الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٩٠؛ ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٦، ص ٢٦٤.

[٥] الأنبياء، آية ٥٢.

[٦] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٢، ص ٧٢؛ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٦، ص٢٩٩. وذكر هذا الرأي بصيغة التضعيف قيل؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٦، ص ٧٢؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والذي يظهر ان تعدية النجاة بحرف إلى جاء ليبين ان النجاة صاحبت سيدنا إبراهيم ولوط إلى ان وصلا إلى الأرض المباركة أرض فلسطين، ولتحقيق هذا المعنى جاءت التعدية بحرف إلى دون حاجة إلى القول بالتضمين.

هذا فضل على أنه لا توجد مناسبة بين النجاة والإخراج ليصح أمر التضمين.

الموضع الخمسون:

في سياق تفسير قوله تعالى: "ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين"[١] ذهب بعض المفسرين إلى تضمين النصر معنى المنع والحماية ذلك لأن الأصل -كما يرى أصحاب هذا القول- أن يتعدى بحرف على[٢] كما في قوله تعالى: "وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين"[٣]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وكما في قوله تعالى: "قال رب انصرني على القوم المفسدين"[٤]

والظاهر أن فعل النصر يأتي متعديا بحرفي الجر على ومن، وهذا ظاهر كلام الزمخشري حيث يقول: "نصره الله تعالى على عدوه ومن عدوه"[٥]

كما أن كثرة تعدية فعل النصر بحرف من دليل على أصالة هذه التعدية كما هو الحال في التعدية بحرف على، ولكن لكل حرف من هذه الحروف مواضع يختص بها دون الحرف

---

[١] الأنبياء، آية ٧٧.

[٢] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٦، ص ٣٠٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ١١٣.

[٣] البقرة، آية ٢٥٠.

[٤] العنكبوت، آية ٣٠.

[٥] الزمخشري، أساس البلاغة، ص٤٥٥؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة نصر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآخر، وباستقراء استعمالات القرآن لهذين الحرفين نلحظ تعدية النصر بحرف على حيث كان الموقف فيه قتالاً مادياً يحتاج إلى عدة وعتاد، وتعديته بحرف من حيث كان النصر نصراً معنوياً لا قتال فيه، يقول الألوسي: "وقال بعضهم إن النصر يتعدى بعلى ومن، ففي الأساس نصره الله تعالى على عدوه ونصره من عدوه وفرق بينهما بأن المتعدي بعلى يدل على مجرد الإعانة والمتعدي بمن يدل على استتباع ذلك للانتقام من العدو والانتصار.[١]

ففي الآية الكريمة -موضع البحث- نجد أن نوحاً عليه السلام لم يعلن الحرب ولم يكن معه من الجنود والأنصار ليستعين بهم على عتت المشركين بل كان قومه هم الذين يحاولون استئصاله والقضاء عليه، "قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ"[٢]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فتعدية النصر بحرف من في الآية الكريمة جاء على أصله دون حاجة إلى القول بالتضمين.

الموضع الحادي والخمسون:

في تفسير قوله تعالى: "وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ"[٣] ذهب الألوسي وابن عاشور إلى أن تعدية تقطعوا بنفسه على سبيل التضمين، فضمنه الألوسي معنى الجعل وضمنه ابن عاشور معنى توزعوا.[٤]

وهنا يحسن الوقوف على معنى التقطيع لمعرفة مدى الحاجة إلى القول بالتضمين، قطع

---

[١] الألوسي، روح المعاني، ج ١٧، ص٧٣.

[٢] الشعراء، آية ١١٦.

[٣] الأنبياء، آية ٩٣.

[٤] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج ١٧، ص ٩٠؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٧، ص١٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لغة "القاف والطاء والعين أصل صحيح واحد يدل على صرم وإبانة شيء من شيء"[١] فـالتقطيع لغة فيه معنى التوزيع والتفريق فلا معنى إضافيا من تضمينه معنى توزعوا.

لذا وجدت بعض المفسرين يفسرون التقطيع بالتفريق فيعدونه تعديته . يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية :

"تفرقوا في الدين وجعلوا أمره قطعا موزعة"[٢]

فإذا ثبت ذلك كانت تعدية تقطعوا على سبيل الحقيقة دون حاجة إلى القول بالتضمين.

الموضع الثاني والخمسون:

في تفسير قوله تعالى: ""وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود"[٣] جعل بعض المفسرين مجيء أن التفسيرية مسوغا لهم لتضمين بوأنا معنى تعبدنا، وذلك لأن أن التفسيرية لا بد أن تسبق بمعنى القول دون حروفه والتبوئة لا تحمل معنى القول لذا ضمنوها ما يحمل معناه.[٤] وهذا الذي ذهبوا اليه من قبيل اعتقاد معنى تفيده أن والتحكم بالنظم ليستقيم لهم المعنى الذي ارتضوه دون غيره، فمن شروط التضمين التي اتفق عليها وجود مناسبة بين المعنى الملفوظ والمعنى المضمن ولا ارى ذلك بين القول والتبوئة، فهذا أول دليل على وجود تكلف ظاهر في هذا الرأي. كما أن التضمين لا يلجأ إليه إلا عند تعذر حمل اللفظ على حقيقته.

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة قطع.

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٢، ص٧٨؛ ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٦، ص٨٤.

(٣) الحج، آية ٢٦.

(٤) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٦، ص١٠٣؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٦، ص٥٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر المفسرون وجوهاً أخرى يستقيم بها المعنى دون حاجة إلى التضمين، كأن توجه أن على أنها "المصدرية التي تنصب المضارع وهي توصل بالمضارع والماضي والأمر والنهي وعلى هذا فإن مجرورة بلام العلة المقدرة أي بوأنا لئلا يشرك وكان من حق اللفظ على هذا الوجه أن يكون أن لا يشرك بياء الغيبة وقد قرىء بذلك".[١]

الموضع الثالث والخمسون:

في تفسير قوله تعالى: "يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا"[٢] ذهب الشيخ زاده إلى تضمين فعل يسطون معنى يبطشون وذلك لتعديته بالباء وإلا فهو متعد بعلى يقال سطا عليه[٣]، وهذا الذي ذهب إليه الشيخ زاده لم أجده عند غيره من المفسرين، فسطا لغة بمعنى بطش، وإذا كان كذلك فهو يتعدى تعديته من غير حاجة إلى القول بالتضمين[٤]، هذا فضل عما نقل عن العرب تعدية سطا بحرف الجر على والباء على الأصل. فبعد أن عرف ابن منظور السطو بالقهر والبطش قال: "السطوة المرة الواحدة، والجمع السطوات وسطا عليه وبه سطوا"[٥]

مع ضرورة ملاحظة الفروق الدلالية بين السطو والبطش، فالسطو غالباً ما يكون في الباطل ومن غير حق، والبطش قد يكون بحق وبغير حق، قال تعالى: "يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى"[٦] "أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا"[٧]

---

(١) السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٥، ص ١٤٢.

(٢) الحج، آية ٧٢.

(٣) ينظر: الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج ٣، ص ٣٩٤.

(٤) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج ١٧، ص ٤٢٠٠ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٧، ص٣٣٥.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة سطو.

(٦) الدخان، آية ١٦.

(٧) الأعراف، آية ١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع الرابع والخمسون:

في تفسير قوله تعالى: "وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ"[١] ذهب أبو حيان إلى تضمين حافظون معنى ممسكون او قاصرون، وتابعه على ذلك ابن عاشور حيث ضمن الحفظ معنى عدم البذل."[٢] لكن ظاهر كلام أهل اللغة أن هذا اللفظ مما يتعدى بحرف على من غير حاجة إلى التضمين من ذلك قولهم: حفظت على الصبي ماله اذا ضبطته مقصوراً عليه لا يتعداه. وكما في قولهم: احفظ علي عنان فرسي أي أرسله ويقال حافظ على الأمر وثابر عليه وبارك اذا داوم عليه[٣]

كما أن مجيء هذا الفعل متعدياً بحرف على في مواضع كثيرة من القرآن الكريم وكلام العرب دليل على أصالة هذه التعدية، وعليه فلا حاجة لتضمينه معنى آخر لتصح هذه التعدية.

مركز ايداع الرسائل الجامعية

الموضع الخامس والخمسون:

في تفسير قوله تعالى: "وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ"[٤] ذهب بعض المفسرين إلى تضمين الضرب معنى الالقاء وذلك لتعديته بحرف على[٥]، وهذا الذي ذهبوا اليه لا يثبت، ذلك أن مجيء فعل الضرب في الآية الكريمة جاء مقصوداً لذاته لما فيه من قوة في التعبير وتصوير في الايقاع مما يجعله في غنى عن أن يضمن أي كلمة أخرى بل إن التضمين يذهب رونق المعنى وقوته. هذا فضل على أن فعل الضرب مما يتعدى بعلى على سبيل الحقيقة دون حاجة الى

(١) المؤمنون، آية ٥-٦.

(٢) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٦، ص٣٦٧؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٨، ص١٤.

(٣) ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، الزبيدي، تاج العروس، مادة حفظ؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٦، ص٥٥٨؛ الألوسي، روح المعاني، ج ١٨، ص٦.

(٤) النور، آية ٣١.

(٥) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٦، ص٤١٣؛ الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج ٣، ص٤٢٢؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٧، ص٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا فضل على أن فعل الضرب مما يتعدى بعلى على سبيل الحقيقة دون حاجة الى التضمين وهذا ظاهر كلام الراغب حيث يقول: "ضرب الشيء إيقاع شيء على شيء.[١]

الموضع السادس والخمسون:

في تفسير قوله تعالى: "وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ"[٢] ضمن بعض المفسرين أتوا في الآية الكريمة معنى مروا، ذلك أن فعل أتى مما يتعدى بنفسه او بحرف إلى وقد يتعدى بحرف على كما في القاموس ولكن تعديته بهذا الحرف يحمل معنى آخر غير مقصود في الآية الكريمة يقال أتى عليه الدهر أي أهلكه[٣] ولكشف اللثام عن سر هذه التعدية يحسن الوقوف على فعل أتى في مواضع أخرى من القرآن الكريم جاء فعل آتى متعدياً بنفسه او بحرف إلى في مواضع كثيرة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: "هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ"[٤] حيث جاء متعدياً بنفسه، كما جاء متعدياً بحرف إلى في قوله تعالى: "وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ"[٥] كما جاء متعدياً بحرف على في قوله تعالى: "فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ"[٦].

فالملاحظ أن الآيات التي جاء فيها فعل أتى متعدياً بنفسه او بحرف إلى كان الاتيان فيها

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٢٩٤؛ ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج ١٨، ص١٤٢.

(٢) الفرقان، آية ٤٠.

(٣) ينظر: الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٧، ص١٣٥؛ الألوسي، روح المعاني، ج ١٩، ص٢١؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٩، ص ٢٩-٣٠؛ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة أتي.

(٤) الأنبياء، آية ٣.

(٥) النور، آية ٤٩.

(٦) الأعراف، آية ١٣٨. ينظر: النمل،آية ١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقصوداً لذاته ولتحقيق غاية في النفس، على خلاف الايات التي جاءت تعديتها بحرف على حيث كان الاتيان عرضاً من غير قصد وهو ضرورة للعبور إلى مكان آخر. لذا فتعدية كلمة أتى بحرف على للدلالة على معنى لا يفهم إلا بهذه التعدية.

فلو قال أتوا القرية لتوهم أن الاتيان كان مقصوداً وبتخطيط مسبق وكذا لو قال أتوا إلى القرية، وعليه فلا حاجة إلى القول بالتضمين اذا فهم أن مجيء الفعل متعدياً بحرف علي خلاف الظاهر جاء ليؤدي رسالة غير التضمين كما أن كثرة تعدية هذا الفعل بحرف على في القرآن الكريم دليل على أصالة هذه التعدية.

الموضع السابع والخمسون:

في قوله تعالى: "أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ"[١] ضمن ابن عاشور ضلوا السبيل معنى أخطأوا لأن حق الفعل -كما يرى- أن يعدى بعن[٢] وهذا الذي ذهب إليه ابن عاشور -رحمه الله- لا يوافقه عليه كثير من المفسرين والذين ذهبوا إلى أن فعل الضلال -في الآية الكريمة - جاء متعدياً بنفسه لمعنى بديع لا يكون إلا بهذه التعدية وهو المبالغة في نسبة الضلال إليهم، فلو قال ضلوا عن السبيل لدل ذلك على أنهم سلكوه زمناً ثم انحرفوا عنه ولكن تعديته بنفسه دليل على أنهم لم يسلكوه ولم يعرفوه البتة، وهذا أبلغ في الذم وأشد في الوصف، يقول الشهاب الخفاجي: ضله بمعنى فقده وضل عنه بمعنى خرج عنه والأول أبلغ لأنه يوهم أن لا وجود له رأساً"[٣]

---

[١] الفرقان، آية ١٧.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٨، ص٣٣٨.

[٣] الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٧، ص١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع الثامن والخمسون:

في تفسير قوله تعالى: "فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ"[١] ذهب الألوسي -رحمه الله- إلى تضمين استغاث معنى النصر او الإعانة وذلك لتعديته بحرف على"[٢]

ولا بد في التضمين من وجود معنى إضافي يضيفه اللفظ المضمن للفظ المذكور، ولا أرى في تضمين الاستغاثة معنى الاستعانة او النصرة معنىً جديداً بل هي من معانيه الأصلية، حتى إن صاحب مقاييس اللغة فسر الاستغاثة بالنصرة والمعونة، حيث يقول: "الغين والواو والثاء كلمة واحدة هي الغوث من الإغاثة وهي الإعانة والنصرة عند الشدة"[٣] فإذا كانت الاستغاثة بمعنى الاستعانة كانت تعدية الاستغاثة كالاستعانة حملاً للنظير على نظيره[٤]، وهنا يحسن ملاحظة الفروق الدلالية بين الاستغاثة والاستعانة، فالاستغاثة تكون في موضع شدة وضيق يقول الأزهري: "يقول الواقع في بلية أغثني أي فرج عني[٥] أما الاستعانة والنصرة فلا تدل إلا على تقديم أمر محمود وهذا قد يكون في موضع شدة وقد لا يكون، فمعنى النصرة: "النون والصاد والراء، أصل صحيح واحد يدل على إتيان خير وإيتائه".[٦]

الموضع التاسع والخمسون:

في تفسير قوله تعالى: "رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ"[٧] ضمن بعض المفسرين فقير

---

(١) سورة القصص، آية ١٥.

(٢) ينظر: الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٧، ص٢٨٦؛ الألوسي، روح المعاني، ج١٢، ص٥٤.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة غوث.

(٤) ينظر: الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٧، ص٢٨٦.

(٥) الأزهري، تهذيب اللغة، مادة غوث.

(٦) ابن فارس، معجم مقاييس، مادة نصر.

(٧) القصص، آية ٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معنى محتاج وذلك لتعديتها بحرف اللام مع أن الأصل أن تتعدى بحرف إلى[١] وهنا لا بد من الوقوف على معنى الاحتياج لمعرفة مدى حاجة المعنى إلى القول بالتضمين.

فالاحتياج لغة هو "الاضطرار إلى الشيء"[٢] ومن معاني الفقر لغة الحاجة.

قال ابن عرفة[٣] : "الفقير عند العرب المحتاج"[٤]

فإذا كان الأمر كذلك وجد أن اللفظ المضمن لا يضيف معنىً جديداً للفظ المذكور.

كما أن الطبرسي[٥] نقل عن الأخفش تعدية فقير بإلى واللام فيقال فقير إليه وفقير له.[٦]

فإيثار اللام في الآية الكريمة دون حرف إلى كان لإفادة تخصيص الخير المنزل من الله بالفقر والاحتياج.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فإذا كان الأمر كذلك كانت تعدية فقير بحرف إلى على وجه الحقيقة دون حاجة إلى القول بالتضمين.

الموضع الستون:

في تفسير قوله تعالى: "قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ

---

(١) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٧، ص١٠٩؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٧، ص٩؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٧، ص٢٩٢؛ الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٣٨٨؛ الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج٣، ص٥٠٩.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة حوج.

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن عرفه الورغمي أبو عبدالله المالكي، يعرف بابن عرفة، ولد سنة ٧١٦هـ، ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٨، ص ٢١٠.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص٦١.

(٥) الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، أبو علي، مفسر محقق لغوي من أجلاء الإمامية نسبته إلى طبرستان، توفي سنة ٥٤٨هـ، من مصنفاته، جوامع الجوامع، وغنية العابد، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص١٤٨.

(٦) ينظر: الطبرسي، مجمع البيان، ج٧، ص٣٨٧، بحثت عن قول الأخفش السابق في كتبه فلم أجده فلعله ذكره في مصنف آخر لم أقف عليه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَكِيلٌ"[١] ضمن بعض المفسرين وكيل معنى شاهد وذلك لتعديته بحرف على مع أن الأصل تعديته بحرف إلى.[٢] ولكن القول بالتضمين في الآية الكريمة يتعارض مع ما جاء في المعجمات اللغوية من تعدية وكيل بحرف على من غير حاجة إلى القول بالتضمين[٣] كما أن المعنى اللغوي للفظ وكيل يفتقر إلى مثل هذه التعدية، فالوكيل هو الذي يقوم بأمر الإنسان يسمى به لأنه موكله[٤] فالتعدية بحرف على تتناسب مع المعنى اللغوي للفظ وكيل من حيث أن القائم بأمر غيره يحتاج إلى استعلاء ليستطيع القيام بمهام الوكالة، لذا نلحظ كثرة تعدية وكيل بحرف على حيث كان المقصود به الله سبحانه وتعالى وهذه تعدية تتلاءم مع عظمة الله واستعلائه.

"فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ"[٥]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
ايداع الرسائل الجامعية

الموضع الحادي والستون:

في تفسير قوله تعالى: "أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ"[٦] جوز الزمخشري أن يضمن الحسبان معنى التقدير فيتعدى إلى مفعول واحد، وأن يسبقونا هو ذلك المفعول.

---

(١) القصص، آية ٢٨.

(٢) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٧، ص١١١؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٧، ص٢٩٥؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٠، ص١١٠.

(٣) ينظر: الزبيدي، تاج العروس، مادة وكل.

(٤) ينظر: المصدر السابق.

(٥) يوسف، آية ٦٦.

(٦) العنكبوت، آية ٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول الزمخشري في ذلك : "فإن قلت : اين مفعولا حسب؟ قلت اشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سدّ مسد المفعولين، كقوله تعالى: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ"[١]، ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر"[٢]

وعقّب أبو حيان على رأي الزمخشري -في تضمين حسب معنى قدّر- بقوله: "والتضمين ليس قياساً ولا يصار إليه إلا عند الضرورة"[٣]

فالرأي الذي ذكره الزمخشري بداية أقرب إلى القبول وأبعد عن التكلف، فالحسبان متعد إلى مفعولين وأن يسبقونا ساد مسدهما،[٤] وتقدير هذين المفعولين بقولنا سبقهم حاصلاً او أنفسهم سابقين.

الموضع الثاني والستون:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

في تفسير قوله تعالى: "هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"[٥] ذهب البيضاوي إلى أن فعل الجزاء تعدى إلى مفعولين بنفسه لتضمينه معنى القضاء أوهو منصوب بنزع الخافض.[٦]

وهذا الرأي ينقضه ما جاء في اللغة من تعدية هذا اللفظ إلى مفعوله الثاني بالباء وبنفسه يقول الراغب الأصفهاني: "يقال جزيته كذا وبكذا"[٧] فإذا ثبت ذلك كانت تعدية يجزون بنفسه إلى مفعوله الثاني على سبيل الحقيقة ولا حاجة إلى القول بالتضمين. يقول الألوسي : "وجزى قد

---

(١) البقرة، آية ٢١٤.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص٤٢٦.

(٣) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٧، ص١٣٧.

(٤) ينظر: ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٧، ص١٣٧؛ الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج ٤، ص٤.

(٥) سبأ، آية ٣٣.

(٦) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٢، ص٢٦٢.

(٧) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتعدى إلى مفعولين بنفسه كما يشير إليه قول الراغب جزيته كذا وبكذا، وجوز كون ما في محل النصب بنزع الخافض وهو إما بالباء أو عن أو على، فإنه ورد تعدية جزى بها جميعاً وقيل إن هذا التعدي لتضمينه معنى القضاء ومتى صحّ ما سمعت عن الراغب لم يحتج إلى هذا.[١]

الموضع الثالث والستون:

في تفسير قوله تعالى: "لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ"[٢] ذهب بعض المفسرين إلى تضمين لا يسمعون -على قراءة التخفيف- معنى الإصغاء.[٣] وهنا لا بد من التعرف على الفرق بين الإصغاء والسمع للوقوف على مدى حاجة المعنى إلى مثل هذا التضمين.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

"فالسمع هو إدراك المسموع، والسمع أيضاً اسم الآلة التي يسمع بها، والإصغاء هو طلب إدراك المسموع بإمالة السمع إليه يقال صغا يصغو إذا مال"[٤] فدلالة الإصغاء في الآية الكريمة متسفاد من تعدية فعل السماع بحرف إلى، "لما في إلى من معنى التوجه إلى الشيء والقصد إليه"،[٥] يقول الزمخشري: "فإن قلت أي فرق بين سمعت فلاناً يتحدث وسمعت إليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه؟ قلت المعدى بنفسه يفيد الإدراك والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك"[٦]، فالإصغاء معنى يستفاد من تعدية السماع بحرف إلى على وجه الحقيقة دون حاجة

---

(١) الألوسي، روح المعاني، ج ٢، ص١٤٦.

(٢) الصافات، آية ٨.

(٣) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٢، ص٢٩٠؛ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٧، ص ٣٧٨؛ الألوسي، روح المعاني، ج ٢٣، ص٦٩؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٣، ص٩٢. حيث ضمن يسمعون معنى منتهين.

(٤) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص٧٠.

(٥) د. محمد أمين الخضري، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، ص٨.

(٦) الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص٣٤-٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى القول بالتضمين.

الموضع الرابع والستون:

في تفسير قوله تعالى: "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ"[١] ضمن بعض المفسرين اللين في الآية الكريمة معنى الاطمئنان وذلك لعطف القلوب على الجلود واللين يناسب الجلود دون القلوب[٢]، وهنا لا بد من الوقوف على لفظ اللين لغة للتأكد من صحة الحكم الذي أطلق من مناسبة اللين للجلود دون القلوب.

فاللين لغة "ضد الخشونة، وهو في لين من العيش أي رخاء ونعيم وخفض، وإنه لذو ماينة أي ليّنُ الجانب ورجل هيّنٌ ليّنٌ.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقال الكميت[٣]:

هَيْنُونَ لَيْنُونَ فِي بيوتِهم سِنْخُ التُّقَى والفَضائلُ الرُّتُبُ[٤]

---

[١] الزمر، آية ٢٣.

[٢] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٢، ص٣٢٤؛ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٨، ص٤٠٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٣، ص٣٩١.

[٣] الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي، والمستهل، شاعر الهاشميين، من أهل الكوفة، عالماً بآداب العرب ولغاتها، منحازاً إلى بني هاشم، توفي سنة ١٢٦هـ -٧٤٤م. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص٢٣٣.

[٤] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة لين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاطلاق اللين على القلوب أمر غير خارج عن استعمالات العرب لهذا اللفظ، فإذا عرفنا ان الرجل توصف أخلاقه باللين فلا مانع من وصف القلوب باللين المعنوي، الذي يعني الرقة وسهولة الانقياد لأمر الله، دون حاجة إلى القول بالتضمين ليصح هذا العطف. وقد يكون عطف القلوب على الجلود من قبيل حذف وصف ملائم للقلوب كالإطمئنان ونحوه.

الموضع الخامس والستون:

في تفسير قوله تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ"[١] ضمن بعض المفسرين الاستقامة في الآية الكريمة معنى التوجه لتعدية هذا الفعل بحرف إلى مع ان الأصل تعديته بحرف اللام.[٢] وللوقوف على جلية الأمر لا بد من ملاحظة استعمال القرآن لهذا الفعل، فقد جاء متعدياً بحرف إلى تارة، وبحرف اللام تارة أخرى، فجاء متعدياً بإلى في الآية موضع البحث، وبحرف اللام في قوله تعالى: "فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ"[٣]، فالمطلوب تحقيق الاستقامة في حقه -في آية سورة فصلت- هو الله سبحانه وتعالى على خلاف الاستقامة في سورة التوبة، فالاستقامة فيها صادرة من عبد إلى عبد مع اختلاف الملة.

---

(١) فصلت، آية ٦.

(٢) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٧، ص٤٤٦؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٨، ص٢٩٣.

(٣) التوبة، آية ٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكان حق الاستقامة العائدة إلى الله تعديتها بحرف إلى لبيان بلوغها النهاية في الإخـــلاص والتمام في الكمال، على خلاف الاستقامة في حق العبد فهي في سورة التوبـــة اســـتقامة متعلقـــة باستمرار الوفاء بالعهد، لذا جاءت تعدية الاستقامة -في الآية موضع البحث- بحرف إلـــى دون اللام لإفادة هذا المعنى.

الموضع السادس والستون:

في تفسير قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ"[١] جـــوز بعـــض المفســـرين تضمين إله في الآية الكريمة معنى المعبود ليصح تعلق إله بالجار والمجرور "فـــي الســـماوات" فالظرف لا يتعلق باسم الله لجمـــوده، ولا بكـــائن لأنـــه يكـــون ظرفـــاً لله وهـــو مـــنزه عـــن المكان والزمان.[٢]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

والسؤال الذي يدور في النفس ما المعنى الذي أضافه اللفظ المضمن للفظ المذكور. فالإلـــه لغة "الهمزة واللام والهاء أصل واحد هو التعبد، فالإله الله تعالى وسمي بذلك لأنه معبـــود يقـــال تألّه الرجل اذا تعبد"[٣]

فالملاحظ ان الإله بمعنى المعبود لغة، فلا وجه لتضمين أحدهما معنى الآخر، وللخـــروج من الخلاف حول تعلق الجار والمجرور فلا مانع من تعليقه بمعنى اسم اله الذي هو المعبود كأنه قيل وهو المعبود فيهما، وفي هذا تحرر من القول بالتضمين ليصح التعليق.

وهنا من المناسب الوقوف على الفروق الدلالية بين المعبود والإله، "فالإله هو الذي يحـــق له العبادة فلا إله إلا الله، وليس كل معبود يحق له العبادة ألا ترى ان الاصنام معبودة والمســـيح

---

[١] الزخرف، آية ٨٤.

[٢] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص٢٦٠؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضـــي، ج ٤، ص ٢٤؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٥، ص ٢٦٨.

[٣] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة أله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معبود ولا يحق له ولها العبادة".[١]

الموضع السابع والستون:

في تفسير قوله تعالى: "وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي"[٢] ذكر المفسرون أن الأصل في فعل الصلاح أن يأتي متعدياً بنفسه، لذا وجهوا تعديته بحرف في إلى تضمينه معنى اللطف.[٣]

والذي يظهر أن تعدية الصلاح بحرف في جاء لمقصد بلاغي وهدف بياني، وذلك لإفادة معنى الظرفية المجازية، فنزل ذريته منزلة الظرف الذي يستقر فيه الصلاح ويحتوي عليه[٤] . وكأن العبد في توجهه إلى ربه يطلب منه أن يجعل الصلاح سارياً في باطن ذريته الذي يترتب على صلاحه صلاح الظاهر.

يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية: "واجعل لي الصلاح سارياً في ذريتي راسخاً فيهم"[٥]، وقد وضح الشيخ زاده هذا الكلام بقوله "لما ورد أن يقال أن أصلح يتعدى بنفسه قال تعالى "واصلحنا له زوجه" فما معنى تعديته في الآية بفي؟ أشار إلى جوابه بأن مطلوبه أن يجعل الله تعالى ذريته محلاً للصلاح بأن يجعله سارياً راسخاً فيهم بحيث يتمكن فيهم تمكن المظروف في الظرف، وهذا المعنى يستدعي أن يعدى الفعل إليهم بكلمة في"[٦]

---

(١) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص١٥٢.

(٢) الأحقاف، آية ١٥.

(٣) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٨، ص٦١؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٨، ص٤٧١؛ الألوسي، روح المعاني، ج ٢٦، ص١٩.

(٤) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص٣٤.

(٥) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٢، ص٣٩٥.

(٦) الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج ٤، ص٣٣٦.

جميع الحقوق محفوظة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع الثامن والستون:

في تفسير قوله تعالى: "وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ"[١] ذهب بعض المفسرين إلى تضمين البخل في الآية الكريمة معنى الإمساك، وذلك لأن الاصل فيه أن يتعدى بعلى.[٢] والتضمين الذي ذهبوا إليه هو تضمين بمعناه الوضعي لا التضمين المصطلح عليه، فإن البخل بمعنى الإمساك وهو مما يتعدى بعن فالحق أحدهما بالآخر في التعدية. يقول البيضاوي: "والبخل يعدى بعن وعلى لتضمينه معنى الإمساك والتعدي فإنه إمساك عن مستحق"[٣]

وقد زاد الشهاب -رحمه الله- هذا الكلام توضيحاً بقوله: "والبخل يعدى بعن وعلى والثاني هو المشهور فيه، وقوله لتضمنه إن أراد بالتضمين كونه في ضمن معناه الوضعي فهو على الحقيقة، وإن أراد التضمين المصطلح يجري فيه الأقوال السابقة والظاهر هو الأول".[٤] والذي يظهر أن تعدية بخل (بعن وعلى) على سبيل الحقيقة يقول الزمخشري: "يقال بخل عليه وعنه، وكذلك ضننت عنه وعليه"[٥]

ولكن هذا لا يعني أن انتقاء تعدية البخل بحرف عن دون من جاء بغير قصد، فالقوم حين دعوا إلى الانفاق بخلوا فعاد وبال هذا البخل على أنفسهم بحرمانها من الأجر وتجاوز الخير عن النفس، وهذا المعنى انفرد حرف عن بالقدرة على تأديته لما يفيده من معنى المجاوزة باتصاله بالفعل بأصل وضعه اللغوي.

الموضع التاسع والستون:

من الأقوال الواردة في تعليل عطف الإيمان على الدار في قوله تعالى: "وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ

---

[١] محمد، آية ٣٨.

[٢] ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٢، ص٤٠٦؛ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٨، ص٨٦.

[٣] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٢، ص٤٠٦.

[٤] ينظر: الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، ج ٨، ص٥٠٩.

[٥] الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص٣٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأيمان"[١] تضمين التبوئة معنى اللزوم[٢] وهذا الرأي ظاهر التكلف دافعه الخلوص بمخرج إعرابي لما اعترضهم من معطوفين على فعل يناسب أحدهما دون الآخر مع استقامة المعنى بالعطف دون اللجوء إلى التضمين.

فالتبوئة لا تختص بالمحسوس من الأشياء، بل تتعدى ذلك إلى المعنويات منها فكان الإيمان أحد هذه المعنويات، فالنكاح يسمى باءة وباء من المباءة لأن الرجل يتبوأ من أهله أي سيتمكن أهله كما يتبوأ من داره،[٣] وبمثله جاء النظم الكريم، فوصف الإيمان بالتبوئة على سبيل الاستعارة المكنية التخيلية بتشبيه الايمان بالمنزل وجعل إثبات التبوئة تخيليا . وقد يكون انتصاب الإيمان بفعل مضمر معطوف على الفعل السابق، حذف المعطوف وأبقى العاطف كما في قول الشاعر علفتها تبنا وماءا باردا.[٤]

وإذا صح ذلك فلا حاجة إلى القول بالتضمين ليصح مثل هذا العطف.

الموضع السبعون:

في تفسير قوله تعالى "هذا الذي كنتم به تدعون"[٥] ضمن ابن عاشور تدعون معنى تكذبون[٦]

وهنا يجب الوقوف على معنى تدعون لمعرفة سبب تعدية هذا اللفظ بالباء، فتدعون قد تكون من الدعاء وهو طلب استعجال الشيء والمعنى هذا الذي كنتم به تستعجلون، وتدعون الله بتعجيله يعني قولهم "اللهم إن كان هذا هوالحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء". وهو

---

[١] الحشر، آية ٩.

[٢] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٨، ص٢٤٥؛ ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص٢٤٩.

[٣] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص٢٤٥.

[٤] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٨، ص ٢٤٥؛ ينظر: الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج ٤، ص٤٧٥؛ ابن هشام، أوضح المسالك، ج٢، ص٥٤٥.

[٥] الملك، آية ٢٧.

[٦] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع الحادي والسبعون:

في تفسير قوله تعالى: "فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ * أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ"[١] ضمن بعض المفسرين اغدوا في الآية الكريمة معنى اقبلوا وذلك لأن الأصل في هذا الفعل أن يتعدى بإلى،[٢] ولكن هذا القول يتعارض مع ما جاء في اللغة من تعدية اغدوا بحرف "على" على وجه الحقيقة، حيث يقال "غدا عليه غدْوا وغُدُوا واغتدى بكر"[٣] وقد ذكر أبو حيان أن الذي في حفظه تعدية غدوا بحرف على واستدل على ذلك بقول الشاعر:

بَكَرْتُ عَلَيهِ غُدْوَةً فَرَأَيْتُهُ قُعُوداً عليه بالصَّرِيم عِوَاذِلُه[٤]

وقد استشهد الألوسي ببيت يدل على أن تعدية غدا بحرف على وذلك في قول الشاعر:

وقد غدوا على ثُبَةٍ كِرام نشاوى واجدين لما نشاء[٥]

---

(١) القلم، آية ٢١، ٢٢.

(٢) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٢، ص٥١٦؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٩، ص١٥.

(٣) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة غدو.

(٤) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٨، ص٣٠٦؛ زهير بن أبي سلمى، ديوانه، ص١٠٠.

(٥) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج ٢٩، ص٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتعدية غدا بحرف على دون إلى جاء في الآية مقصوداً لذاته، ليصور أصحاب الجنة وكأنهم قطاع طريق يستلبون حقوق الناس شأنهم شأن اللصوص يلتحفون الليل ويستترون به ليتمكنوا من الاستيلاء على ما أرادوا، ففي تعدية الغدو بحرف على معنى الاستيلاء على الحرث والإغارة عليه، وهي تفصح عن نية العدوان والاغتصاب[١] وهذا المعنى لا يمكن التعبير عنه بتعدية هذا اللفظ بحرف إلى، الذي يفيد مجرد الانتهاء إلى الحرث دون أن تشوبه سوء نية في سلب حقوق الآخرين.

وهذا قريب مما ذكره الزمخشري في تعليل تعدية فعل غدا بحرف الاستعلاء، حيث يقول: "فإن قلت هلا قيل: "اغدوا إلى حرثكم، وما معنى على؟ قلت: لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه، كما تقول: غدا عليهم العدو"[٢]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعة

الموضع الثاني والسبعون:

في سياق تفسير قوله تعالى: "سأل سائل بعذاب واقع"[٣] ذهب بعض المفسرين إلى تضمين السؤال معنى الدعاء. يقول الزمخشري: "ضمن سأل معنى دعا فعدي تعديته كأنه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا إذا استدعى وطلب"[٤]

وهنا لا بد من الوقوف على معنى سأل لمعرفة حقيقة التضمين في الآية الكريمة، فالسؤال "استدعاء معرفة أو ما يؤدي إليها واستدعاء مال أو ما يؤدي إليه.[٥]

والمقصود بالسؤال في الآية الكريمة هو استدعاء العذاب وطلبه على سبيل الاستهزاء

---

(١) ينظر: محمد الخضري، من أسرار حروف الجر، ص٩٨.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص٥٧٨.

(٣) المعارج، آية ١.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص٥٩٦؛ ينظر: الشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي، ج ٤، ص٢٦٤.

(٥) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ج ٥، ص١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول الألوسي: "وتعليق التيسير به ﷺ مع أن الشائع تعليقه بالأمور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى: "وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي"[١] للإيذان بقوة تمكينه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه الصلاة والسلام جبل عليها أي نوفقك توفيقاً مستمراً للطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علماً وتعليماً واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير تلقي طريقي الوحي والإحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الإلهية مما يتعلق بتكميل نفسه الكريمة ﷺ وتكميل غيره"[٢]

هذه هي أكثر الآيات التي قيل بالتضمين فيها مع أن حملها على غير أسلوب التضمين أولى وأظهر، فحمل الكلام على حقيقته كما هو مقرر أولى من تكلف أساليب لا تتناسب وسياق الآية.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

[١] طه، آية ٢٦.

[٢] الألوسي، روح المعاني، ج ٣٠، ص ١٠٧؛ ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٩، ص١٤٠؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص٢٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

بعد هذا التطواف في حديقة من حدائق القرآن ذات الظلال الوارفة والمعاني اليانعة يطيب لي أن أشير إلى بعض النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة، والتي أدعو الله أن تكون قد وافقت الصواب وأسهمت في خدمة كتاب الله والذب عن حياضه.

وهذه النتائج هي:

أولاً: إن ضوابط وشروط التضمين ضمان للابتعاد عن الشطط والتكلف في توجيه الآيات وفق هذا الأسلوب.

ثانياً: كان لبعض المفسرين أثر بارز في الكشف عن مواطن التضمين والتقعيد لهذا المفهوم والتمييز بين المقبول والمردود من هذه الأقوال.

ثالثاً: توسع بعض المفسرين في حمل الآيات وفق أسلوب التضمين توسعاً فيه كثيرٌ من التكلف مما جعل توجيهاتهم يعوزها كثير من الضبط والتحقيق كما نلمس هذا الأمر عند ابن عاشور.

رابعاً: حمل الكلام على حقيقته - إن أمكن ذلك - أولى من التكلف في حمله وفق أسلوب التضمين.

خامساً: إن التكلف في حمل الآيات وفق أسلوب التضمين يذهب بكثيرٍ من أسرار الحروف ودقائق النظم.

سادساً: إن سهام النقد التي وجهت إلى أسلوب التضمين لا يقوم لها قائمةٌ أمام إصرار هذا الأسلوب على المضي إلى الجانب الأساليب الرفيعة لما يقدمه من خدمةٍ في الكشف عن دقائق المعاني وهذه الشبهات ما هي إلا ثمرة للتوسع في حمل الكلام وفق هذا الأسلوب دون ضبط أو تقييد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المناسب هنا، أن أقدم بعض التوصيات لأخوتي من طلبة العلم والمهتمين بالدراسات القرآنية بخاصة والإسلامية منها بعامة:

أولاً: الاهتمام بالدراسات التطبيقية التي هي الأصل في الدراسات القرآنية لما لها من أثر في الكشف عن مكنون المعاني وذخائر النظم.

ثانياً: دراسة أسلوب التضمين في الحديث الشريف لما في ذلك من أثرٍ في توضيح مراد الرسول والتدليل على بلاغته وفصاحته تراكيبه عليه السلام والتي يجب أن تعد في طليعة الأصول المعتد بها في التقعيد والتنظير، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

وأخيراً، فإنني أسجد حمداً لله أن مكنني من إتمام هذا البحث وما كان لي لولا توفيقه يداً ولا قدرة في إخراجه إلى حيز الوجود.

فلله ربي عظيم امتناني ودعائي بأن أبقى خادمة لكتاب الله حريصةً على الذود عن حياضه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[1] سورة النجم، آية ٣، ٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: محمود محمد، طاهر أحمد الزاوي، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، مصر، د. ط.، د. ت.
- الأحنف، العباس، ديوان العباس ابن الأحنف، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- الأخفش، الأصغر، كتاب الاختيارين، تحقيق: فخر الدين قباوة، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د. ط.، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- الأخفش، سعيد بن مسعدة، القوافي، تحقيق أحمد راتب النفاخ، دار الأمانة، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق عبدالعظيم محمود، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط١، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار الفكر، بيروت، د. ط.، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.
- الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ط.، د. ت.
- الألوسي، محمود بن عبدالله، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- الأمير، محمد، حاشية الأمير على مغني اللبيب، مطبعة حجازي، القاهرة، د. ط.، د. ت.
- أمين، أحمد، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٢، د. ت.
- البغدادي، أحمد بن علي الخطيب، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- البغدادي، عبدالقادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.
- البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-بي، محمد خالد، التضمين النحوي بين القدماء والمحدثين، إشراف الدكتور سامي عوض، جامعة نشرين، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

- التبريزي، الخطيب، الكافي في علم العروض والقوافي، دار نشر خانجي وحمدان، بيروت.

- الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، مطابع الفجر الحديثة، حمص، ط١، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

-توامة، عبد الجبار، الفعل في القرآن الكريم، بحث في الزمن والتعدية والتضمين، دراسة تحليلية تطبيقية في الآيات المكية، كلية الآداب، جامعة حلب، سوريا، إشراف د. مصطفى جطل، رسالة ماجستير.

- الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية، مكتبة سعد الدين، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

- الجرجاني، علي بن محمد الشريف، التعريفات، بيروت، لبنان، د. ط.، ١٩٦٩.

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي السيد زين الدين أبي الحسن الحسيني، حاشية السيد الشريف على تفسير الكشاف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

- ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القرآت العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط.، د. ت.

- الجمل، سليمان بن عمر العجيلي، الفتوحات الإلهية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

- ابن جني، عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د. ط.، د. ت.

- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

-حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وكالة المعارف الجلبية، ١٣٦٠هـ- ١٩٤١م.

- ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني، ط٢، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م.

- ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٥هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- حسين، محمد خضر، دراسات في العربية وتاريخها، المكتب الإسلامي، مكتبة دار الفتح، دمشق، ط٢، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

- ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، د. ط، د. ت.

- الحنبلي، عبدالحي بن عماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

- أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق:عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ علي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- أبو حيان، محمد بن يوسف، النهر الماد، تحقيق عمر الأسعد، دار الجيل، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

- أبو حيان، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب، تحقيق: مصطفى أحمد النماس، مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

- الخضري، د. محمد الأمين، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

- الخطابي، البيان في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، دار المعارف، مصر، ط٢: ١٣٨٧-١٩٦٨.

- الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر، عناية القاضي وكفاية الراضي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، المقدمة، تحقيق: دروسي الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

- إبن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط.، ١٩٦٩م.

- الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام، تحقيق: الدكتور عمر عبدالسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الرازي، فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥م.

- الرازي، محمد بن أبي بكر عبدالقادر، مختار الصحاح، دار الحديث، د. ط.، د. ت.

- الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

- رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة للطباعة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

- الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٨، ١٩٩٥م.

- زادة، محي الدين، حاشية محي الدين الشيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- الزبيدي، تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بني غازي، د. ط.، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

- الزجاج، أبي اسحاق إبراهيم ابن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق الدكتور عبدالجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق، أمالي الزجاجي، تحقيق: عبدالسلام هارون، مؤسسة العربية الحديثة، ط١، ١٣٨٢هـ.

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.

- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٨٠م.

- زعبلاوي، صلاح الدين، مسالك القول في النقد اللغوي، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

- الزمخشري، محمود بن عمر، الفائق في غريب الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، طهران، د.ط، د.ت.

- الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت.

جميع الحقوق محفوظة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-زيدان، جورجي، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، د. ط، د. ت.

- السامرائي، ابراهيم، في شرف العربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ١٤١٥هـ.

- السخاوي، محمد بن عبدالرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- أبي سلمى، زهير، ديوان زهير، تحقيق د. محمد محمود، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط:١، ١٩٩٥م.

- السمين، الحلبي، عمدة الحفاظ، عالم الكتب، ط:١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

- السمين، الحلبي، الدر المصون، دار القلم، دمشق.

- السمين، الحلبي، الدر المصون، دار الكتب العلمية، بيروت.

-سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١-١٩٩١م.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، الاقتراح في علم أصول النحو، جروس برس، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

- السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر، تحقيق: د. عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

- السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د. ط، ١٩٦٤م.

- السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، تحقيق: عبد السلام هارون، ود. عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

- الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. ط.، د. ت.

- الصغير، محمود، الأدوات في كتب التفسير حتى منتصف القرن الثامن الهجري، إشراف: د. مصطفى جطل، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٠م، رسالة دكتوراه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-ضيف، شوقي، تيسيرات لغوية، دار المعارف، القاهرة.

- الطبرسي، الفضل ابن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط٢، د. ت.

- أبو الطيب، عبدالواحد بن علي، مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، مصر، الفجالة، د. ط.، د.ت.

- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

- العامري، لبيد بن ربيعة، شرح ديوان لبيد، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢.

- عباس، حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ط٢، دار المعارف، ١٩٦٣م.

- عباس، فضل حسن، البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، دار النور، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

- عباس، فضل حسن، لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، دار النور للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

- عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن، عمان، د. ط.، ١٩٩١.

- ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، د. ط، د.ت.

- أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢، ١٤٠١هـ-١٩٨٩م.

- العجاج، ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: د. عزة حسن، مكتبة دار الشروق، شارع سوريا، بيروت، د. ط.، د. ت.

- عرفة، د. عبدالعزيز عبدالمعطي، تربية الذوق البلاغي عند القاهر الجرجاني، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

- العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، تحقيق حسام الدين المقدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن عطية، محمد عبد الحق، المحرر الوجيز، تحقيق عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

- العكبري، عبدالله بن الحسين، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

- العلايلي، عبدالله، مقدمة لدروس لغة العرب، المطبعة العصرية، القاهرة.

- عواد، محمد حسن، تناوب حروف الجر في لغة القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

- الفراء، يحي بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٠م.

- الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرح: د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

- الفيروزبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

- ابن قتيبة، معمر بن المثنى، تأويل مشكل القرآن، د. ط، د. ت.

- القزويني، الخطيب، الإيضاح في علم البلاغة، شرح وتعليق: د. محمد عبدالمنعم الخفاجي، مكتبة الأزهر للتراث، مصر، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

- القفطي، علي بن يوسف، أنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

- القفطي، علي بن يوسف، تأريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات، مؤسسة الخانجي مصر، د. ط.، د. ت.

- القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مطبعة السعادة، مصر، ط٢، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط.، د. ت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن قيم، محمد بن أبي بكر الزرعي، زاد المعاد، تحقيق شعيب أرنؤوط وعبد القادر أرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

- الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د. ط.، د. ت.

- ابن كثير، اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٨٥م.

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار الخير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط.، د. ت.

- الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تحقيق الدكتور عدنان درويش، محمد المصري، وزارة الثقافة، ط٢، ١٩٧٦م.

- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط.، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

- مالك، ابن أنس، الموطأ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط.، د. ت.

- المحبي، محمد، تاريخ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، د. ط، د. ت.

- المدني، علي صدر الدين بن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي، مطبعة النعمان، النجف، ط١، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

- المزي، جمال الدين، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

- المصري، ابن أبي الأصبع، تحرير التحبير، تحقيق: د. حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دار إحياء التراث العربي القاهرة، ١٣٨٣هـ.

- مصطفى، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الكتب العلمية، طهران، د.ط، د.ت.

- المضري، غيلان بن عقبة بن مسعود العدوي، ديوان ذي الرمة، شرح د. عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ط.، د. ت.

- الميداني، أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دارالجيل، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب، الفهرست، تحقيق: رضا، تجدد، د. ط.، د. ت.
- النويري، شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.
- الهروي، علي بن محمد، الأزهية في علم الحروف، تحقيق عبدالمعين الملوحي، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ابن هشام، عبدالله جمال الدين بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د. ط.، د. ت.
- ابن هشام، محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ابن هشام، مغني اللبيب، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت.
- الشيخ ياسين، ابن الزين الدين العلمي الحمصي، حاشية الشيخ ياسين بهامش شرح التصريح على التوضيح، للشيخ الإمام خالد بن عبدالله الأزهري على ألفية ابن مالك، للعلامة جمال الدين أبي محمد، ابن هشام الأنصاري، دار الفكر، د. ط، د. ت.
- ابن يعيش، موفق الدين النحوي، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د. ط.، د. ت.

الدوريات:

- الإسكندري، أحمد، بحث بعنوان، التضمين، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، القاهرة، العدد الأول، ١٩٣٤، ص ١٧٧، ١٩٩.
- الحمد، علي الحمد، المعجم العربي التاريخي، مفهومه ووظيفته ومحتواه، مؤسسة بيت الحكمة، تونس، ١٩٩١م.
- الحمد، منيرة محمود، التضمين في النحو العربي، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، العدد الخامس، ١٤١٣هـ.
- عباس، فضل حسن، سلامة الحرف من الزيادة والحذف، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الرابعة، العدد ٩، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

Implication in the Holy Qura'n

An Applied Study

This study is an attempt aims at applying the Concept of Implication "Al-Tadmin" on the Holy Qura'n. It tries to interpret some of the Quranic structures in accordance to this style.

The researcher learns about what the interpreters "Al-Mufassrin" have said in this respect. In addition, the researcher distinguishes between these sayings i.e. the acceptable and the rejected ones according to certain standards and criteria.

A theoretical study on Implication precedes the applied study. As an introduction to the subject. Thus, this thesis is divided into two chapters:

First Chapter: Implication: A Theoretical study.

It consists of five Parts:

Part one: The Definition of Implication, Linguistically and Technically.

Part two: Controls of Implication and its criteria.

Part three: The other grammatical alternatives for Implication.

Part four: Interpreters' opinion about Implication.

Part five: Suspicions concerning Implication.

Second Chapter: Implication: An Applied study

It consists of two parts:

Part one: Verses of the Holy Qura'n that contains Implication. It is a guide to the verses where Implication style is used, their meanings and the verbal and the written phrases that show implication.

Part two: Verses of the Holy Qura'n that are taken as having implication where as in fact they are not. It is found that the standards and criteria of Implication don't fit.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The conclusion summaries the results of this study and its effect in controlling the use of implication.

In addition, the researcher comes out of recommendations that enrich the Islamic library with many applied studies.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis D